جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

إقليم الزاب في العصر الوسيط من القرن02-05هـ/08-11م

دراسة تاريخية واجتماعية واقتصادية وثقافية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د الطور الثالث

تخصص : دراسات تاريخية في العصر الوسيط

إعداد الطالب: أسامة الطيب جعيل

إشراف الأستاذة الدكتورة: نبيلة عبد الشكور

أعضاء لجنة المناقشة :

الرقم	الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	نور الدين غرداوي	أستاذ التعليم العالي	الجزائر 02	رئيسا
02	نبيلة عبد الشكور	أستاذ التعليم العالي	الجزائر 02	مشرفا ومقررا
03	موسى هواري	أستاذ محاضر – أ –	الجزائر 02	عضوا
04	عبد القادر شريف	أستاذ محاضر – أ –	الجزائر 02	عضوا
05	صفية ديب	أستاذ محاضر – أ –	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا
06	صلاح الدين هدوش	أستاذ محاضر – أ –	باتنة 01	عضوا

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم :

" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "

صدق الله العظيم ، المجادلة 11

الإهداء

إلى روح والدي الذي رحل في نصف طريق البحث

إلى روح الأستاذ الدكتور موسى لقبال رحمه الله

إلى والدتي أطال الله عمرها وعافاها من كل سقم

إلى إخوتي كل باسمه

إلى زوجتي التي كانت خلف العمل مصوبة له

إلى جميع أصدقائي و أحبتي

أهديكم هذا العمل التاريخي

شكر و عرفان

بعد الحمد والشكر لله المنّان الذي وفقني في إتمام هذا العمل

أتقدم بالشكر و العرفان لكل من كانت له يد في مساعدتي

وأخص بالذكر، أستاذتي: الدكتورة نبيلة عبد الشكور، التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث ، و صبرها متابعتها للعمل منذ أول يوم.

كما لا أنسى ذكر فضل الدكتور عبد الوهاب يحياوي الذي أتعبناه معنا في كثير من المرات .

كما أشكر و أنوّه بدعم الأستاذ سليمان قراوي في إخراج هذا العمل إلى النور.

و أدعو الله أن يجازي كل من تعلمنا و تربينا على أيديهم خير جزاء .

الطالب : أسامة الطيب جعيل

خطة البحث :

مقدمة.

الفصل الأول : إقليم الزاب – المدلول الجغرافي و التاريخي – .

المبحث الأول: التعريف اللغوي و أصل التسمية.

المبحث الثاني : الحدود الجغرافية لإقليم الزاب مابين القرن 02-05هـ/08-11م.

المبحث الثالث : إقليم الزاب قبل الفتح الإسلامي.

المبحث الرابع : حواضر إقليم الزاب الكبرى بعد الفتح الإسلامي.

الفصل الثاني : إقليم الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية دخول قبائل بني هلال.

المبحث الأول : الفتح الإسلامي لإقليم الزاب.

المبحث الثاني : إقليم الزاب في عصر الأغالبة.

المبحث الثالث : إقليم الزاب في عصر الدولة الفاطمية.

المبحث الرابع : الزاب في عصر الدولة الصنهاجية.

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية في إقليم الزاب.

المبحث الأول : عناصر السكان.

المبحث الثاني : المذاهب الدينية بإقليم الزاب بعد الفتح الإسلامي .

المبحث الثالث : أنماط المعيشة.

المبحث الرابع : العادات و التقاليد .

الفصل الرابع : الحياة الاقتصادية في إقليم الزاب .

المبحث الأول : الموقع الاستراتيجي لإقليم الزاب.

المبحث الثاني : الزراعة أساليبها ووسائلها .

المبحث الثالث : الصناعة و المهن.

المبحث الرابع : التجارة الداخلية و الخارجية.

الفصل الخامس : الحياة الثقافية و العلمية بإقليم الزاب .

المبحث الأول : العلم ومؤسساته في إقليم الزاب.

المبحث الثاني : علماء إقليم الزاب مابين القرن 02 -05 هجري.

المبحث الثالث : الموقع الأثري طبنة .

الخاتمة .

الملاحق

قائمة المصادر و المراجع .

الفهارس .

فهرس الموضوعات .

مقدمة

مقدمة:

بلاد المغرب الإسلامي قلعة من قلاع الإسلام الحصينة منذ استكمال الفتوحات الإسلامية نهاية القرن الهجري الأول ، تاريخها حافل بالأحداث التاريخية ، اعتمدت الدراسات التاريخية الحديثة فيها على استنطاق الأصول لاستقراء مكونات و خصائص الحضارة الإسلامية في شتى المجالات " السياسية منها أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية " و غيرها على مرّ العصور ، و إقليم الزاب أحد أهم الأقاليم ببلاد المغرب الذي حضتْ أراضيه و مدنه بأحداث تاريخية غيرت في العديد من المرات مجريات الأحداث السياسية بالمنطقة، فكان هذا الإقليم تارة ما يساهم في تعيين ولاة بلاد المغرب وتارة أخرى يساهم في الدفاع عن بيضة الإسلام من امتداد الحركة الخارجية إلى عاصمة الإقليم ، فحاولت أن أجمع تاريخ إقليم الزاب و أهم المتغيرات الحضارية التي عرفتها حواضره و مدنه في العصر الوسيط ، فاندرجت الأطروحة تحت عنوان : " **إقليم الزاب خلال العصر الوسيط من القرن 02-05هـ/08-11م دراسة تاريخية واجتماعية واقتصادية وثقافية** " .

أسباب اختيار الموضوع :

يغلب على الدراسات الأكاديمية اهتمامها بالأحداث البارزة السياسية و العسكرية ، بالإضافة إلى الجوانب الحضارية المادية و الأدبية مع إهمال الجانب الاجتماعي و تأثيراته في تشكيل الكيانات السياسية و تأثيره أيضا على الواقع الاقتصادي و الحياة الثقافية و العلمية للمجتمع .

فكانت دوافع اختياري للموضوع :

هو البحث في تاريخ و حضارة إقليم الزاب الذي لم يحظى باهتمامات المؤرخين الجزائريين ما عدا القلة منهم ، خاصة أن غالبية الدراسات ركزت على الجانب السياسي مهملة الجانب الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي ، فالحقيقة أن الكلام في تاريخ و حضارة إقليم الزاب هو بحث في تاريخ أجدادنا الذين صنعوا صفحات مشرقة من تاريخ الحضارة الإسلامية .

و هنالك عوامل أخرى دفعتنا للبحث في هذا الموضوع منها :

– محاولة الإلمام بالأحداث السياسية التي عرفها الإقليم في العصر الإسلامي خاصة منذ نهاية الفتح الإسلامي إلى غاية انتشار قبائل بني هلال بين أراضيه.

– الميل الشخصي لدراسة مواضيع تبرز المعالم الحضارية الإسلامية للمناطق الداخلية للجزائر .

– التركيز على إبراز الجانبين الاجتماعي و الاقتصادي لإقليم الزاب لدورهما المباشر أو غير المباشر في إبراز مكانة المنطقة ضمن حدود بلاد المغرب الأوسط .

– التعريف بحواضر و مدن إقليم الزاب خلال العصر الوسيط مابين القرن 02-08/05-11م .

– التعريف بعلماء الإقليم أو المنسوبين إلى المنطقة، و كانوا أحد الأسباب في نشر العلوم و الآداب بالحضارة الإسلامية.

الدراسات السابقة :

في بحثنا هذا لم نجد دراسات أكاديمية متخصصة ومنشورة حول تاريخ إقليم الزاب ما عدا بضع مقالات كتبت من طرف المؤرخين الجزائريين مثل :

– موسى لقبال، طبنة مدينة الأوراس و الزاب في العصور الوسطى، 1978.
– موسى لقبال، الحلف بين أهل السنة و النكارية في القرن 04هـ/10م و أثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب و الحضنة و الأوراس ، 1978.
– موسى لقبال ، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة و الفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطميين.
– قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي .
– عبد الرحمن الجيلالي ، شخصيات لامعة من الأوراس .
– عبد الحميد حاجيات ، التطور المذهبي بناحية أوراس في العصر الوسيط .
– علاوة عمارة ، التحولات المجالية و الطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي.

– علاوة عمارة ، بين الأوراس و الواحات : ظهور و وانتشار و اختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق 02-03هـ/08-09م).

ومن الأبحاث الجامعية الأكاديمية التي استطعنا التعرف و الحصول عليها كدراسات متخصصة لإقليم الزاب هي :

– صورية مديازة ، بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21-362 هـ / 642-972 م) ، رسالة ماجستير ، جامعة باتنة ، 2009-2010.

– مصطفى سالم ، الأطلس الأثري لإقليم الزاب من الفتح الإسلامي حتى نهاية الفترة العثمانية ، رسالة ماجستير ، تخصص آثار إسلامية ، جامعة الجزائر ، 2008،2009 .

أما الدراسات الأجنبية فكانت غالبيتها تدرس تاريخ المدن القديمة و خاصة الأثرية منها مثل مدينة طبنة و تهوذة و بسكرة و زابي جوستنيان .

الإشكالية :

تتمحور إشكالية البحث حول:

– ما هي أهم المظاهر الحضارية و السياسية التي عرفها إقليم الزاب خلال العصر الوسيط ؟ .

وتندرج تحتها التساؤلات التالية ؟

– ما معنى مصطلح الزاب ؟ وهل كان المصطلح تسمية محلية أم وافدة من خارج بلاد المغرب الإسلامي ؟

– ما هي حدود إقليم الزاب خلال العصر الوسيط ؟ و ما هي أهم حواضره ؟ .

– ما هي أهم الأدوار السياسية التي لعبها إقليم الزاب في ساحة بلاد المغرب الإسلامي ؟ .

– كيف ظهرت مقاومة ساكنة الإقليم على الكيانات السياسية المتعاقبة ؟

– كيف تشكلت بنية مجتمع إقليم الزاب خلال العصر الوسيط ؟

– هل كانت هناك حركة اقتصادية و تجارية نشيطة بين مدن الإقليم و مدن الجوار ؟

– هل عرف الإقليم حركة علمية ومن هي أبرز شخصياته العلمية؟

المنهجية المتبعة في البحث :

وقد اعتمدت في إنجاز هذا العمل على توظيف نصوص مستقاة من مصادر تاريخية مختلفة من أجل الإلمام بجوانب الموضوع في إطار منهجي ، و ارتأينا الاعتماد على المنهج التاريخي في تتبع مراحل تطور الإقليم ، مع استخدام المنهج الاستقرائي لتجاوز قلة المصادر التاريخية حول موضوع معين ، مع الاعتماد على المنهج التحليلي لتفسير الحوادث و الوقوف على آثارها و نتائجها .

و اعتمدنا أيضا على المنهج الوصفي – المسحي لوصف غنى مدن الزاب في مختلف الجوانب الاقتصادية ووصف منتجاتها و الحياة الاجتماعية وتركيب السكان بها ، مع المقارنة بين الحياة العلمية و الثقافية بين مدن الإقليم و باقي مدن بلاد المغرب .

خطة العمل :

تم تقسيم خطة العمل استجابة لما توفر من مادة علمية:

فجاء الفصل الأول تحت عنوان " **إقليم الزاب – المدلول الجغرافي و التاريخي –**" ، اندرج ضمن هذا الفصل أربع مباحث ، تناولنا في **مبحثه الأول** "التعريف اللغوي و أصل التسمية "وكيف ظهر هذا المصطلح في بلاد المغرب مع العلم أن منبتها الأول مشرقي و تطلق على العديد من المناطق في العديد من الأمصار . أما **المبحث الثاني** "الحدود الجغرافية لإقليم الزاب مابين القرن 02-05هـ/08-11م" ، فتطرقنا فيه إلى حدود الإقليم خلال العصر الوسيط من خلال كتابات الجغرافيين و الرحالة و المؤرخين تتبعا زمنيا على زمن الجغرافيين مع وصف تضاريس و مناخ الإقليم ، أما **في المبحث الثالث** "إقليم الزاب قبل الفتح الإسلامي" ففيه تعريف بالإقليم قبل الفتح الإسلامي إبان فترة الاحتلال الثلاثي الروماني الوندالي البيزنطي وحكم الممالك المحلية من حدود للإقليم و ظهور المدن التي استغلها فيما بعد الفاتحون المسلمون لتتطور إلى حواضر كبرى ، أما **المبحث الرابع** "حواضر إقليم الزاب الكبرى " . فهو تعريف بالمدن أو

حواضر الإقليم الكبرى بعد الفتح الإسلامي مع الضبط الزمني و التاريخي لكل فترة كانت فيه هذه المدن كعاصمة للإقليم .

أما الفصل الثاني " **إقليم الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية دخول قبائل بني هلال**" ، تناولنا في **مبحثه الأول** "الفتح الإسلامي لإقليم الزاب" وتتبعنا فيه مراحل الحملات العسكرية الإسلامية للإقليم إلى غاية انتشار الإسلام في كل ربوعه و ما تعرض له الفاتحون من مقاومات متعددة مسببة للحرج في كثير من المرات لقادة الفتح ، ثم تتبع مرحلة حكم الولاة بإقليم الزاب و ما تعرض له السكان من ظلم و جور بضع ولاة الدولة الأموية و هذا ما تفطنت له الدولة العباسية و أصلحت الوضع نسبيا خاصة مع تسرب النزعة الخارجية حول الإقليم ، أما **المبحث الثاني** "إقليم الزاب في عصر الأغالبة " هو تعريف بالإقليم إبان حكم الدولة الأغلبية و التي كان الإقليم أحد الأسباب الرئيسية لنشوء و تكوين هاته الدولة و عاش الإقليم فترات زاهية أيام حكم هذه الأسرة ، أما **المبحث الثالث** "إقليم الزاب في عصر الدولة الفاطمية " فهو تعريف بأهم فترة مرت على الإقليم نضير الأحداث التي سادت و الصراع المذهبي و القبلي المؤدي إلى تخريب العمران و تهجير السكان ، وخاصة الثورات الكبرى التي أسهم فيها ساكنة إقليم الزاب مثل ثورة مُحَمَّد ابن خزر و ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، فشجعت هذه الأوضاع في ظهور المناظرات العلمية و شيوع الرحلة في سبيل العلم من الإقليم إلى باقي بقاع العالم الإسلامي، وفي **المبحث الرابع** " إقليم الزاب في عصر الدولة الصنهاجية " تعرفنا خلاله على الصراع بين أبناء العمومة من البيت الصنهاجي حول النفوذ في بلاد المغرب بعد رحيل الفاطميين ، وما تبعه من تأسيس دولتين على ساحة بلاد المغرب و هما الدولتين الزيرية و الحمادية ، هذه الأخيرة التي أصبح الزاب ضمن حدودها الجغرافية ، وما تبعها من بداية استيطان القبائل العربية الهلالية و مختلف بطونها بإقليم الزاب و أهم مضاربها و أثرها على الحياة العامة للإقليم .

أما الفصل الثالث " الحياة الاجتماعية في إقليم الزاب "، جاء **مبحثه الأول** تحت عنوان "عناصر السكان " ، فكان تعريفا بالأجناس البشرية التي استوطنت الإقليم من سكان محليين إلى عناصر وافدة ، والتي انصهرت فيما بعد مشكلة لوحة فسيفسائية اجتماعية رائعة ، أما **المبحث الثاني** "المذاهب الدينية بإقليم الزاب بعد الفتح الإسلامي " فتطرقنا فيه إلى المذاهب المنتشرة بين السكان و تغلب كل طرف على

الآخر إما بالسيف أو بالمناظرات العلمية مع تسرب النحلة الخارجية و اعتناقها وإتباعها من طرف العديد من قبائل الإقليم إلى غاية سيادة المذهب المالكي نهائيا، وفي **المبحث الثالث** " أنماط المعيشة " التي عرفها أهل الزاب من مأكل و مشرب و ملبس و مسكن، وفي **المبحث الرابع** "العادات و التقاليد" حاولنا التعرف على العادات و التقاليد السائدة لدى السكان مثل الزواج و الاحتفال بالأعياد و الختان ... الخ ، إضافة إلى مكارم الأخلاق و الشهامة التي تحلى بها أهل الزاب .

وفي **الفصل الرابع المعنون "بالحياة الاقتصادية في إقليم الزاب "، جاء مبحثه الأول** عن أثر "الموقع الاستراتيجي لإقليم الزاب" الذي أحيا الجانب الاقتصادي من زراعة و صناعة وتجارة خاصة في أيام الأمن و الرخاء مع التعرف على أهم الطرق المحلية و الدولية التي تشق مدن إقليم الزاب، ثم عرجنا في **المبحث الثاني** عن أهم جانب اقتصادي في حياة المجتمع الزابي وهو " الزراعة أساليبها ووسائلها" و تطرقنا فيه إلى غنى الإقليم بمختلف المؤهلات التي تساعده في زراعة مختلف المنتجات الفلاحية مثل التربة الجيدة و مصادر المياه ، وتعرفنا على طرق ووسائل الغرس مع التعريف بأشهر المنتجات الزراعية لمدن الإقليم ، وتطرقنا في **المبحث الثالث** " الصناعة و المهن " إلى أهم الصناعات و المهن و الحرف التي كانت بإقليم الزاب خلال العصر الوسيط ، و التي ساهمت في خلق تبادل تجاري مع مختلف المدن و الأمصار، وهذا ما تم التوسع فيه في **المبحث الرابع** تحت عنوان "التجارة الداخلية و الخارجية " مع معرفة أشهر المنتجات الصادرة و الواردة إلى أسواق الإقليم .

وفي الفصل الخامس الحياة الثقافية و العلمية بإقليم الزاب تناولنا في **المبحث الأول**" العلم ومؤسساته في إقليم الزاب" لاحظنا فيه نشوء حركة علمية نشيطة خاصة أيام الدولة الأغلبية التي شجعت العلم و العلماء و كذلك في فترة سيادة المذهب الشيعي في بلاد المغرب و ظهور حركة علمية مدافعة عن المذهب المالكي و محاربة للأفكار الإسماعيلية الفاطمية ، وانتشرت هذه العلوم عبر مؤسسات عامة مثل المساجد و الكتاتيب و الحلقات ، أما **المبحث الثاني** "علماء إقليم الزاب مابين القرن 02 -05 هجري" فتتبعنا فيه علماء الإقليم حسب الكنية و النسب إلى مدينته و الذين صالوا وجالوا مشرقا و مغربا ناشرين فكرهم وعلمهم و أدبهم فمنهم الفقيه و الأديب و الشاعر و القاضي و معلم الصبيان و القرآن و الفلكي وغيرها ،

أما **المبحث الثالث** " الموقع الأثري طبنة" فهو محاولة لمعرفة حالة آثار مدن إقليم الزاب التاريخية ، واخترنا مدينة طبنة كنموذج لعظمة هذه المدينة و أهميتها على ساحة بلاد المغرب و ما يتعرض موقعها الأثري اليوم من تهميش و تخريب بفعل الإنسان .

و أخير الخاتمة التي تضمنت نتائج عامة و جملة من الاستنتاجات خاصة بموضوع الدراسة .

أهم المصادر و المراجع :

أ – المصادر :

1–كتب التاريخ :

– **ابن عبد الحكم** (ت 257هـ/870م) " فتوح مصر و المغرب " : يعد مصدرا هاما عن فترة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب رغم كون الكاتب مشرقيا ، و هو أقرب إلى فترة الفتوحات زمنيا وتعرفنا من خلاله عن أهم الفتوحات التي عرفها إقليم الزاب .

– **القاضي النعمان** أبو حنيفة بن أبي عبد الله بن حيون (ت 363 هـ/ 973 م) "افتتاح الدعوة ": هو المؤرخ الأول للدولة الفاطمية ، واستفدنا من الكتاب في الفصل الثاني عند الحديث عن الدولة الفاطمية وتأسيسها ، إضافة إلى حديثه عن مراحل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد .

– كما استفدنا من كتابه "**المجالس و المسايرات**" في تسجيل أحداث فترة الخليفة المنصور، خاصة أنه كان قريبا من البلاط الفاطمي في هاته الفترة معينا كقاض القضاة بها.

– **الرقيق القيرواني** أبو إسحاق بن إبراهيم القاسم (ت 417 هـ / 1026 م) "تاريخ إفريقية و المغرب" : يعتبر الكتاب مصدرا هاما عن فترة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب و عن عصر الولاة .

– **ابن حماد** أبو عبد الله مُحَمَّد الصنهاجي (ت 626 هـ / 1230 م) كتاب" أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم" : كانت له حلقة علم ببجاية و بها توفي ، كتابه عن أخبار بني عبيد أفادنا في تتبع أحداث إقليم الزاب بعد تأسيس الدولة الفاطمية.

- **ابن عذاري المراكشي** (ت 721 هـ / 1321 م) "البيان المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب" ، ج01 : من المصادر الهامة التي أرخت لبلاد المغرب ، حيث يذكر أهم الأحداث التاريخية لبلاد المغرب و أهم مناطق السكان به .

- **ابن خلدون** عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت 808 هـ / 1405 م) "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم" الجزء 06، يعتبر مؤلفه موسوعة تاريخية هامة خاصة في شقه الخاص ببلاد المغرب ، حيث يذكر الأحداث التاريخية للمنطقة و يعرف بكل قبائل البلاد و مواطن إقامتها و غيرها .

- كما استفدنا من كتابه**المقدمة** ، في الجانب العمراني و الاقتصادي .

- **الدّاعي إدريس** عماد الدين القرشي (ت 872هـ/1467م) ، "الدّولة الفاطمية بالمغرب "المهدي، القائم، المنصور ثورة أبي يزيد" من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار، ج05 ، أفادنا هذا الكتاب في تتبع المراحل السياسية و الثورات التي تعرضت لها الدولة الفاطمية من طرف سكان إقليم الزاب .

- صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي (عاش في القرن الثامن هجري) ، "مفاخر البربر" ، أفادنا هذا الكتاب في معرفة أصول القبائل البربرية إضافة إلى تفرده بذكر بضع أحداث وأعلام من إقليم الزاب عاشت في بلاد الأندلس.

2- كتب الجغرافيا والرحلات :

-**اليعقوبي** أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284 هـ / 898 م) "كتاب البلدان" يعتبر كتابه أهم المصادر الجغرافية و أقدمها ، حيث عدّ الكتاب خالصا له وحده ودون فيه مشاهداته و ملاحظاته دون النقل عن غيره ، و استفدنا من كتابه في جزئه الخاص بالمغرب و إقليم الزاب ، حيث عرف بطبيعتها وعمرانها ، وتطرق إلى سكانها و الطرق الرابطة و المسافات بين مدنها.

- **ابن حوقل** أبو القاسم النصيبي (ت 368 هـ/ 990 م) "كتاب صورة الأرض" : اعتبر كتابه من أهم كتب الرحلة و الجغرافيا ، حيث زار ابن حوقل إقليم الزاب وجاب مدنها و سجل ملاحظاته عن الطرق

الرابطة و المسافات بينها ، كما تطرق إلى التعريف بسكان المدن و أصولهم و إلى الخلافات بينهم ، كما تحدث عن اقتصاد مدن بلاد الزاب ، ووصف طرق التجارة و السلع الواردة و الصادرة من إقليم الزاب . فبذلك كان كتابه مصدرا جغرافيا لا غنى عنه لأنه عاصر فترة هامة في تاريخ المنطقة و هي فترة حكم الفاطميين بالرغم من اتهامه بالولاء لهم ، وهذا الأمر ظهر جليا خلال حديثه عن ثورة صاحب الحمار الذي اتهمه بالكفر و النفاق ، بينما يسمي الخليفة الفاطمي المنصور بمولانا أمير المؤمنين .

- **المقدسي** شمس الدين أبو عبيد الله (ت 388 هـ / 1010 م) كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" : تكمن فائدة الكتاب في أن المقدسي زار بلاد المغرب و إقليم الزاب وطاف بها كسابقَيْه اليعقوبي و ابن حوقل ، و تحدث في كتابه عن عادات البربر و معتقداتهم و أنماط حياتهم ، إضافة إلى تحديده لكيفية حساب المسافات مثل الميل ، و الفرسخ و المرحلة ....

-**البكري** أبو عبيد الله بن عبد الله البكري الأندلسي (ت 487 هـ / 1094 م) كتاب "المسالك و الممالك" ج02 : ما عرف عن البكري أنه لم يزر بلاد المغرب و جمع مادته العلمية من خلال مؤلفات و وثائق أندلسية لذلك جاء وصفه لإقليم الزاب وصفا وافيا دقيقا ، و المفيد في كتابه أنه زاوج بين المعلومات التاريخية و الجغرافية ، مما جعل هذا الكتاب مهما في وصف مدن بلاد المغرب و الزاب و طرقها التجارية و سلعها و بضائعها ، و مكاييلها و أوزانها و أنماط العيش و أساليب الحياة .

- **مجهول** (مراكشي كان حيا في القرن السادس هجري) كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار" : خصص جانبا من كتابه لبلاد المغرب عامة ، وزار مدن بالزاب و الأوراس ووصف حصونها وقلاعها و خيراتها ، و يعتبر مصدرا مهما لأن إقليم الزاب في تلك الفترة كانت في ظل كيان اجتماعي جديد وهو استيطان قبائل بني هلال وسيادة القبيلة بدل الدولة ، كذلك استفدنا من وصفه لخيرات الإقليم في هذه الحقبة ، حيث نرى أنه لا يوجد دور لقبائل بني هلال في تهديم و تخريب العمران ، على عكس ما صورته العديد من المصادر و المراجع .

- **الإدريسي** الشريف مُحَمَّد بن عبد الله (ت 560 هـ / 1166 م) كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ج01 : يعد كتاب الإدريسي من أهم الكتب التي اعتمدنا عليها ، حيث سار الإدريسي على منحى البكري في تدوين كتابه ، ووصف مدن الزاب وتاريخها ، وحالة عمرانها ، وطرق التجارة و السلع ، و أورد منافذ جديدة تربط مدن الزاب مع غيرها مثل الطريق بين بجاية و طبنة ، كما وصف مواطن البربر و عناصر سكان المدن ، وذكر بعض حرف و صناعات سكان بلاد الزاب ، فاستفدنا من الكتاب في الناحيتين الاقتصادية و الاجتماعية .

- **الحميري** أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 727 هـ / 1333 م) كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" : يعد كتابه موسوعة جغرافية ، واستفدنا منه خاصة في جانب ذكره للفتوحات الإسلامية عبر مختلف مراحلها ، إضافة إلى وصفه لزراعة مدن إقليم الزاب و مصادر مياهها .

3- كتب الطبقات و التراجم :

- **ابن حزم** أبو مُحَمَّد علي بن أحمد (ت 456 هـ / 1064 م) كتاب "جمهرة أنساب العرب" : استفدنا من كتابه هذا ع خاصة في ذكر أنساب العرب ، وعرف أنه دقيق في نقل أنساب كتابه .

- **ابن بسام** أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542 هـ / 1151 م) " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" : و أفادنا هذا الكتاب في معرفة علماء بلاد الزاب الداخلين إلى الأندلس مثل علماء مدينة طبنة .

- **ابن بشكوال** أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ / 1187 م) "الصلة في تاريخ علماء الأندلس" ، و أفادنا هذا الكتاب في معرفة علماء الزاب و دورهم الريادي في مختلف المجالات الفقهية منها أو الأدبية أو القضائية و غيرها .

- **الضبي** أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1203م)، "بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" ، ج01 ، تتبعنا من خلال هذا الجزء علماء مدينة طبنة المتواجدين بمختلف مدن الأندلس.

- **القاضي عياض** أبو الفضل عياض بن موسى (ت544هـ/1149م) ، "ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" ، ج02 ، أفادنا هذا الجزء في معرفة أعلام مذهب مالك من أهل الزاب.

4- كتب النوازل:

- **الونشريسي** أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1509م) ، " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب" ، ج03 ، استطعنا من خلال هذا الكتاب التعرف على جوانب من حياة أهل الزاب من خلال النوازل الفقهية التي أجاب عليا صاحب المعيار.

ب – المراجع :

بالرغم من عدم توفر مراجع خاصة بموضوع الزاب ، وإن وجدت فإن ذكر الإقليم يكون طفيفا ، ماعدا ما جاء في كتابات الدكتور موسى لقبال حول " طبنة مدينة الزاب و الأوراس في العصور الوسطى " ، و " طبنة في مجال العلاقة بين زناتة و الفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطميين " ،

أما عن أهم المراجع المعتمدة في الدراسة :

–موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، أفادنا هذا الكتاب في التعرف على أوضاع إقليم الزاب قبل و أيام انتشار الإسلام بالإقليم .

– موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية و أفادنا هذا المرجع في رسم صورة للأحداث التاريخية الواقعة من تسرب الدعوة الشيعية بالمنطقة المصاحبة لإسقاط كل الكيانات السياسية ببلاد المغرب حتى خروج الفاطميين من بلاد المغرب .

- **شنيتي مُحَّد البشير** ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج 01-02 ، وأفادنا هذا الكتاب في تتبع تاريخ بلاد الزاب و مدنها منذ تأسيسها إبان الحكم الروماني ، إضافة إلى الصراع بين السكان المحليين و الغزاة الجدد ، ووضع إقليم الزاب قبيل الفتح الإسلامي .

- **جودت عبد الكريم يوسف** ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع هجري (09-10 م) ، كان اعتمادنا على هذا الكتاب كبيرا نظرا للمعلومات الاقتصادية و الاجتماعية التي حواها ، ومن خلال هذا الكتاب تمكنا من رسم خطة محكمة للفصل الثالث .

- **عادل نويهض** ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ساعدنا هذا الكتاب في ضبط أعلام إقليم الزاب ، حيث قام المؤلف بترتيب الأعلام وفق كنية أو انتساب كل علم إلى مدينته الأم مثل : الطبني ، المسيلي ، إلى غير ذلك .

- **بن عميرة مُحَمَّد** ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، و أفادنا هذا الكتاب في معرفة حقيقة الصراع الزناتي الكتامي ، ثم تتبع مراحل ثورات أهل الزاب ضد السلطة الفاطمية منذ ثورة مُحَمَّد ابن خزر إلى غاية نهاية ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

- **بن عميرة مُحَمَّد** ، بنو خزر و دورهم السياسي و العسكري في المغرب العربي ، استطعنا من خلال هذا المرجع التعرف على أوضاع إقليم الزاب أيام الصراع بين الأسرة الصنهاجية حول النفوذ و السيطرة على البلاد .

- موسى رحماني ، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27- 362 هـ/ 637-972 م) ، دراسة اجتماعية ، بالرغم من كون الرسالة تتحدث عن الأوراس في دراسة اجتماعية إلا أن الرسالة أفادتنا في معرفة عادات سكان المنطقة بعد إسقاط معلومات الأوراس على إقليم الزاب و مقارنتها ببعضها .

- صورية مديازة ، بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21-362 هـ / 642 – 972 م) ، كانت هذه المذكرة من أهم المراجع التي كانت بين أيدينا ، حيث ساهمت هذه الرسالة التي تبحث في تاريخ إقليم الزاب في وضع خطة الدراسة خاصة في الفترة مابين عصر الولاة و تأسيس الدولة الفاطمية .

صعوبات البحث:

و قد واجهتنا صعوبات جمة في دراستنا لهذا الموضوع أهمها :

– عدم توفر العديد من المراجع التي تخدم الموضوع مباشرة .

– صعوبة ضبط حدود إقليم الزاب الجغرافية و التي اتسمت بعدم الثبات على مختلف فترة الدراسة بسبب الأوضاع السياسية السائدة (ق 02-05 هـ /08-11م) .

– إطناب بعض المصادر الجغرافية في وصف الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، بينما تقتضب في المجال التاريخي، مما حدا بنا إلى حتمية المزاوجة بين المصادر التاريخية و الجغرافية.

– إن امتداد الفترة المعينة بالدراسة على أربعة قرون يصعب علينا عملية تتبع الأحداث التاريخية و الحرص على تناسقها و ترتيبها زمنيا، إضافة إلى اختلاف الحالة الاقتصادية و الاجتماعية من زمن إلى آخر.

– تناثر تراجم علماء الإقليم في الكثير من المصادر المختلفة من كتب الطبقات و السير و التراجم و الجغرافية ، بالإضافة إلى تشابه الأسماء و الكنى و تضارب في تواريخ العلماء بين المصادر .

و في الختام، أشكر الأستاذة الدكتورة نبيلة عبد الشكور على وقوفها خلف الرسالة منذ أول يوم،كما لا يسعنا إلا أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر لأعضاء اللجنة العلمية الموقرة على تعبها وسهرها على قراءة وتصويب وإثراء العمل من الناحية الأكاديمية و المنهجية في ظل ظروف الوباء.

و يمكننا القول أننا حاولنا أن نكون الأقرب إلى الحقيقة، فإن أصبنا فبتوفيق من الله وحده، و إن كان غير ذلك فحسبنا أننا اجتهدنا فلا نعدم بعد ذلك أجر المجتهد، و الحمد لله الذي تتم بنعمته جميع الصالحات.

مختصر الكلمة	الكلمة
تح:	تحقيق
تر:	ترجمة
ط:	طبعة
د .ط:	دون طبعة
ج:	جزء
د .ت:	دون تاريخ
مج:	مجلد
ص:	صفحة
د د ط:	دون دار طبع
مر:	مراجعة
ضب:	ضبط
تع:	تعليق
Op cit	المرجع السابق
ibid	نفس المرجع

الفصل الأول : إقليم الزاب – المدلول الجغرافي و التاريخي –

المبحث الأول:التعريف اللغوي و أصل التسمية.

- التعريف اللغوي.
- أصل التسمية .

المبحث الثاني : الحدود الجغرافية لإقليم الزاب مابين القرن 02–05هـ/08–11م .

- الموقع الفلكي.
- التضاريس .
- المناخ .

المبحث الثالث : إقليم الزاب قبل الفتح الإسلامي .

المبحث الرابع : حواضر إقليم الزاب الكبرى بعد الفتح الإسلامي.

- أذنة.
- طبنة.
- المسيلة .
- قلعة بني حماد .
- بسكرة

المبحث الأول: التعريف اللغوي و أصل التسمية.

أ – التعريف اللغوي:

حظي مصطلح الزاب بتعريفات عديدة في مختلف الكتب و المعاجم اللغوية ، وهذا راجع لشهرة الاسم و احتلاله مكانة تاريخية سواء مشرقا أو مغربا .

حيث عرّف أبو عمرو الشيباني(ت 206 هـ / 821 م) مصطلح الزاب في معجم الجيم : " زأب حتى امتلأ بطنه أي شرب ، و الزأب : شرب شديد وقال الخضعمي : الازدئاب :الاحتمال نقول ازدابه أي احتمله وزأب الشيء : حمله " [1] .

بينما يورد الجوهري (ت 393 هـ / 1002 م) في معجم الصحاح : " زأب الرجل و ازدأب إذن حمل ما يطيق ، و أسرع المشي ، و زأب الرجل إذن شرب شربا شديدا " .[2]

أما في معجم البلدان للحموي (ت 625 هـ/ 1230 م) فالزاب بعد الألف باء موحدة ، إن جعلناه عربيا أو حكمنا عليه بحكمه : زأب الشيء إذا جرى ، و زاب يزوب : إذا انسل هاربا [3].

ويُعرف ابن منظور (ت 711 هـ / 1311 م) الزاب بقوله : " زاب : زأب القربة يزأبها زأبا ، وازدأبها : حملها ثم أقبل بها سريعا ، و الازدئاب الاحتمال و كل ماحملته بمرة شبه الاحتضان فقد زأبته ، و زأب الرجل و ازدأب : إذا حمل ما يطيق و أسرع في المشي ، وازدأب القربة ثم شمر ، و زأبة القربة وزعبتها وهو

---

[1]– أبو عمرو الشيباني ،كتاب الجيم ، تح : عادل عبد الجبار الشباطي ، مكتبة لبنان، ط01 ، بيروت ، 2003 ، مادة (زأب) ، ص 191 .

[2]– إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط 01 ، بيروت ، 1979 ، مادة (زأب) ، ص 141 .

[3]– ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج03 ، تح: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 1990 ،ص138 .

حملها محتضنا ، و الزأب أن تزأب شيئا فتحمله بمرة واحدة ، و زأب الرجل إذا شرب شربا شديدا و زأب يحمله يجره. " [1]

و " زأى : إذا تكبر ، وزبى : الزبية التي لا يعلوها الماء ، الجمع الزُبى ، والزبية حفرة يتزبى فيها الرجل للصيد ، وتحفر للذئب فيُصْطاد فيها ، حفيرة يُشتوى فيها و يُختبز ، وزبى اللحم وغبره :طرحه فيها ." [2]

وفي موضع آخر من كتابه : " الزُبية ، بئر أو حفرة تحفر للأسد ، وقد زباها وتزبّاها ، و الزُبية أيض حفرة النمل والنمل لا تفعل ذلك إلا في موضع مرتفع ، و الأُزبي : السرعة و النشاط في السير ، و الأزابي : ضروب مختلفة من السير " [3].

أما في القاموس المحيط فنجد : " زأب القربة : حملها ثم أقبل بها سريعا و ازدأبها وشرب شربا شديدا ، و الإبل ساقها الزآنب القوارير ، و عام أزب مخصب " . [4]

و نجد تعريف كلمة الزاب في كتاب المنجد للغة و الإعلام : " زأب زأبا : شرب شربا شديدا و الدهر به : انقلب وازدأب ازدئابا ، القربة : حملها و أقبل بها مسرعا ... وزبّ القربة : ملأها ... زبّ زبّا الحِمل : حمله " . [5].

ونفس التعريف نجده في المعجم الوسيط : " زأب ، زأبا : شرب شربا شديدا و – بحمله – جره ، و الإبل : ساقها ، و الشيء : حمله محتضنا إياه و أقبل به مسرعا ، وزبّ القربة زبّا ملأها بالحِمل : حمله". (6)

---

[1]– أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، مج 01 ، دار إحياء التراث العربي ،ط03 بيروت ، 1999 ،(مادة زأب) ، ص – ص 443-444 .

[2]– نفس المصدر ، مج 14 ، (مادة زأى) ، ص 353 .

[3]– نفس المصدر ، مج 14 ، مادة (زأى) ، ص 354 .

[4]– أبو طاهر مجيد الدين الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج01 ، دار العلم للجميع ، بيروت ، لبنان ، دت ،(مادة زأب) ، ص 77 .

[5]– المنجد في اللغة و الأعلام : المنجد في اللغة ، دار المشرق ، ط42 ، بيروت ، 2007 ، (مادة زأب) ، ص 292 .

[6]– مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ،ط04 مصر ،2004 ، (مادة زأب) ، ص 387 .

ومن خلال ما سبق من التعاريف نجد أن معنى كلمة " زاب " يدور في فلك : الماء ، الحفرة ، السرعة ، فالزاب قد يكون المكان المرتفع الذي يسيل منه الماء بسرعة ، أو أن الزاب يعني تلك المناطق المحصورة بين الأودية و الأنهار و التي تشكل روافده ، و عادة ما تكون خصبة مثل أراضي العراق مابين دجلة و الفرات[1].

ب – أصل التسمية :

وردت الكثير من الآراء حول أصل تسمية الزاب ، هل هي عربية أم أعجمية أم بربرية ؟ و إن كانت مشرقية كيف انتقل المصطلح إلى بلاد المغرب؟ .

أول ماجاء في ذكر تسمية الزاب نجده عند الجغرافي ابن خرداذبة (ت 279 هـ) [2] في كتابه المسالك و الممالك حيث ينقل كلمة الزاب من الفارسية إلى العربية :" كورة استان به ذيوماسفان " [3] أي الزوابي ثلاثة طساسيج – نواحي– طسوج الزاب الأعلى ، الأوسط ، الأسفل .

ويوافق الحموي [4] في أن أصل كلمة الزاب فارسية وتنسب إلى ملك فارسي يدعى " زاب بن توركان بن بن منو شهر بن ايرج بن أفريدون " كان له الفضل في شق واديين من أودية بلاد الرافدين فسميا عليه [5].

.

[1] – عبد الحليم صيد ، أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة ، مطبعة سوف ،ط01 ، الوادي ، 2000 ، ص 03 .

[2] – **ابن خرداذبة** ، هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المشهور بابن خرداذبة ، ينتسب إلى أسرة فارسية اعتنقت الإسلام و كان جده مجوسيا ، أما والده فكان حاكما على طبرستان ، شغل منصب مدير البريد و الخبر بنواحي الجبال بفارس ثم شغل رئيس هذه المصلحة ببغداد ، له كتاب أسماه المسالك و الممالك و الذي بدأ بتأليفه عام232 هـ و تابع عمله عليه حتى وفاته سنة 272 هـ ، **أنظر** : عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ،دار الفكر المعاصر ، ط 03 ، سوريا ، 1983 ، ص 106 .

[3] – أبو القاسم عبيد الله ابن خرداذبة ، المسالك و الممالك ، تحقيق: ديغوابيه ،مطبعة بريل ، ليدن ،هولندا، 1889 ، ص 08 .

[4] – **ياقوت الحموي (575 –626 هـ)** ولد ياقوت ببلاد الروم وأوتي به أسيرا و تم شراءه ببغداد ثم عتقه من مولاه الحموي الذي انتسب إليه ، بدأ بتأليف كتابه معجم البلدان عام612 هـ و أتمه عام 621 هـ ، وهو من أهم الكتب الجغرافية ، **أنظر** : أحمد رمضان أحمد ، الرحلة و الرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة ، جدة ، د.ت ، ص177 .

[5] – الحموي ، المصدر السابق ، ج 03 ، ص 138 .

وورد في دائرة المعارف معنى مصطلح الزاب و الذي وافق ما جاء به الحموي لكن الاختلاف في تسمية الملك الفارسي زاب بن طوقان ، أما الزاب الأعلى فاسمه : هوليكوس أوزاباتيوس أوزابا. [1]

وهناك من يرجع مصطلح الزاب بالمشرق إلى النصوص المسمارية العراقية القديمة ، حيث ورد بصيغة أكادية على هيئة زاب عليو zalu elu وزاب شيل zalu splu ، أما الإسم (زاب) في التراث اللغوي القديم الذي ظهر قبل الكتابة قد يضاهي الكلمة العربية (الصّاب) أي النهر الذي يصب أو الرافد العظيم [2].

إذن فالزاب بالمشرق هو اسم لواديين وهما : الزاب الأعلى أو الكبير الذي ينبع بين الموصل و أربيل ومنبعه بلاد مشتكهر مابين أذربيجان و بابغيش ، يقول عنه الحموي أن هذا " الوادي شديد الحمرة ويجري في جبال و أودية ، وكلما جرى صفى قليلا حتى يصير في ضيعة كانت ليزيد بن عمران أخي خالد بن عمران الموصلي " [3]، ويقدر طول الزاب الأعلى ب392 كم [4].

أما الزاب الأسفل أو الزاب الصغير فهو وادي ينبع من جبال السلق ما بين شهرزور و أذربيجان ، بينه و بين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ، ويصب في نهر و يقدر طوله ب400 كم و ينبع من إيران. [5]

و بالعراق كذلك بين مدينتي بغداد وواسط رافدان آخران يسميان بالزاب الأعلى و الزاب الأسفل ، و أورد عنهما ابن منظور : " الزابيان : نهران بناحية الفرات ، وقيل في سافلة الفرات ، ويسمى ما حولهما من الأنهار الزوابي ، و ربما حذفوا الياء فقالوا الزّابان"[6].

هنا تتضح صورة الزاب بالمشرق ، ونطرح التساؤل التالي: هل من الممكن أن المصطلح انتقل إلى بلاد المغرب و إلى ماذا تنسب ؟

---

[1]– بطرس البستاني ، دائرة المعارف –قاموس لكل فن ومطلب – ، مجلد09 ، مطبعة المعارف ، بيروت ، 1884 ، ص 149

[2]– فوزي مصمودي ، الزاب – المصطلح و الدلالات ، دار علي بن زيد ، بسكرة ، 2013 ، ص ـ ص 23 – 24 .

[3]– الحموي ، المصدر السابق ، ج 03 ، ص 138 .

[4]– المنجد في اللغة و الأعلام ، المرجع السابق ، ص 276 .

[5]– نفس المرجع ، ص 276 .

[6]– ابن منظور ، المصدر السابق ، مج 14 ، ص 353 .

أما ببلاد المغرب ، فيمكن أن يكون الزاب نسبة كلمة إلى المدينة الرومانية زابي[1] التي تقع بالقرب من مدينة المسيلة [2]، فعلى هذا الأساس يمكننا القول من أن الامتزاج الحضاري و اللغوي و التداخل الثقافي بين الفرس و الروم ، والحروب بينهما أدى إلى انتقال المصطلح إما من الفرس إلى الروم أو العكس ، فالتأثيرات الاجتماعية و الثقافية – كما هو معروف – لا تعترف بالحدود و لا الحروب [3] ، ويمكننا اعتبار أن التحول الطوبونومي الملحوظ في اسم الإقليم من "نوميديا" إلى "الزّاب" ما هو إلا القطيعة التي أحدثتها بروز ألفاظ معربة نتجت عن نجاح عملية تعريب أسماء المواقع المحلية إذ بدأت الجماعات المحلية في الانصهار في المرحلة الجديدة التي أسست لميلاد الزاب الإسلامية لتنتهي مرحلة الهيمنة اللاتينية و اليونانية [4] ، فهذه التسمية ذات الجذور البابلية أو الفارسية المعربة استخدمت لتعني نهر الزاب في وادي الرافدين ، ثم استعملت في أرض المغرب لتدل على وادي أوراس الأعلى وما جاوره ، ويشير إذا بصفة أساسية لنوميديا الجنوبية ، ثم استخدم ليعني كامل المقاطعة القديمة [5].

ومع مرور الزمن و تغير المساحات و المصطلحات ، نجد أن السكان المحليين ببلاد المغرب يطلقون كلمة الزاب و هي كلمة أمازيغية تعني الواحة [6] ، ويورد الحموي مصطلحا جديدا خلال القرن السابع الهجري :

---

[1]– **مدينة زابي** ، مدينة رومانية قديمة ، تقع قرب مدينة المسيلة ، أقام حولها الرومان الكثير من الأبراج و مراكز الحراسة في إطار خط الليمس الدفاعي و تدعى اليوم بشيلقا ، تم تهديمها على أيدي الوندال ثم أعاد البيزنطيون بنائها و سميت بزابي جستنيان ، أنظر : مُحَمَّد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج 01 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص 179

[2]– حسين مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته ، ج 01 ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1996 ، ص 203 .

[3]– صورية مديازة ، بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21-362 هـ / 642-972 م) ، رسالة ماجستير ، جامعة باتنة ، 2009- 2010، ص 05 .

[4]– الصادق زياني ، التوطين البشري والواقع المذهبي للجماعات ببلاد الزاب القرن (02-05 هـ / 08-11 م) ، مقال ضمن كتاب : بحوث و دراسات تاريخية أعمال مهداة للأستاذ لعميد عبد العزيز ، مطبعة نواصري ، ط 01 ، المسيلة ، 2017 ، ص 244.

[5]– هشام جعيط ، تأسيس الغرب الإسلامي (القرن الأول و الثاني هـ / السابع و الثامن م) ، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط01، بيروت ، 2004 ، ص 54 .

[6]– عبد القادر بومعزة ، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ، ج01 ، دار علي بن زيد للطباعة ، ط01 ، بسكرة ، 2016 ، ص29.

: " قال الأصم المنورقي : الزاب كورة صغيرة يقال لها ريغ و هي كلمة بربرية معناها السبخة فمن كان منها يقال له الريغي " [1]، و السبخة لغة هي الأرض ذات النزّ و الملح ولهذا سميت بلاد ريغ جنوب زيبان بسكرة بهذا الاسم نسبة إلى شط ملغيغ [2].

بينما يرى إسماعيل العربي أن مصطلح بلاد الزاب أطلق على المناطق المليئة ببساتين النخيل و تخترقها السواقي و الأودية [3] ، وهنا يتوافق التعريف مع ما ورد عن المعاجم اللغوية ، وأن التسمية المحلية توافق المعنى الاصطلاحي و اللغوي ببلاد المشرق.

[1]– الحموي ، المصدر السابق ، ج 03 ، ص 124 ، أنظر أيضا : عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج01 ، دار الحياة ، ط02 ، بيروت ، لبنان ، 1965.

[2]– فوزي مصمودي ، المرجع السابق ، ص 20.

[3]– إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983 ، ص 142 .

المبحث الثاني : جغرافية إقليم الزاب خلال العصر الوسيط .

عرف إقليم الزاب خلال العصر الوسيط اتساعا وتقلصا في الحدود الجغرافية نتيجة الواقع السياسي والقوى الحاكمة للمنطقة ، فزاب القرن الهجري الأول ليس زاب القرن الثامن هجري و هذا راجع إلى الصراع حول المجال بين دول متجاورة أو بين القبائل المحلية و العنصر الوافد إلى البلاد تارة أخرى ، لذلك تتبعنا كتب الجغرافيا و الرحلة و ما كتبه المؤرخون عن جغرافية إقليم الزاب كل في عصره و زمانه .

فابن خرداذبة (ت 279 هـ/885 م) في كتابه المسالك و الممالك ، يعدد مناطق نفوذ بني الأغلب بقوله : " وفي يده (أي الأمير الأغلبي) قابس[1] وجلولا[2] و سبيطلة[3] . و مدينة الزاب و تهوذة[4] .. "[5] فلم يحدد مدينة الزاب أو حاضرتها الكبرى في متن حديثه ، لكنه يتدارك ذلك في فهرس كتابه بذكر " طبنة مدينة الزاب " [6].

وتتجلى صورة بلاد الزاب عند اليعقوبي (ت 284 هـ/897 م) فيقول عنها : " ومدينة الزاب العظمى طبنة ،وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط من قريش و العرب و الجند و عجم من أهل خراسان ...

---

[1] – **قابس** ، تعد أيضا من بلاد الجريد ، بينها وبين طرابلس ثمانية أيام ، وهي مدينة كبيرة قديمة أزلية عليها سور صخر جليل من بناء الأول ، ولها حصن حصين و أرباض واسعة ، وفيها فنادق و حمامات ، وبين مدينة قابس و البحر نحو ثلاثة أميال ، وهي مدينة صحراوية بحرية ، أنظر : مؤلف مجهول (عاش في القرن السادس هجري)، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د . ت ، ص113 .

[2] – **جلولا** ، هي قديمة لها حصن وعين ثرة في وسطها ، وهي كثيرة البساتين و الأشجار غزيرة الفواكه و الثمار ، وكانت أكثر فواكه القيروان تجلب إليها منها ، فتحها معاوية بن حديج الكندي سنة خمس و أربعين .، أنظر :**مُحَمَّد بن عبد المنعم الحميري** ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط 02 ، بيروت ، 1984 ، ص 168 .

[3] – **سبيطلة** ، هي مدينة قمودة ، على سبعين ميلا من القيروان ، قال عريب : على مسافة يومين من القيروان ، وهي بلد واسع فيه مدن و حصون ، و المدينة القديمة العظمى هي التي يقال لها سبيطلة ، وهي كانت مدينة جرجير التي دخلها عليه المسلمون في جيش عبد الله بن أبي سرح في صدر الإسلام ، أنظر : **الحميري** ، المصدر السابق ، ص 302 .

[4] – **تهوذة** ، من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة ، وهي مدينة أولية بنيانها بالحجر الجليل وعليها سور عظيم ، ولها ربض ويدور بجميعها خندق ، وفيها قتل عقبة و جميع من معه ، وقبر عقبة اليوم بتهودة على مقربة منها بمرحلة، أنظر :**الحميري** ، المصدر السابق ، ص 142 .

[5] – ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص 87 .

[6] – نفس المصدر ، ص 289 .

والزاب بلد واسع فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية[1] ... ومدينة يقال لها تيجس[2] من عمل باغاية... و مدينة عظيمة جليلة يقال لها ميلة عامرة محصنة .... و مدينة يقال لها سطيف ...ومدينة يقال لها بلزمة[3] .... و مدينة يقال لها نقاوس[4] ... و طبنة مدينة الزاب العظمى و هي في وسط الزاب و بها ينزل الولاة ... و مدينة يقال لها مقرة[5] لها حصون كثيرة ... و مدينة أربة و هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في في آخر عمل بني الأغلب ... " [6] ، فقد أصبح لمدينة طبنة دور الإشراف و التوجيه الإقليمي في منطقة شاسعة و متنوعة العناصر و الخيرات و الظواهر الجغرافية ، وصارت تشتمل على الزاب و بلاد الجريد وقاعدته مدينة بسكرة ، و الأوراس و حاضرته مدينة باغاي و الشمال القسنطيني و أرض كتامة و عاصمتها .

[1] – **باغاية** ، هي مدينة كبيرة عليها سور أزلي من حجر ، ولها من البساتين الكثير ، وهو بلد بربري البادية و أكثر غلاتهم الحنظة و الشعير ، وجبل أوراس منها على أميال ، ولباغاي طريق يأخذ على بلزمة إلى نقاوس إلى طبنة ، أنظر :**ابن حوقل النصيبي** ، **صورة الأرض** ،دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، لبنان ، 1992 ، ص 85 .

[2] – **تيجس** ، مدينة أولية شامخة البناء كثيرة الكلأ والربيع ، تقع على الطريق بين القيروان و قلعة أبي الطويل ، أنظر : **أبو عبد الله البكري** ، **المسالك و الممالك** ، **ج02** ، تح:جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 2003 ، ص 232 .

[3] – **بلزمة** ، حصن أولي وهو في بساط من الأرض كثير المزارع و القرى ، أنظر :**البكري** ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 228 ، وبلزمة حاليا تبعد عن مدينة مروانة ولاية باتنة بخمسة كلم ، أنظر ،**الطاهر طويل** ، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط – من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس – ، المتصدر للترقية الثقافية و العلمية و الإعلامية ، ط01 ، الجزائر ، 2011 ،ص87.

[4] – **نقاوس** ، هي مدينة كثيرة الأنهار و الثمار و المزارع ، وبشرقيها مدينة اللوز ، أنظر :**البكري** ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 228 ، ومدينة نقاوس مدينة صغيرة بينها و بين طبنة مرحلتان وهي كثيرة الشجر و البساتين و أكثر فواكهها من الجوز ، أنظر : **أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشريف الإدريسي** ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مجلد 01 ، دار عالم الكتب ، ط01 ، لبنان ، 1989 ، ص 264.

[5] – **مقرة** ، هي مدينة صغيرة وبها مزارع و حبوب و أهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير ومن مقرة إلى طبنة مرحلة ، أنظر : **الإدريسي** ، المصدر السابق ، مجلد 01 ، ص 263 .

[6] – أحمد اليعقوبي ،كتاب البلدان ، وضع حواشيه : مُحَمَّد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ،ص ـ ص 85– 87 .

ميلة ، ثم منطقة طبنة التي تتاخم إقليم المسيلة [1] .

بينما لم يعرف ابن حوقل (ت 367 هـ / 977 م) في كتابه صورة الأرض مدن الزاب ، لكنه بالمقابل من ذلك قام بتحديد وتعديد الطرق الرابطة بين مناطق بلاد المغرب مما سمح بالتعرف على الطرق الرابطة بين مدن الزاب مع غيرها من المدن ، فحدد ثلاث طرق تمر ببلاد الزاب تنطلق من القيروان باتجاه المسيلة و منها إلى تيهرت أو سجلماسة جنوبا [2]، و سنأتي بذكر هذه الطرق في المباحث القادمة.

في حين نجد المقدسي (ت 388 هـ /998 م) يصف الطرق الرابطة بين المدن و هو أقرب بذلك إلى ابن حوقل الذي عاش في زمانه ، فيذكر عن بلاد الزاب : " و الزاب مدينتها المسيلة و لها مقرة ، طبنة ، بسكرة ، بادس ، تهوذا ، طولقا ، جميلة ، بنطيوس ، أذنة ، أشير " [3]، ففي عهد المقدسي تراجع دور مدينة طبنة وتحولت قصبة بلاد الزاب إلى المحمدية (المسيلة) بعد بنائها من طرف الفاطميين. [4]

و على العكس من ذلك ، يشير البكري (ت 487 هـ / 1097 م) على أن مدينة المسيلة من مدن الزاب ، وذلك في ذكره للطريق مابين قلعة بني حماد و تنس ، واعتبر مدينة ميلة من غرر مدن الزاب. [5]

أما الإدريسي (ت 560 هـ / 1166 م) فيذكر على أن مدينة طبنة على أنها مدينة الزاب ووصف المسافة الرابطة بينها و بين المدن المجاورة حيث يقول : " و المسيلة في أرض طبنة ... ومن المسيلة إلى طبنة مرحلتان و طبنة مدينة الزاب ... ومن مقرة إلى طبنة مرحلة وبين طبنة ومدينة بجاية ستة مراحل و كذلك من طبنة إلى باغاي أربع مراحل. " [6]

---

[1]– موسى لقبال ، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي ، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 05 ، الجزائر ، 1991 ، ص 93 .

[2]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ـ ص 85 -87.

[3]– المقدسي ، المصدر السابق ، ص 221 .

[4]– موسى لقبال ، طبنة مدينة الزاب و الأوراس في العصور الوسطى ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، العدد60-61 ،1978 ، ص 91 .

[5]– أبو عبد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت ، ص ـ ص59-64

[6]– الإدريسي ، المصدر السابق ، مج 01 ، ص 263 .

أما عند صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار (كان حيا خلال القرن السادس هجري) يصف إقليم الزاب و يتحدث عن تحول عاصمة الإقليم إلى بسكرة في عصره ويعرفها بقوله : " و هي على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد ، و هي مثلها في حر هوائها وكثرة نخلها ، وهي مدن كثيرة و أنظار واسعة و عمائر متصلة فيها المياه السائحة و الأنهار و العيون الكثيرة " [1]، ثم يذكر مدن بلاد الزاب : " مدينة بسكرة هي قاعدة بلاد الزاب ومن مدنها : المسيلة ، نقاوس ، طبنة ، تهوذة ، و بادس وهي آخر بلاد الزاب[2]. "

بينما يذهب الحموي (ت 625 هـ / 1230 م) إلى عدم ذكر الزاب بالتفصيل ، بل يذكر مدنه واحدة على حدا ، حيث قال : " بسكرة بكسر الكاف ، بلدة بالمغرب من نواحي الزاب" [3]، ثم يعرج على مدينة توزر و يذكر عنها : " توزر : مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد ... "[4] ، ثم ينقل في جزئه الثالث عن السلفي : " سمعت عن الأصم المنورقي يقول : الزاب الكبير منه بسكرة و توزر و قسنطينة و طولقة و قفصة و نفزاوة و نفطة و بادس " [5]، و يخرج مدينة طبنة من عمل الزاب بقوله : " وطبنة بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب [6] ".

أما ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ / 1292 م) فيذكر عن الزاب في كتابه الجغرافيا على أنها تشتمل على مدينة بسكرة فقط دون إعطاء تفاصيل أخرى عن مدن بلاد الزاب ، حيث قال : " بلاد ريغ ، طولها نحو خمسة أيام ، وفي شرقيها مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب... [7]"

---

[1]– الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 171 .

[2]– نفس المصدر، ص 171 .

[3]– الحموي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 422 .

[4]– نفس المصدر ، ج 02 ، ص 57 .

[5]– نفس المصدر، المصدر السابق ، ج 03 ، ص 124 .

[6]– نفس المصدر ، ج 04 ، ص 21 .

[7]– ابن سعيد المغربي ،كتاب الجغرافيا ، تقديم : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط02 ، الجزائر ، 1982 ، ص 126 .

ونجد تعريف إقليم الزاب عند الحميري (ت 727 هـ / 1330 م) هو نفسه تعريف صاحب الاستبصار لها وربما نقل المعلومة عنه ، حيث قال : " و الزاب أيضا على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية وهو مثلها في حر هوائها و كثرة نخيلها ، وهو مدن كثيرة و أنظار واسعة و عمائر متصلة فيها المياه السائحة و الأنهار و العيون الكثيرة ، و من مدنها المسيلة ، نقاوس ،و طبنة و بسكرة وتهودة و غيرها ... "[1]

وتظهر جغرافية الزاب خلال القرن التاسع الهجري بشكل أوضح عند الحسن الوزان (ت 900 هـ/1503م) حيث عرف إقليم الزاب بقوله : " يقع هذا الإقليم في وسط مفازات نوميديا و يبتدئ غربا من تخوم المسيلة و يحده شمالا جبال مملكة بجاية و يمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوبا إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة ، وهذه منطقة شديدة الحرارة الرملية ... ، يشمل الإقليم خمس مدن و عددا كثيرا من القرى وهذه المدن هي : بسكرة ، البرج ، نفطة ، طولقة ، دوسن [2] . " .

و من خلال ما تقدم من آراء الجغرافيين عبر مختلف الأزمنة نجد أن الحدود الجغرافية لإقليم الزاب لم تتسم بالثبات ،فحدودها متغيرة و مدنها تخرج من المجال الحدودي تارة أخرى ، وعاصمة الإقليم تغيرت لعدة مرات بدءا من أذنة لتخلفها طبنة ثم مدينة المسيلة فقلعة بني حماد ثم بسكرة ، و لعدم توصل الجغرافيين إلى حدود ثابتة للبلاد سنأخذ بآراء المؤرخين لتحديد حدود الإقليم أكثر .

يذكر الرقيق القيرواني (ت 420 هـ/1029 م) في عدة مواضع من كتابه مدن الزاب كل على حدا دون التعريف بكل الإقليم ، فنكر عن أذنة: " ... فرحل إلى بلاد الزاب فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا مدينة يقال لها أذنة ... " [3]، ويضيف عن مدينة طبنة : " فلما رأى عمرو بن حفص ما أحاط به

---

[1]– الحميري ، المصدر السابق ، ص 281 .

[2]– الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ج 02 ، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط02 ، لبنان ، 1983 ، ص ـ ص 138 – 139 .

[3]– الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية و المغرب ، تح : عبد الله العلي الزيدان و عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، لبنان 1990 ، ص 10 .

من العساكر بمدينة طبنة بالزاب ... "[1] ، لكنه في باقي حديثه عن بلاد الزاب لا يحدد مدينة بعينها فيقول : " و كانت ولايته الزاب من قبل هارون .... ثم عسكر إبراهيم يريد الخروج إلى الزاب ... و كتب إبراهيم بتحديد و لايته ... وإبراهيم بالزاب. " [2]

من خلال حديثه و بالاستدلال بحديث اليعقوبي عن نفس الفترة التي يتحدث عنها الرقيق القيرواني أن الزاب مدينته طبنة خلال عصر الولاة أو خلال الحكم الأغلبي ، حيث قال : " وطبنة مدينة الزاب العظمى و هي في وسط الزاب و بها ينزل الولاة... [3]. "

أما ابن عذاري المراكشي (توفي بعد 712 هـ/ 1312 م) في ذكره لحد بلاد المغرب يذكر بأنه يوجد ببلاد المغرب قسمان يعرفان بالزاب الأعلى و الزاب الأسفل " ... و قسم من اطرابلس و هي بلاد الجريد و يقال أيضا بلاد الزاب الأعلى ، ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل و حدها إلى مدينة تيهرت[4]. "

وتتغير جغرافية بلاد الزاب زمن ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406 م) حيث يصف بلاد الزاب بقوله : " هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد .... وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب و أولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة و زاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس و بسكرة أم هذه القرى كلها ... " [5]، ثم يخرج مدن الزاب القديمة و يلحقها بمنطقة الحضنة ، حيث جعل من طبنة و مقرة و المسيلة من حدود منطقة الحضنة : " .... و بلاد الحضنة حيث كانت طبنة مابين الزاب و التل و فيها مقرة و المسيلة... " [6].

---

[1]– الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 105 .

[2]– نفس المصدر ، ص 177 ، 186 .

[3]– اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 190 .

[4]– ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،ج01 ، تحقيق و مراجعة : ليفي بروفنسال و ح.س.كولان ، دار الثقافة ، ط 03 ، بيروت ، 1983 ، ص 05 .

[5]– عبد الرحمن ابن خلدون ،ديوان العبر والمبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج06 ، ضبط المتن : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ،2000 ، ص 585.

[6]– نفس المصدر ، ج 06 ، ص 132 .

وهنا نجد تشابها في وصف جغرافية إقليم الزاب عند ابن خلدون[1] و ابن سعيد المغربي[2] و الحموي [3]و الحسن الوزان[4] ، أي مساحة الزاب ظلت مقتصرة على مدينة بسكرة و مدنها المحيطة بها بدءً من القرن السابع هجري.

مما سبق نستنتج أن حدود إقليم الزاب غير ثابتة فبعد تتبع كل النصوص الجغرافية و التاريخية في محاولة لرسم صورة ثابتة عن الإقليم ومكوناته ، واجهتنا إشكالية تمدد و تقلص مساحة الإقليم و تغير مدنه في أغلب كتابات الجغرافيين و المؤرخين كل في عصره ، أما في العصر الوسيط المتأخر فإننا نرى تغيرا واضحا في جغرافية الإقليم حيث أدمج بعض الكتاب بلاد الجريد ومدنه توزر قفصة ونفزاوة ضمن حدود إقليم الزاب الكبير ، كما يذكر ابن عذراي أن بلاد الجريد هي الزاب الأعلى ، كذلك نجد رأي ابن حوقل و الحموي يؤكدان ذلك ، وهذا مايدعم فكرة أن بلاد الجريد تبعت إقليم الزاب في فترات تاريخية معينة ، أما في باقي المراحل فإن بلاد الجريد لم تكن ضمن أعمال إقليم الزاب و تبعت الكيان السياسي بإقليم إفريقية[5] ، وفي عهد الأمير الحمادي الناصر ابن علناس (454-481هـ/1062-1088 م) تم تقسيم إقليم الزاب إلى مقاطعتين إداريتين : الزاب الأعلى و قاعدته نقاوس، الزاب الأسفل و قاعدته بسكرة ، ومنحت إدارة الزاب الأعلى لأحد أبناء العاهل الحمادي ، بينما أسندت إدارة الثاني لإحدى العائلات المحلية المتنفذة مثل أسرة بني سندي [6] .

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 585 .

[2]- ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص 126 .

[3]- ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 03 ، ص 124 .

[4]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص ـ ص 138 – 139 .

[5]- علي الهطاي ، الجغرافيا التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي دراسة في تطور المجالات و المواقع ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، جامعة معسكر ، العدد12 ، ديسمبر 2017 ، ص 13 .

[6]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 05 ، أنظر أيضا ، علاوة عمارة ، التحولات المجالية و الطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي ، مجلة تراث الزيبان ، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التراث في منطقة الزيبان ، العدد 01 ، بسكرة ، 2016 ، ص 16.

أما حدود الزاب فهي تمتد شمالا حتى سفوح الأوراس الجنوبية ، و جنوبا إلى المفاوز الصحراوية ، أم شرقا و غربا فيصعب ضبط الحدود بشكل دقيق [1] ، فالحدود السياسية ترجع إلى قوة الكيان السياسي الحاكم في المنطقة ، ففي عهد الأغالبة توسع ملكهم ليشمل حتى ميلة و قسنطينة و سطيف و كامل الجهة الشرقية للجزائر حاليا ، إلا أنه بعد سقوط دولتهم تقلصت رقعة الزاب لتتوقف غربا عند المسيلة و التي اعتبرت حدا بين إفريقية و المغرب الأقصى.

أما صورة الحدود الشرقية فالجغرافيون اعتبروا الزاب مفتوحا على بلاد الجريد فلا وجود لحدود بينهما ، ووصف بلاد الجريد على أنها الزاب الأعلى فهي تعني أقصى امتداد لإقليم الزاب وهنا يأتي مصطلح الحدود الإستراتيجية و التي تعتمدها القوة المتنفذة في المنطقة حفاظا على أمنها السياسي و مصالحها الاقتصادية لما تمثله هذه الجهة من حيوية تؤثر إيجابا و سلبا في كل البلاد بمعنى أدق حتى و لو لم تكن خاضعة لسلطانها المباشر تحاول جعلها موالية لها[2] .

- **الموقع الفلكي** :

يذكر الباحث ماغلون .ج (J.Maguelonne) أن " الزاب يقع على خط طول 30° و 34°شمالا و خطي طول 02°إلى 03°شرقا ، يحده شمالا التلال الجنوبية لجبل أحمر خدو (جبل زرزور) وجبال الأوراس وسلسلة تلال بوغزال التي تفصله عن سهل لوطاية ، ثم جبال الزاب وقممها الأساسية مثل : جبل موديان ، شايمة ، بوكراصباحنا و الدخان ، وتستمر في الغرب السلسلة الجبلية نفسها بقممها المرتفعة التي تبدأ من جبل الدخان إلى غاية وادي جدي ، وتقدر مساحة إقليم الزاب بأربعمائة وأربعة و ستين فاصلة سبعة و ثمانين هكتار 464.080 [3] .

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي ، الآثار ، ج04 ، جمع و تقديم : أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، لبنان ، 1997 ، ص 352 .

[2] – صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 10 .

[3] – J.Maguelonne , Monographie Géographique et Historique de la tribu des ziban , rucueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de constantine , ed : adolphe braham , paris , 1910 , v44 , p p 213. 214 .

- **التضاريس :**

تتكون تضاريس إقليم الزاب من عناصر متباينة من هضاب و سهول و جبال ، حيث تشمل الهضاب المتواجدة الموجودة بالإقليم هضبة الأوراس التي تحتل الجزء الجنوبي الواقع على الجانب الشرقي من جبل الأوراس ، و القنطرة التي يرتكز محورها بالجبل الأزرق [1] أما هضاب مدينة بسكرة فقد شملت الناحية الغربية من المدينة [2] . (أنظر الملحق رقم 01)

كما احتلت الجبال بإقليم الزاب مساحة هامة ، حيث تتمركز جبال مدينة بسكرة في الشمال[3] ، وفي غربي مدينة باغاية جبل شامخ[4] ، و يوجد بالمسيلة جبل كيانة [5]، كذلك جبال بلزمة الباردة شتاء .

- **المناخ :**

يسود المنطقة مناخ حار صيفا حيث تشتد الحرارة في النهار [6] فعلى حد تعبير صاحب الاستبصار هذه المنطقة هوائها حار مثل بلاد الجريد [7] ، أما شتاء فيكون المناخ بهذا الإقليم باردا وتنخفض درجة الحرارة ، ، ومثال ذلك مدينة باغاية التي وصت بالبرد القارص في فصل الشتاء [8] .

أما عن التساقط بإقليم الزاب فهو قليل لتأثره بعاملي الحرارة و الرياح و موقعه وراء جبال الأطلس لصحراوي خاصة صيفا [9] ، أما الرياح فكانت :

---

[1]– بشير مسعودان ، ولاية باتنة دراسة في جغرافية السكان ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قسنطينة ،2008–2009 ، ص 12.

[2]– عبد القادر بومعزة ، المرجع السابق ، ص 24.

[3]– نفس المرجع، ص 24 .

[4]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 227 .

[5]– المهدي البوعبدلي ، تاريخ المدن ، إشراف و إعداد : عبد الرحمن دويب ، دار المعرفة الدولية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص 147 .

[6]– عبد الحليم صيد ، المرجع السابق ، ص 42.

[7]– مجهول ، المصدر السابق ، ص 171 .

[8]– محمد الطمار ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2010 ، ص 147.

[9]– عبد القادر بومعزة ، المرجع السابق ، ص 20 .

- الرياح الشمالية الغربية (الظهراوي) وهي رياح باردة و ممطرة .
- الرياح الشمالية الشرقية (البحري) وهي ممطرة ومثلجة على المرتفعات الشمالية تهب شتاءا من جهة البحر .
- الرياح الشرقية (الشرقي) وهي جافة في فصل الصيف وبارد شتاءا عندما يكون جبل الأوراس مغطى بالثلوج.
- الرياح الجنوبية هي رياح جافة تنتج عنها في بعض الأحيان زوابع رملية في فصل الصيف تسمى القبلي أو الشهيلي عندما تهب من الجهة الجنوبية الشرقية و الغربي عندما تهب من الجهة الجنوبية الغربية تتميز بالجفاف ونادرا ما تأتي بالأمطار.[1]

[1]– موسى لقبال ، طبنة مدينة الأوراس و الزاب في العصور الوسطى ، المرجع السابق ،ص90.

المبحث الثالث : إقليم الزاب قبل الفتح الإسلامي .

إن المتتبع لتاريخ إقليم الزاب قبيل الفتح الإسلامي ، يجد أنها وقعت تحت قبضة كل غازي للبلاد (الروماني ، الوندالي ، البيزنطي) نظير موقعا الاستراتيجي وغناها بالموارد الطبيعية ، مما جعلها مسرحا لثورات كبرى من طرف السكان المحليين ضد الغزاة دفاعا عن الأرض .

فالاحتلال الروماني سيطر على نوميديا الشرقية منذ سنة 46 ق.م و ألحقها بمقاطعة إفريقيا البروقنصلية ، وكان إقليم الزاب قبل الفتح الإسلامي يقع في مجال نوميديا.

لكن سلطان الرومان كان مقتصرا على المناطق الشرقية و شمال جبل الأوراس ، و مع حلول القرن الثاني ميلادي تحركت الآلة العسكرية الرومانية باتجاه جنوب سفح الجبل إلى المناطق الصحراوية للقضاء على الثورات المحلية التي كانت تنطلق من هذه المنطقة ، إضافة إلى ذلك عرفت المنطقة بإنتاجها الغزير للحبوب فكانت تغطي احتياجات روما من هذه المادة الحيوية فكانت هي الشريان الاقتصادي للرومان ، لكن هذا التقدم العسكري جابهته مقاومة محلية عنيفة من سكان البلاد ، فقام الرومان بإنشاء خط الليمس[1] العسكري الدفاعي و حوله أقيمت الحصون العسكرية و التي سرعان ما تتطور لتصبح مدنا كبيرة و هامة [2]. (أنظر الملحق رقم 02)

هذه التحصينات لم تجلب الأمن للسلطات الرومانية فعمدت إلى تحطيم البنية الاجتماعية للمنطقة ، فقامت بعزل السكان عن بعضهم و ترحيل قبائل عن أراضيها من وراء السفوح الجنوبية لجبل الأوراس و منطقة الحضنة ،هذا من أجل قطع الصلة بين القبائل الجبلية المتضامنة مع بعضها من جهة ، و فصلها عن

[1] – **خط الليمس** ، هو خط حزامي دفاعي روماني ، تم إنشائه بهدف صد هجمات و ثورات السكان المحليين و كان أكبر امتداد له خلال القرن الثاني ميلادي ، يتراوح عرضه مابين 50 و 100 كم ويشتمل هذا الخط الدفاعي على حصون و مراكز للحراسة سرعان ما تطورت لتصبح مدنا كبرى ، أنظر : مُحَمَّد الصغير غانم ، مقالات حول تراث منطقة بسكرة و التخوم الأوراسية ، منشورات جمعية التاريخ و التراث الأثري لمنطقة الأوراس ، باتنة ، 1990 ، ص ـ ص 57 – 58 .

[2] – مُحَمَّد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003 ، ص ـ ص 102-103 .

القبائل السهبية و الصحراوية من جهة ثانية لتستفيد من وراء العمل من أراضي زراعية جديدة تكون مجالا حيويا للاستيطان الجديد[1] .

تحركت الآلة العسكرية الرومانية باتجاه المنطقة مع حلول القرن الثاني ميلادي في عهد الإمبراطور تراجانوس (98-117 م) ، فأنشأت عدة حصون عسكرية أشهرها القاعدة العسكرية الشهيرة مايوريس الواقعة جنوب نقرين عام 104 م ، و من هنالك امتد خط الليمس إلى مدينة تهودة(thabudeos) بالقرب من بسكرة [2].

وقام بعدها الرومان بتمديد الطريق الشرقي الرئيسي الذي يعبر بمحاذاة الشطوط (الجريد ، ملغيغ ، الحضنة) انطلاقا من الطريق الرئيسي الهام (قابس ، قرطاجة) ليصل إلى مدينة طبنة (thubunae) و هي نقطة الطريق الصحراوي ، ثم امتد هذا الطريق غربا ليشمل مدينة مقرة(macri) إلى تارمونت (aras)بالقرب من مدينة المسيلة ، و منها يتفرق الطريق إلى قسمين : الأول يربط المنطقة بالسهوب اتجاه تيارت ، و الآخر ينحرف شمالا نحو مدينة سور الغزلان(auzia) ، و على امتداد هذا الطريق الطويل البادئ من مدينة قابس تأسست عدة مدن ذات أهمية قصوى منها : بادس(badias)، تهودة (thubudeos) ، بسكرة(vescera)، طبنة(thubunae)، نقاوس (necevibus) . [3]

ومع حلول القرن الثالث ميلادي كانت نوميديا كلها تحت أيدي الرومان ، و يذكر المؤرخ جون ديسبوا Jean Despois أن المنطقة مثلت شريان حياة روما [4]، و بذلك أطبق الرومان أيديهم على المنطقة للاستفادة من أراضيها الخصبة . [5]. (أنظر الملحق رقم 03)

---

[1]– محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص 104 .

[2]– عبد القادر صحراوي ، التحصينات العسكرية بنوميديا و موريطانيا القيصرية أثناءالاحتلال الروماني 46 ق.م – 284 م ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، 2011 ، ص 202 .

[3]– محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص 106 .

[4] -Jean Despois , le Hodna , presses universitaire de france , paris 1953 , p 103 .

[5]– محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 239 .

و على الامتداد التاريخي لحكم الرومان ، مثلت نوميديا الشريان الحيوي للإمبراطورية من الناحية الاقتصادية ، أما في الجانب السياسي و العسكري فكانت ثورات السكان المحليين ترهق كاهل الرومان ، مما حدا بهم إلى تقسيم المنطقة إلى قطاعات لتسهيل التحكم فيها. (1)

و هنا يظهر الدور الكبير التي لعبته مدينة طبنة في الأحداث ، حيث كانت حاميتها العسكرية هي العين المراقب و القاضي على ثورات السكان جنوب الأوراس ، و في العهد الروماني الأخير بالمنطقة اتخذ القائد بونيفاس من المدينة مقرا لإقامته و مركزا لمراقبة تحركات قبائل الأوراس ، و يورد الباحث العسكري الفرنسي راوول قرنج R.Grange نصا عن زيارة القديس أوغسطين(2) للمدينة و ينقل عنه حديثه عن النجاح الذي حققه بونيفاس بمدينة طبنة ، قبل أن يرتقي ليصبح كونت إفريقية أي ممثل الإمبراطور الروماني بولاية إفريقيا(3).

لينتهي الحكم الروماني للمنطقة بعد استنجاد بونيفاس بالوندال عام 429 م ، الذين لبّوا طلبه و دخلوا غرب إفريقيا من مضيق جبل طارق بقيادة جنريق (419-477 م) ، فاستولى الوندال على نوميديا و ما يليها غربا و اتخذوا من عنابة عاصمة لهم (4) ، إلا أن الوندال عرف عنهم أنهم قاموا بتخريب كل المنشآت و الحصون الرومانية بالمنطقة ، لكن حدود ملكهم كان بالقرب من المدن الساحلية فقط أي أنهم لم يتحركوا باتجاه الجنوب. (5)

---

[1]– صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر – من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م – 1962 م) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، 2003 ، ص 30 .

[2]– **القديس أوغسطين (354–430 م)** ، ولد بمداوروش من أب وثني و أم مسيحية مؤمنة انتقل لتونس ثم روما و اعتنق المسيحية ثم عاد إلى عنابة وهناك بزغ نجمه و ألف كتابان " الاعترافات " و " مدينة الله " ، أنظر : مايكل هارت ، الخالدون مائة أعظمهم مُحَمَّد رسول الله ، ترجمة: أنيس منصور ، الكتب المصري الحديث ، القاهرة ، د ت ، ص215 .

[3] -R.Grange , Monographie de Tobna , Receil notices et mémoires de la société archéologique de département de Constantine – Alger - , liberté africaine et colonial , paris , 1901 , p 65 .

[4]– مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج 01 ، تقديم و تصحيح : مُحَمَّد الميلي ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1976 ، ص ـ ص 342 -343 .

[5]– يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ج01 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط02 ، الجزائر ، 2009 ، ص 65 .

فتم تخريب مدن منطقة نوميديا أما المناطق الأخرى فكانت مستقلة بحكمها مثل منطقة الحضنة ، حيث كان يحكمها الملك أورثياس orthayas ، و كان على مايبدو على علاقة جيدة مع الوندال حيث أنهم قاموا بتوجيه رجال الكاثوليك المبعدين إلى المنطقة لثقتهم بالملك أورثياس. (1)

وانتهى الحكم الوندالي للمنطقة على يد البيزنطيين ، حيث وفي سنة 533 م جاءت حملة مرسلة من طرف الإمبراطور جستنيان بقيادة بيلزاريوس ، و كان الهدف من هذه الحملة هو استعادة كامل مناطق نفوذ الإمبراطورية الرومانية القديمة بشمال إفريقيا ، فاستولت هذه الحملة أولا على تونس ، ثم توجهت إلى أراضي نوميديا و استولت على مدن : قسنطينة ، بلاد الحضنة ، الأوراس ، ثم نحو جنوب هذه المدن و دخل تحت سلطانهم مدن : تبسة ، خنشلة ، تيمقاد ، لمبيز ، طبنة . (2)

وواجهت القوات البيزنطية صعوبات كبيرة في هذه الحملة ، حيث وبعد رحيل القائد بيلزاريوس عين محله القائد صولون (سليمان الخصي) فثار ضده أورثياس ملك الحضنة ، و في أول معركة بينهما أباد أورثياس جل الجيش البيزنطي ، لكن أعاد صولون الكرة ففر أورثياس ، ثم عمل القائد البيزنطي على إقامة تحصينات قوية بالمنطقة ، فأعاد بناء مدينتي زابي و التي عرفت بزابي جستنيان ، و طبنة (3)الذي ذكر الباحث " ديال" أنها بنيت سنة 540 م(4).

واستمر تقدم البيزنطيين في المنطقة إلى أن بلغوا جبل الأوراس و استولوا على كامل المنطقة و أكثروا من إنشاء الحصون فيها مثل : بلزمة و باغاي(5) ، و لما رأى البربر كثرة الحصون أعطاهم ذلك إحساسا بتخوف البيزنطيين منهم ، مما شكل دافعا لهم على الثورة ضد الغزاة الجدد (6)، فثارت ضدهم بعض شخصيات البربر مثل بيداس الذي كان على جبل الأوراس و قطزياس الذي كان على شرقي الأوراس ،

1- محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج02 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999 ، ص 411 .

2- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ج 01 ، ص 66 .

3- محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ج02 ، ص 459 ، أنظر أيضا : موسى لقبال : المرجع السابق ، ص87 .

4 -Diehl , l'Afrique Byzantine , Histoire de la domination byzantine en afrique , paris 1966 ,p – p 200-201 .

5- محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ج02 ، ص 417 .

6- حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د . ت ، ص32 .

فنجحوا بالاستقلال بمناطقهم ووحدوا القبائل تحت سلطانهم و استرجعوا كثيرا من الأراضي التي كانت تابعة للروم. [1]

هذه الحالة دفعت بالبيزنطيين إلى تغيير نظام الحكم من مدني إلى عسكري ، بالرغم من كون الحاكم المدني كان يأتمر بأوامر الحاكم العسكري ، وتم جعل حاكم عسكري على كل منطقة مثل نوميديا و التي كانت بلاد الزاب من ضمن أراضيها ، فكان هذا الوضع الجديد في المنطقة لحماية مناطق نفوذ الدولة من هجمات البربر من جهة ، و استرجاع أملاك الإمبراطورية الرومانية من جهة أخرى[2] ، وجعلها أيضا موردا ماليا للدولة هذا لإرجاع ما أنفقته الدولة في سبيل استرجاع البلاد[3].

وكان من صلاحيات الحاكم العسكري أيضا تنفيذ نظام اقتصادي يقوم على الجباية ، أي فرض الضرائب على السكان[4] ثم إجبار الأهالي على اعتناق المذهب الكاثوليكي مذهب الإمبراطورية الذي اعتمد سنة 535 م ، مما جعل السكان يثورون على الحكم البيزنطي [5]، و باعتلاء هرقل الشاب عرش الحكم (610 م) خفف الضغط على المنطقة و بلاد المغرب لأن أهل هذه البلاد ساهموا في وصوله لعرش الحكم البيزنطي[6].

وبعد موت هرقل الشاب ، انفصل الحاكم جورجيوس (646 م) بحكم ولاية إفريقيا ، و الذي استغل حالة الفوضى السائدة في داخل الإمبراطورية إضافة إلى الصراع المذهبي الذي كان على أشده داخل الدولة الأم. [7]

---

[1]– مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج01 ، ص 366 .

[2]– شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر: مُحَمَّد البشير سلامة ،الدار التونسية للنشر ، تونس ،1969 ،ص362 .

[3]– حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 16 .

[4]– نفس المرجع، ص 17.

[5]– جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية (284–1453 م) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 77.

[6]– السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، ج02، بيروت، 1981، ص 75.

[7]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ـ ص 42 – 47.

المبحث الرابع : حواضر إقليم الزاب الكبرى بعد الفتح الإسلامي

عرف إقليم نوميديا القديم تحولا في التسمية إلى الزاب بعد الفتح الإسلامي والذي شملت أراضيه شرقي الجزائر حاليا و الجزء الغربي من تونس [1]، فأصبح الإقليم من أعمال حاضرة [2] بلاد المغرب الإسلامي القيروان ، وتغيرت عواصم الإقليم على مر العصر الوسيط لاعتبارات سبق ذكرها ، و عواصم إقليم الزاب خلال العصر الوسيط كالتالي :

1–أذنة:

عرفت مدينة أذنة على أنها حاضرة بلاد الزاب خلال الفتح الإسلامي للمنطقة خلال القرن الهجري الأول ، حيث غداة الفتح و بعد عودة عقبة لبلاد المغرب ثانية سنة 62 هـ ، أشرف على بلاد الزاب " فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا : مدينة يقال لها أذنة ، ومنها الملك و هي مجمع ملوك الزاب ، وكان حولها ثلاثمائة و ستون قرية وكلها عامرة ... "[3] ، وفتح أذنة قاعدة بلاد الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم[4].

ووردت المدينة في المصادر التاريخي و الجغرافية تحت عدة تسميات مختلفة ، فنجدها عند اليعقوبي تحت اسم أربة : " ... و مدينة أربة هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب ... " [5]، كذلك نجدها تحت نفس الاسم عند ابن الأثير[1] و النويري [2].

---

[1]– عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ،2004 ، ص 19، أنظر أيضا : هشام جعيط ، تأسيس الغرب الإسلامي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط02 ، بيروت ، 2008 ، ص 54 ، عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر — من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي – ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2003 ، ص 100 .

[2]– **حاضرة** ، جمعها حواضر ، وتعني العاصمة أو المدينة الكبيرة ، أو مدينة تعد الأهم على مستوى الدولة أو إحدى النواحي الحياتية ، وحاضرة الإقليم : هي كبرى مدن المقاطعة أو اللواء أو مركز الإقليم الإداري ، أنظر : أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مجلد 01 ، دار عالم الكتب ، ط 01 ، القاهرة ، 2008 ، ص 513 .

[3]– الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 11.

[4]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج 04، ص 237.

[5]– اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 191 .

بينما ترد عند البكري باسم أدنة : " .... و منها إلى مدينة أدنة ... وبلد أدنة بلد كثير الأنهار و العيون العذبة " .[3]

ونجد اسما آخر للمدينة وهو أزبة ، و ربما تكون اسما معربا لمدينة زابي الرومانية التي تقع غير بعيد عنها[4].

أما ابن حماد الصنهاجي فيذكر اسما آخر للمدينة " وكانت بين أبي يزيد و اسماعيل و قعة بفحص باتنة (أذنة) و باتنة هذه مدينة عظيمة خربت بينها و بين المسيلة اثنا عشر ميلا[5] " .

بينما تجمع أغلب المصادر التاريخية مثل ابن خلدون[6] و الرقيق القيرواني[7] و المالكي [8]على أن اسم المدينة هو أذنة.

أما عن موقعها الجغرافي ، فحدده البكري على أنها تبعد عن المسيلة بمرحلة ، و بينها و بين طبنة مرحلتان[9] بينما نجد الباحث الفرنسي كومبيزا يحدد موقعها على أنها تبعد عن مدينة المسيلة باثني عشر ميلا[10] ، و هو هنا يوافق وصف ابن حماد في وصفه لموقع المدينة و التي أسماها بباتنة كما سبق ذكره.

---

[1]– أبو الحسن عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج 03 ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ،بيروت 1987 ص451.

[2]– شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ، تح : عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص 14 .

[3]– البكري ،المسالك و الممالك ، المصدر السابق ،ج 02 ، ص 348 .

[4]– موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط02 ، الجزائر ، 1981 ، ص 41 من الهامش .

[5]– ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تح : جلول أحمد بدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر1984 ، ص 41 .

[6]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 237 .

[7]– الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 11.

[8]– أبو بكر عبد الله المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم ،ج01 ، تح : بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط02 ، بيروت ، 1994 ، ص 36 .

[9]– البكري ، المسالك و الممالك ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 348 .

[10] -Paul luis Cambuzat , l'Evolution des cites du telle en afrkia du 7 au 11 siècle , office des publication universitaires ; Alger ; 1986 , tome 02 , p.p 21-22.

ومع حلول القرن الثاني الهجري تقلص دور مدينة أذنة بعد انتقال عاصمة الإقليم إلى مدينة طبنة. [1]

فالبكري صور حالة المدينة حيث وصفها " بالبلد " ، ثم يتراجع و يقول : " وهي خالية " [2]،لتنتهي المدينة على يد ابن حمدون [3]سنة 324 هـ / 928 م ، وقبل تخريبها نهائيا تعرضت المدينة إلى غارات من طرف القبائل المجاورة مثل قبيلة هوارة ، حيث يقول البكري عن هذه الإغارة : " ونهر النساء ... و سمي بذلك لأن هوارة [4]أغاروا على نساء أذنة و ذهبوا بهن فأدركهم أهل أذنة فاستنقذوا النساء هناك و الغنيمة و قتلوا جماعة من هوارة" [5].

2– مدينة طبنة[6] :

كانت مدينة طبنة و على مختلف مراحل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي تمثل ذلك الحصن العسكري المتقدم و الذي يحمي ظهر الدولة من الأخطار الداخلية ، فمدينة طبنة التي بنيت أوائل القرن الميلادي الثاني في عهد الإمبراطور الروماني تراجانوس (89–117 م) الذي عرف عهده امتداد السلطان الروماني باتجاه المناطق الجنوبية أي جنوب جبل الأوراس وتم بناء المراكز العسكرية و الحصون حول خط الليمس الدفاعي و الذي شكلت مدينة طبنة النقطة الرئيسة لهذا الطريق [7]، و سرعان ما تحول هذا الحصن العسكري إلى

---

[1]– الطاهر طويل ، المرجع السابق ، ص 104 .

[2]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 348 .

[3]– **علي بن حمدون** : هو علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي و يعرف بابن الأندلسي ، استعمل من طرف الفاطميين على مدينة المسيلة سنة 315 هـ ، انقلب فيما بعد على الفاطميين و مال إلى أمويي الأندلس ، أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 04 ، ص ـ ص 107 – 109 .

[4]– **هوارة** : قبيلة بربرية برنسية من أوريغة ، ومن هوار بن أوريغ مليلة و بنو كهلان ، أنظر :أبو محمد بن علي ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001 ، ص 500 .

[5]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 348 .

[6]– تبعد آثارها اليوم عن وسط مدينة بريكة بحوالي 04 كم .

[7]– محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص ـ ص 104 – 109 .

مدينة كبيرة تعج بالسكان ، حيث عثر على نقيشة على أحد أبواب المدينة تذكر حصول المدينة على رتبة مونيكيبوم. [1]

وخلال العصر البيزنطي أعيد بناء المدينة بعد تخريبها من طرف الوندال ، فشُكِّلَ حصن مدينة طبنة ليحمي ظهر الدولة البيزنطية لحماية حدودها من أخطار ثورات السكان المحليين من جهة جنوب سفح جبل الأوراس و المناطق الصحراوية ، فتلعب مدينة طبنة دورا كالدور الذي لعبته مدينة زابي في حمايتها للدولة من جهة الحضنة[2].

وفي هذه الفترة ، كانت تسمية المدينة تأتي مختلفة في كتب المؤرخين و الباحثين ، حيث عرفت باسم tubonis، tubunis، thubnas لكن التسمية الشائعة هي thubunae [3]، و بعد الفتح الإسلامي لمدينة طبنة حافظت على نفس التسمية فظهر الإسم المعرب من اللاتينية ، فذكر الحموي ذلك : " طبنة : بضم أوله ثم السكون ونون مفتوحة وهي فيما أحسب عجمية و مثلها في العربية الطبنة لعبة للأعراب ، و هي خطة يخطونها مستديرة و جمعها طبن ... و الطبنة صوت الطنبور ... " [4].

كانت مدينة طبنة إذن إحدى المدن الهامة في بلاد نوميديا قديما ، و إبان الفتح الإسلامي تذكر المصادر على أن فتحها كان على يد موسى بن نصير[5] : " طبنة : بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير فبلغ سبيها عشرين ألفا "[1] .

---

1 -S.Gsell : Bulletin Archéologique de comite des travaux historiques et scientifiques , paris 1900 , p-p 486-487.

2- محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج 02 ، المرجع السابق ، ص 411 .

3 -S.Gsell : Atlas Archeologique de l'Algerie , texte 03m edition , paris 1911 , feull 10 .

4- ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص 21 .

5- **موسى بن نصير** : هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن وائل ، يعود نسبه إلى قبيلة لخم أو إلى بكر بن وائل ، كان صاحب خراج البصرة في عهد عبد الملك بن مروان وولي إفريقية عام 79 هـ ، وهو من افتتح الأندلس مع طارق بن زياد ، توفي في سنة سبع و تسعين للهجرة و قيل تسع و تسعين ، أنظر : ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 40 .

بعد الفتح الإسلامي لإقليم الزاب ، كانت عاصمة الإقليم في ذلك الوقت مدينة أذنة وكانت مدينة طبنة ضمن أعمالها الإدارية ، ومع حلول منتصف القرن الثاني الهجري بظهر مدينة طبنة على مسرح الأحداث ، حيث و بعد تعيين مُحَمَّد بن الأشعث[2] واليا على إفريقية اختص على إقليم الزاب أحد أمهر قادته العسكريين وهو الأغلب بن سالم [3]، هذا الأخير اتخذ من مدينة طبنة مقرا له فكانت هي النقطة الدفاعية الأولى في بلاد الزاب لمواجهة الأخطار الداهمة على القيروان و منها تنطلق الجيوش[4] ، و استمر الأغلب بن سالم في دوره من مقر إقامته بطبنة حتى خروج ابن الأشعث من ولاية إفريقية سنة 148 هـ/771 م [5]، قتم تعيين الأغلب بن سالم واليا على إفريقية بدل ابن الأشعث ، و في عهده اشتدت ضربات أبي قرة الصفري عليه ، فعزم الخروج بجيشه عليه و قدم إلى الزاب ، ومنها عزم على الرحيل إلى تلمسان وطنجة فاشتد الأمر على الجند فخرجوا متسللين ليلا إلى القيروان ، وتم قتل الأغلب بن سالم بسهم من طرف أحد الجنود الذين بقوا معه سنة 150 هـ / 773 م[6].

ليتم تعيين عمر بن حفص الملقب بهازمرد على ولاية إفريقية سنة 151 هـ / 774 م و يبدو أنه اهتم بمدينة طبنة أكثر من سابقيه ، حيث خرج من القيروان إلى طبنة فأعاد ترميمها و بنائها " و بنى عليها سورا

---

[1]– ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 21 ، أما عن سنة تولية موسى بن نصير فنجدها تختلف عند المؤرخين ،فابن عبد الحكم أكد على أن توليته كانت سنة 78 هـ ، أنظر : ابن عبد الحكم ، فتوح إفريقية و الأندلس ، تح : عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1987 ، ص 68 ، بينما يجعله ابن خياط سنة 81 هـ ، أنظر : خليفة ابن خياط ، تاريخ خليفة ابن خياط ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ،1993 ، ص 216 .

[2]– **مُحَمَّد بن الأشعث الخزاعي** ، ولي على إفريقية بعد مقتل الوالي حبيب بن عبد الرحمن الفهري عام144 هجري ، قضى على الدولة الإباضية بجيل نفوسة وقضى على قائدها أبي الخطاب المعافري ، و دخل القيروان سنة146 هجري و قتل بها سنة 148 هجري ، أنظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب المستعربين و المستشرقين ، ج06 ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، لبنان ، 2002 ، ص 39 .

[3]– **الأغلب بن سالم التميمي** ، هو جد الأغالبة ببلاد المغرب كان قائدا عسكريا في حملة ابن الأشعث ، عين واليا على افريقية بعد مقتله عام 148 هـ ، قتل على يد الجند عام 150 هـ ، أنظر ، الزركلي ، نفس المرجع ، ج 01 ، ص 355 .

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 245 . ، أنظر أيضا : عبد العزيز فيلالي ، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب و الأندلس ، دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ،2008 ، ص 88 .

[5]– أبو عبد الله مُحَمَّد ابن الآبار ، الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط02 ، القاهرة ، 1985 ، ص 69 .

[6]– النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص ـ ص 41-42 .

"[1] ، ويذكر البكري عن التحصينات التي حضيت بها مدينة طبنة على يد الوالي عمر بن حفص : " .... وسورها مبني بالطوب ، و بها قصر و أرباض ، و داخل القصر جامع و صهريج كبير ... ، ويقال أن الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهازمرد ... " [2]، ويبدو أن الوالي عمر استغل القصر البيزنطي القديم في بناء مدينة طبنة : "وقال مُحَمَّد بن يوسف أن قصر طبنة أولي كبير جليل مبني بالصخر الضخم عليه آزاج كثيرة ينزله العمال و هو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة... [3]"

و أصبح لمدينة طبنة بعد هذه الترميمات خمسة أبواب : " و لمدينة طبنة من الأبواب باب خاقان مبني بالحجر عليه باب حديد و هو سري ، و باب الفتح غربيّ باب حديد أيضا ... و باب تهوذا قبلي عليه باب حديد و هو سري أيضا ، و الباب الجديد ، وباب كتامة جوفي ، و خارج المدينة بإزاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون بمقدار ثلثي المدينة. " [4]

وبهذه التحصينات تمكن الوالي عمر بن حفص من رد هجوم حشود الصفرية[5] و الإباضية[6] على المدينة المدينة و التي كانت تحت قيادة أبي قرة الصفري و عبد الرحمن بن رستم و غيرهم و تذكر المصادر على أن هذا الجيش فاق عدده خمسين ألفا [7].

و كان سكان المدينة حسب البكري : " يسكنها العرب و العجم بينهما الاختلاف و الحرب" [1]فقام الوالي عمر بن حفص بإسكان قبيلة ورفجومة بالمدينة و هي أحد بطون قبيلة نفزاوة "ولما اختط عمر بن

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 246 .

[2]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 228 .

[3]– نفس المصدر ، ج02 ، ص 228 .

[4]– نفس المصدر ، ج 02 ، ص 229 .

[5]– **الصفرية** ، هم أصحاب زياد بن الأصفر خالفوا فرق الخوارج الأخرى في عدة أمور : لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين و الاعتقاد ، لم يسقطوا الرجم ، أجازوا التقية في القول دون العمل ، أنظر : مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل و النحل ،ج01 ، تح : مُحَمَّد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ، ط02 ، لبنان ، 1975 ، ص 137 .

[6]– **الإباضية** ، هم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي ، يعتبر من المذاهب المعتدلة ، رأوا بأن مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا ملة فهم موحدون لا مؤمنون ، و أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي ، أنظر ، الزركلي ، المرجع السابق ، ج 01 ، ص 136 .

[7]– ابن عذاري ،المصدر السابق ، ج01 ، ص 75 .

حفص مدينة طبنة سنة إحدى و خمسين و مائة أنزل ورفجومة هؤلاء بما كانوا شيعا له ، و عظم غنائهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم و بنو يفرن[2]. "

بعد إعمار المدينة و اختطاط الدير و البيع ، أصبحت مدينة طبنة لا ثالث أكبر مدينة في بلاد المغرب الإسلامي " ... و ليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة مدينة أكبر منها " [3]

فتحولت بذلك مدينة طبنة إلى قاعدة بلاد الزاب لتخلف مدينة أذنة منذ القرن الثاني هجري[4] ، فيصف اليعقوبي المدينة أيام الأغالبة " و طبنة مدينة الزاب العظمى و هي في وسط الزاب و بها ينزل الولاة .. " [5]، فكانت طبنة عاصمة الإقليم في كثير من المرات ينصب ولاتها أمراء القيروان و في أحيان أخرى تتدخل و تحدث حرجا للسلطة بالقيروان ، و هي من ستفرز مؤسس الدولة الأغلبية .

وازدادت حضوتها عند أمراء القيروان وتضاعف اهتمامهم بها في هذه الفترة ، فأعطوا لحكامها صلاحيات واسعة ودائرة نفوذ كبيرة و أحدثوا تنظيما إداريا جديدا للمغرب الأوسط ، فأضافوا إلى بلاد الزاب مناطق ومدن جديدة ، بحث صارت هذه الولاية تمتد من بسكرة جنوبا إلى كتامة شمالا ، ومن تخوم المغرب الأوسط غربا إلى أطراف الأوراس شرقا [6] .

فلأهمية المدينة في مواجهة خطر الأدارسة و الخوارج على الدولة العباسية أوصى هارون الرشيد الوالي روح بن حاتم[7] عليها بقوله : " عليك بالزاب واملأه خيلا و رجلا " [1]، فصار بذلك إقليم الزاب

---

[1]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 228 .

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 151 .

[3]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

[4]– الطاهر طويل ،المرجع السابق ، ص 104 .

[5]– اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 190 .

[6]– عبد العزيز فيلالي و ابراهيم بحاز ، مدينة ميلة في العصر الوسيط ، دار الهدى للنشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ،2017 ، ص 29.

[7]– **روح بن حاتم بن المهلب الأزدي** ،كان حاجبا للمنصور العباسي ، عرف بالعلم و الشجاعة و الحزم ، ولي على افريقية عام 171 هـ ، توفي بالقيروان سنة 174 هـ ، أنظر : الزركلي ، المرجع السابق ، ج 03 ، ص 34 .

يتبع السلطة العباسية ببغداد مباشرة و تم فصله عن القيروان في عهد هارون الرشيد [2] ، حتى أنه قام بتعيين إبراهيم بن الأغلب على الزاب عام 181هـ/797م ، و نصب في نفس السنة مُحَمَّد بن مقاتل العكي واليا على إفريقية [3].

إلا أنه بعد سقوط الدولة الأغلبية سنة 296 هـ/ 800 م وسيطرة الفاطميين على كل بلاد المغرب جعلها الداعي الشيعي قاعدة خلفية تكون منطلقا لجيوشه[4] ، ثم تراجع دور مدينة طبنة بعد بناء الفاطميين لمدينة المحمدية (المسيلة) سنة 313 هـ / 817 م ، فتحول مركز ثقل بلاد الزاب من طبنة إلى المسيلة قبلها كانت مدينة المسيلة من أعمال مدينة طبنة حسب الإدريسي [5]، وكان بناء مدينة المسيلة استراتيجيا فهي تقوم بدور سياسي و اقتصادي فهي في مواجهة ثورات قبيلة زناتة إضافة إلى حماية الطريق التجاري الرابط بين القيروان و سجلماسة و تيهرت .

فيصف الجغرافيون الواحد تلوى الآخر حالة المدينة بعد تراجع دورها بالتدريج ، إلى غاية اندثارها وعدم ذكرها ضمن الحواضر و المدن ، فابن حوقل الذي زار المدينة في العهد الفاطمي حيث يصفها : " ... وكانت عظيمة كبيرة البساتين و الزروع و القطن ... وكانت وافرة الماشية ... " [6]، ويبدو أن المدينة خلال العهد الفاطمي تضررت بفعل الحروب خاصة أنها كانت نقطة عبور القوات الفاطمية في محاولة القضاء على الثورات التي لم تنقطع عليهم[7].

---

[1]– الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 136 .

[2]– مُحَمَّد الطالبي ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296 هـ – 800 -909 م) ، ترجمة : المنجي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، بيروت ، 1985 ، ص 118 .

[3]– الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 167 .

[4]– البشير بوقاعدة ، الصراع العسكري و خراب المدن بالمغرب الأوسط و الأدنى بين 296هـ/909 م ، 547هـ/1152 م ، ميم للنشر ، الجزائر ، 2015 ، ص 40 .

[5]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 261 .

[6]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

[7]– موسى لقبال ، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة و الفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطميين ، حوليات جامعة الجزائر ، 1991-1992 ، ص 52.

ويقول المقدسي في وصفه تحول قاعدة الزاب إلى المسيلة دون وصف مدنه مكتفيا بذكرها بالاسم فقط[1] ، أما صاحب الاستبصار الذي عاش خلال القرن السادس هجري فيقول عن مدينة طبنة : " و هي مدينة كبيرة قديمة "[2] ، أما الحموي على عهده فيذكر تحول مدينة طبنة إلى مدينة صغيرة " و طبنة بلدة على طرف إفريقية مما يلي المغرب... [3]. "

ليخرجها ابن خلدون من بلاد الزاب لتتبع بلاد الحضنة بقوله " و بلاد الحضنة حيث كانت طبنة مابين الزاب و التل ... "[4] ، لتختفي المدينة من كتابات الجغرافيين و المؤرخين بعد ذلك فلم يكن لها ذكر عند ابن سعيد المغربي أو حتى الحسن الوزان لدى وصفه لمدن الزاب و الحضنة.

3– مدينة المسيلة :

بعد بسط الفاطميين لسيادتهم على كامل بلاد المغرب الإسلامي ، أصبح إقليم الزاب تحت قبضة أيديهم ، فتوجه الفاطميون إلى تأسيس مدينة جديدة تكون متقدمة في مفترق الطرق لحماية طرق التجارة و لردع الأعداء من جهة الغرب ، وخلال هذه الفترة واجهت الفاطميين مشاكل كبيرة من طرف أعدائهم من قبيلة زناتة التي ازداد نشاطها الحربي بعد سقوط الدولة الأغلبية ، حيث حدث أن أرسل الداعي الشيعي أبو عبد الله وفدا إلى سجلماسة في مهمة لتحرير عبيد الله المهدي لكن الوفد لقي مصرعه بمدينة طبنة على يد رجال من زناتة. [5]

ثم جاءت هزيمة الجيش الفاطمي سنة 311 هـ / 924 م على يد قبيلة مغراوة من زناتة ، فزعزع هذا الحدث المغرب كله [6]، فاضطر الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله إلى إرسال ابنه إلى جبال سالات حيث

---

[1]– شمس الدين المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، ط03، القاهرة ، 1991، ص 221 .

[2]– الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق ، ص 172 .

[3]– ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 21 .

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 132 .

[5]– محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا و مصر وبلاد الشام (297-567 هـ – 910-1171 م) ، دار النفائس ، ط02 ، بيروت 2007 ، ص88 .

[6]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 50 .

تعد من مضارب قبيلة بني برزال ، فأعاد أبي القاسم بن عبيد الله المهدي[1] الاستقرار للمنطقة ثم عاد أدراجه ليؤسس مدينة المسيلة. [2]

أما عن تاريخ تأسيسها فنجد تضاربا فيه بين مختلف المؤرخين و الجغرافيين ، فابن عذاري[3] و صاحب الاستبصار [4]يجعلان تأسيسها سنة 313 هـ / 926 م ، أما باقي المصادر فتجعل تأسيسها سنة 315 هـ/ 928 م[5].

و قبل أن تتم عملية البناء قام أبو القاسم بإخلاء المنطقة من سكانها وقام بنقلهم إلى القيروان مخافة الفتنة : " و مر بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان [6] من هوارة ، وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم إلى فج القيروان ...ولما نقلهم أمر ببناء المسيلة و سماها المحمدية " [7] .

لقد حضت المسيلة بأوصاف عديدة في مختلف كتب الرحالة هذه الأوصاف تدل على مكانة المدينة السياسية و الإقتصادية ، فيذكر المقدسي على أن المسيلة حاضرة بلاد الزاب " ... و الزاب مدينتها المسيلة و لها مقرة ، طبنة ، بسكرة ، بادس ، تهوذا ، طولقا ، جميلا ، بنطيوس ، أدنة ، أشير[8]. "

أما ابن حوقل فيقول عن المدينة : " ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة ، و هي مدينة محدثة استحدثها علي ابن الأندلسي أحد خدم آل عُبيد الله و عبيدهم ، و عليها صور حصين من طوب ... "[9] ، بينما يصفها

1- **أبو القاسم مُحَمَّد بن عبيد الله الفاطمي** ، ثاني خلفاء الدولة الفاطمية ، بويع بالخلافة سنة 322 هـ ، توفي بالمهدية سنة 334 هـ ، أنظر ، الزركلي ، المرجع السابق ، ج06 ، ص 259 .

2- مُحَمَّد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984 ، ص 183 .

3- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 215 .

4- الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 172 .

5- تقي الدين المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ج 01 ، تح : جمال الدين الشيال ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط02 ، القاهرة ، 1996 ، ص 72 ، أنظر أيضا : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 51 .

6- بنو كملان ، بطن من بطون قبيلة هوارة البرنسية سكنوا المسيلة ، أنظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001 ، ص 450 .

7- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 51 .

8- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 221 .

9- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

البكري : " ... مدينة المسيلة وهي مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر سهر ، أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله ... و كان المتولي لبنائها علي بن حمدون و استعمله عليها فلم يزل عليها إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد ... و هي مدينة في بساط من الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة... " [1].

وبانتقال مركز ثقل بلاد الزاب من طبنة إلى المسيلة ، و يصف مُحَمَّد الصالح مرمول هذا التحول بقوله : " و أصبحت هي العاصمة السياسية و الإدارية و المركز التجاري و الحضاري للمنطقة الممتدة من باغاية شرقا و تيهرت غربا ، و بقيت تتمتع بمكانة مرموقة بين مختلف مدن المغرب الهامة [2]. "

غير أن دور مدينة المسيلة لم يستمر طويلا ، حيث استقل حماد بأجزاء كبيرة من المغرب الأوسط و دخلت في حوزته مدن بلاد الزاب مثل : المسيلة ، طبنة ... و كان التاريخ الفعلي لبداية دولته سنة 395 هـ / 1008 م [3]، ثم قام بإفراغ مدينة المسيلة و سوق حمزة [4]من أهلها و نقلهم إلى عاصمته الجديدة القلعة و قام بتخريب المدينتين[5].

4–مدينة القلعة – قلعة أبي الطويل أو قلعة بني حماد: –

بعد تأسيس حماد لدولته قام باختطاط عاصمة جديدة لدولته و هي مدينة القلعة و التي تبعد عن مدينة المسيلة باثني عشر ميلا. [6]

---

[1]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص ـ ص 2239 – 240 .

[2]– مُحَمَّد الصالح مرمول ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983 ، ص 299 .

[3]– عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد – صفحة رائعة من التاريخ الجزائري – ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، ط02 ، القاهرة ، 1991 ، ص 70 .

[4]– **سوق حمزة** : مدينة البويرة حاليا ، أنظر إلى: الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 37.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 227 .

[6]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 261 .

غير أن تاريخ بنائها اختلف فيه فالحموي يقول عن ذلك : " قلعة حمّاد : مدينة متوسطة بين أكم و أقران لها قلعة عظيمة على قلة جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية ، و هي قاعدة ملك بني حماد ... وهو أول من أحدثها سنة 370 هـ... "[1] ، بينما تتفق جل المصادر على أن تأسيس المدينة كان سنة 398 هـ/1010 م و عرفت أيضا باسم قلعة أبي طويل. [2]

قام حمّاد بتعمير المدينة ، حيث نقل إليها سكان مدينتي المسيلة و سوق حمزة و خربهما ونقل قبيلة جراوة من المغرب و أسكنهم بالمدينة ، و يمكن أن يكون الوباء العظيم الذي أصاب المنطقة سنة 395 هـ/1008 م قد ساهم بتعمير المدينة بعد هجرة السكان إليها[3].

وترد المدينة في كتب الرحالة تحت أوصاف رائعة ، فالبكري يصفها بقوله : " قلعة أبي طويل : و هي قلعة كبيرة ذات منعة و حصانة فلمّا كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقية ، و هي اليوم مقصد التجار و بها تحل الرجال من العراق و الحجاز و مصر و الشام و سائر بلاد المغرب و هي اليوم مستقر مملكة صنهاجة " . [4]

أما الإدريسي فيصفها : " و مدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا و أكثرها خلقا و أغزرها خيرا و أوسعها أموالا و أحسنها قصورا و مساكن ... و هي في جبل سامي العلو صعب الارتقاء و قد استدار سورها بجميع الجبل و يسمى تاقربت. " ... [5]

ويصفها صاحب الاستبصار بقوله : " مدينة قلعة أبي طويل و هي قلعة بني حماد ، و هي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع و جميع الخيرات و هي في جبل عظيم ، و هي حصينة منيعة لا تمكن

---

[1]-.ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 390 .

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 226 ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 255 ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص ـ ص 167 – 168 ، أنظر أيضا ،رشيد بورويبة ،الدولة الحمادية – تاريخها و حضارتها – ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1977 ، ص 20 .

[3]- النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 106 .

[4]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 226 .

[5]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 255 .

بقتال ، و لبني حماد بالقلعة مبان عظيمة و قصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر. " ... [1]

استمرت القلعة في أبهى حالتها حتى فترة حكم الناصر بن علناس ، حيث في عهده قويت هجمات القبائل الهلالية ، و كانت وقعة سبيبة سنة 457 هـ / 1069 م ، وهزيمة جيش الناصر أمام الجيش الهلالي الأثر الكبير في دخول و تواصل زحف القبائل الهلالية إلى المنطقة ، حيث استباحوا أراضي بلاد الزاب و خربوا مدينة طبنة و المسيلة و طردوا سكانها. [2]

و تعرضت القلعة إلى هجمات بني هلال فلم تستطع المقاومة و لم يلبث الناصر طويلا حيث قام ببناء عاصمة جديدة لدولته و هي مدينة بجاية و التي سميت بالناصرية نسبة إليه [3]، و بانتقال العاصمة إلى بجاية تراجع دور مدينة القلعة تدريجيا لتتغير بعدها الخريطة السياسية لبلاد المغرب و تظهر دول جديدة على الساحة أعطت المساحات الجغرافية أبعادا أخرى لينقسم الزاب و تتقلص مساحته و ينحصر في مدينة بسكرة و ما جاورها[4].

5– مدينة بسكرة:

بعد الأحداث التاريخية المتسارعة و التحولات السياسية التي عرفتها بلاد المغرب ، تأثر إقليم الزاب بهذه التغيرات ، حيث انحصرت جغرافيا و أصبحت عاصمة الإقليم مدينة بسكرة.

عرفت مدينة بسكرة في عهد الرومان ب(VESCARA) ، وكان بنائها الأول على شكل مستعمرة رومانية تحيط بها العديد من التحصينات المتوسطة و الصغيرة .[5]

---

[1]– مجهول ، المصدر السابق ، ص ـ ص 167 – 168 .

[2]– محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص ـ ص 108-109 .

[3]– الطاهر طويل ، المرجع السابق ، ص ـ ص 294 – 298 .

[4]– فوزي مصمودي ، المرجع السابق ، ص 52 .

[5]– صالح يوسف بن قربة و آخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص 243 .

إن ما أورده الجغرافيون عن مدينة بسكرة منذ القرن الأول إلى غاية أوائل القرن السابع هجري ، لم يذكر تحولها لعاصمة إقليم الزاب ، فيصفها البكري : " و بسكرة كورة [1] فيها مدن كثيرة و قاعدتها بسكرة و هي مدينة كثيرة النخل و الزيتون و أصناف الثمار" ..[2]

أما الإدريسي فوصف المدينة على أنها حصن بقوله : " ومن نقاوس أيضا إلى حصن بسكرة مرحلتان و هو حصن منيع في كدية تراب عال و به سوق و عمارة و به أيضا من التمر كل غريبة و طريفة [3]. "

و نجد تشابها في وصف المدينة بين البكري و صاحب كتاب الاستبصار الذي قال عنها : "مدينة بَسْكرة : و هي مدينة كبيرة و حواليها حصون كثيرة و قرى عامرة و هي قاعدتها و لها غابة كبيرة كثيرة النخل و الزيتون و جميع الثمار. " ... [4]

أما الحموي و هو من جغرافيي القرن السابع هجري فلم تتحول بسكرة على عهده إلى عاصمة للزاب و عرفها قائلا : " بِسْكرة : بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها و بين قلعة بني حماد مرحلتان ، فيها نخل و شجر و قصب جيد ، بينها و بين طبنة مرحلة ... " [5]، أما عن تحولها عاصمة لإقليم الزاب فيمكن أن يكون ذلك بدءً من منتصف القرن السابع هجري ، بعد سقوط دولة الموحدين ، حيث أكد الجغرافي ابن سعيد المغربي عن تحول مدينة بسكرة إلى قاعدة بلاد الزاب : " مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب و هي بلاد نخل وزرع ومنها تجلب أصناف التمر إلى حاضرتي تونس و بجايتي[6]." .

---

[1]- **كورة** ، هي كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ،أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 37 .

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

[3]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 264 .

[4]- الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 173 .

[5]- ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 422 .

[6]- ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص 126 .

ويؤكد الحميري المعلومة بقوله : " بسكرة من بلاد الزاب بأرض المغرب ، و هي قاعدة تلك البلاد و هي كثيرة النخل و الزيتون و أصناف الثمار ... و بها جامع و مساجد كثيرة و حمامات ... "[1] ، و نفس المعلومة ترد عند ابن الحاج النميري (ت 774 هـ/ 1386 م) صاحب الرحلة مع السلطان المريني أي عنان إلى بسكرة ، حيث أورد وصفا عن تحول بسكرة إلى قاعدة بلاد الزاب : " ....بسكرة قاعدة بلاد الزاب.... [2]."

ونلحظ تغير جغرافية بلاد الزاب و اقتصارها على مدينة بسكرة و ماجاورها زمن ابن خلدون (القرن الثامن هجري) ، حيث أعطى وصفا دقيقا لمساحتها و المدن التي تشملها : " هذا البلد بَسْكَرَة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد و حدّه من لدن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور هولة و بادس في المشرق ... ، و هذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة و متجاورة جمعا جمعا ، يعرف كل واحد منها بالزاب و أولها زاب الدوسن ، ثم زاب طولقة ، ثم زاب مليلة ، و زاب بسكرة ، و زاب تهودا ، و زاب بادس ، و بسكرة أم هذه القرى كلها... [3]. "

ونلحظ نفس التقسيم الجغرافي لدى الحسن الوزان : " إقليم الزاب : يقع هذا الإقليم في وسط مفازات نوميديا و يبتدئ غربا من تخوم المسيلة و يحده شمالا جبال مملكة بجاية و يمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس ، و جنوبا إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة ... يشمل الإقليم خمس مدن و عددا كبيرا من القرى و سنصف المدن حسب ترتيبها ... بسكرة ، البرج ، نفطة ، طولقة ، دوسن ... "[4].

---

[1]– الحميري ، المصدر السابق ، ص 113 .

[2]– ابن الحاج النميري ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، دراسة و إعداد : مُحَمَّد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، بيروت ، 1990 ، ص 430

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 585 .

[4]– الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص ـ ص 139 – 140 .

ومع دخول قبائل الأثبج[1] الهلالية تحولت مشيخة بسكرة من أسرة بني رمان إلى أسرة بني مزني[2] في يد فضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزني ، التي انتقلت إلى بسكرة و شاركت أهلها الأراضي و الممتلكات فأصبحت بذلك تشكل نصف سكان المنطقة [3] .

[1]– **الأثبج** ،أحد بطون بني هلال و ينتسبون إلى أثبج بن ربيعة ابن نميك ابن هلال ، ومن بطون الأثبج : عياض ، الضحاك ، مقدم ، العاصم ، دريد و كرفة ، كان الأثبج من أكبر البطون و أكثرها عددا من دخل إفريقية ، أنظر ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 30 .

[2]– **بني مزني** ، تنسب إلى مُزنة بن دَيفل بن مُحيا بن جُرى بن لطيف ، دخل بنو مزني أحلافا مع الهلاليين في القرن الخامس هجري ، و كان أول نزول لهم قرب بسكرة بقرية تدعى محياس ثم كثروا و تسايلوا و أخذوا مع أهل بسكرة بحظ وافر من تملك العقار و الماء ووقعت خلافات مع نظرائهم من بني سندي وصلت لحد الاقتتال ، أنظر ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 585 .

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج 06، ص- ص 585-586.

الفصل الثاني : إقليم الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية دخول قبائل بني هلال

المبحث الأول : الفتح الإسلامي لإقليم الزاب.

- حركة الفتح الإسلامي لإقليم الزاب .
- إقليم الزاب في عصر الولاة .

المبحث الثاني : إقليم الزاب في عصر الأغالبة.

المبحث الثالث : إقليم الزاب في عصر الدولة الفاطمية.

- ثورات ساكنة إقليم الزاب :
- ثورة مُحَمَّد بن خزر .
- ثورة المارطي .
- ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد .

المبحث الرابع : الزاب في عصر الدولة الصنهاجية.

- الصراع الزيري الحمادي .
- إقليم الزاب في يد الحماديين .
- الانتشار الهلالي في إقليم الزاب .

المبحث الأوّل: حركة الفتح الإسلامي لإقليم الزاب

تدهورت الأوضاع العامة لبلاد المغرب نهاية القرن السادس و بداية القرن السابع ميلادي أثناء حكم البيزنطيين نتيجة ضعف الحكم البيزنطي بعد ظهور الصراعات الدينية داخل الدولة البيزنطية ، و ما اعتراها من فساد إداري و سياسي امتدت آثاره إلى بلاد المغرب ، فتراجعت هيبة الدولة لدى البربر مما شجعهم على مواصلة ثوراتهم ، في نفس الوقت كانت الدولة البيزنطية تتمايل و تتهاوى بسبب المشاكل الداخلية و كثرة الحروب على عدة جبهات .

هذه الأوضاع لم تغب عن أعين و مسامع الفاتحين المسلمين حتما [1]، الذين علموا بالحالة السائدة ببلاد المغرب و ضعف السلطة السياسية ، ومحاولة حماية حدود الدولة الإسلامية بمواصلة الفتح نحو غرب مصر [2]، هذا ما نرجحه أن فتح العرب لبلاد المغرب كان مخططا له ولم يكن اعتباطيا ، بالإضافة إلى إحاطة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بأخبار لا بأس بها عن أوضاع بلاد المغرب و ثورات السكان ضد الروم ، لكنه اكتفى بتحصين مصر ورفض مقترح عمرو بن العاص بغزو إفريقية قائلا : " ليست بإفريقية ، و لكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت "[3] .

إنّ الفتح الإسلامي لمصر وبرقة، كان إيذاناً بالدّخول إلى بلاد المغرب، ومنه إلى بلاد الزّاب ، فلمّا كانت سنة إحدى وعشرين للهجرة ، افتتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية[4]، ومنها أوغل إلى برقة [5]

---

[1] – ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ج 01 ، دار الكتب العلمية ، ط 01 ، بيروت ، 1986 ، ص 357 .

[2] – أحمد بن يحي البلاذري ، فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، ط01 ، بيروت ، 1983 ، ص 223.

[3] – ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 232 .

[4] – ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص08.

[5] – **برقة** ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن و قرى بين الإسكندرية و إفريقية ، واسم مدينتها انطابلس ، و هي ما افتتح عمرو بن العاص صلحا و ألزم أهلها من الجزية ثلاثة عشر ألف دينار ، بينها و بين الإسكندرية مسيرة شهر ، و بينها و بين القيروان مائتان و خمسة عشرا فرسخا ، أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 389 .

عام 21هـ/641م[1] وقيل 22هـ/642م[2]، وهو نفس العام الّذي افتتحت فيه طرابلس[3] ، ثمّ فزان[4] وذلك لتأمين الفسطاط الجديدة وللحفاظ على المناطق المفتوحة في مصر، ودفع ما قد يظهر من مشروعات بيزنطية ترمي إلى استرجاع مصر عن طريق طرابلس وبرقة والوثوب منها إلى الشّام[5]. فكان منه أن قام بإرسال عقبة بن نافع الفهري[6] على رأس البحوث والسّرايا الّتي تستطلع أحوال البلاد تمهيداً لتقدّم الجيوش، فبرهن على قدرة وكفاءة وحسن تدبير وهذا ما سيتبيّن في دوره الملحوظ في فتح إفريقية و إقليم الزّاب فيما بعد.

وإلى هنا كانت جيوش الفتح بعد استكمال العمليات الاستطلاعية والحربية تعود إمّا إلى برقة أو الفسطاط والسّبب في ذلك انعدام موقع حصين يحميهم ولا مدينة يلجئون إليها لإصلاح شؤونهم وتعزيز قواهم وتضميد جراحهم وتجديد أسلحتهم، وبعدما ظهر عقبة بفتوحاته كلّ المقاومات المحايدة بين برقة والقيروان، أضحت هذه المناطق قواعد رصينة لانطلاق القوّات الإسلامية، ناحية شمال إفريقية، مروراً بالمغرب الأوسط حتّى المحيط الأطلسي.

وصل عقبة إلى القيروان الّذي كان في مدينة (قَمُوْنِيَة)[7] ، والّذي بناه معاوية بن حديج من قبل، فلم يعجب به وأمر باختطاط مدينة القيروان عام **50هـ** وعُزِل عنها في السنة **55 هـ** فكانت ولايته أربعة

---

[1]- أبو عبد الله مُحَمَّد الواقدي ، فتوح الشّام ، ج2، ضبط وتصحيح، عبد اللّطيف عبد الرّحمن، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2001 .، ص72، أنظر أيضا ، أحمد اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج 2، دار صادر للطّباعة والنّشر، ط 6، بيروت، لبنان، 1999، ص156.

[2]- خليفة بن خياط، المصدر السابق ،ص152، أنظر أيضا : ابن الأثير، المصدر السابق ، ص25.

[3]- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 231

[4]- **فزان** ، ولاية واسعة بين الفيوم و طرابلس الغرب ، بها نخل و تمر كثير ، ويغلب على أهلها السواد ، وقيل سميت بفزان بن حام بن نوح عليه السلام ، أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 260 .

[5] -موسى لقبال ، المغرب الإسلامي، المرجع السابق ، ص18.

[6]-**عقبة بن نافع بن عبد الله بن قيس الفهري**، ولد في عهد الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– شهد فتح مصر وكان أميراً على إفريقية بعد معاوية بن حديج عزله معاوية وردّه ابنه الوليد مرة ثانية، قتل في تهوذة عام 63 هـ ، أنظر: أبو العرب بن تميم :طبقات علماء إفريقية وتونس، تح : علي الشّابب ونعيم حسن اليافي، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص80.

[7]-**قمونية** ، مدينة بإفريقيّة ،كانت موضع القيروان قبل أن تمصر ، وقال بعضهم أن قمونية تدعى بسوس الغرب ، أنظر، الحموي، المصدر السابق ، ج 04 ، ص399.

أعوام،[1] ووُلّي عليها أبو المهاجر دينار،[2] وحتّى هذه الفترة لم يتح للمسلمين بعد وطأ أرض ب الزّاب، لكن بناء قاعدة القيروان كان أولى خطوات هذا الفتح المبين، فأورد بن الأثير نصّاً أفصح فيه بأبلغ بيان عن النّتائج، فقال: «ودخل كثير من البربر في الإسلام واتّسعت خطّة المسلمين، وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وأمنوا، واطمأنّوا على المقام، فثبت الإسلام فيها».[3]

لما قدم أبو المهاجر دينار (**55-62هـ/674-671م**) [4] إفريقية، وقع بهفوتين سيجني عواقبهما فيما بعد : عزل عقبة بن نافع وسجنه وأوقره حديداً و بالغ في إيذائه معنويا بتهجير السكان من مدينته و بناء مدينة أخرى غيرها [5]، ولم يطلق سراح عقبة حتى أتاه كتاب الخليفة معاوية بن أبي سفيان بتخلية سبيله و إرساله إلى دمشق [6] ، ومن مدينته الجديدة التي جعلها منطلقا لعملياته العسكرية في محاربة بقايا الروم النصارى بقرطاجة و القضاء عليهم رفقة جيوب المقاومة من البربر المتنصرين .

و بعد الاطمئنان على المنطقة سار أبو المهاجر قاصدا المغرب الأوسط فاتحا داعيا للإسلام ، واتخذ من طريق التل مسارا له شاقا بلاد كتامة حتى وصل ميلة[7] وكان فيها طائفة من البربر والرّوم، فنازلها وفتحها وغنم ما فيها واستقرّ بها سنتين لأنّها كانت تتوسّط المغربين الأدنى والأوسط فهي أحسن مكان لمراقبة البربر

---

[1] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السّابق، ص20.

[2] –أبو المهاجر دينار عُيّن من طرف حاكم مصر مسلمة بن محمّد كوالي على إفريقية، عام55هن استشهد مع عقبة بن نافع الفهري بتهودة، أنظر: أبو العرب، المصدر السّابق، ص57.

[3] –ابن الأثير، المصدر السّابق، ج03، ص235.

[4] – نفس المصدر، ج03، ص466.

[5] – موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 35.

[6] –محمود شيت خطّاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط7،بيروت ، 1984، ص، ص137، 138 ، توجه عقبة ابن نافع إلى الخليفة و بسط له شكاته في ألم و حسرة : " فتحت البلاد ، و بنيت المنازل ، و مسجد الجماعة ، و دانت لي ، ثم أرسلت عبد الأنصارى فأساء عزلي " فاعتذر منه الخليفة ووعد بإرجاعه متى سمحت الظروف ، أنظر ، ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 266.

[7] – **ميلة**، مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيّام، أنظر :ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج05، ص226.

والرّوم ، وعُد بذلك أول فاتح تطأ خيله بلاد المغرب الأوسط [1]، ولما اتضحت معالم سياسة الفاتح أبي المهاجر نرى بداية حركة مقاومة جديدة تبنتها القبائل البربرية المتنصرة التي مالت إلى التحالف مع الروم ضد الجيش الإسلامي ، و تزعمت هذه المقاومة قبيلة أوربة[2] وقائدها "كسيلة بن لمزم" الذي سار بجموع البربر في مواجهة جيش أبي المهاجر بن دينار معسكرا بتلمسان[3] ، و أسفرت المعركة عن هزيمة البربر و أسر قائدهم و تأليف قلبه للإسلام ، فاصطنعه أبا المهاجر و اختصه بصحبته و صافاه ، وتبع إسلام هذا القائد إسلام قبيلة أوربة التي هي من أقوى فروع البرانس التي تتوزع بطونها مابين الأوراس و الريف وبذلك يضع أبو المهاجر قاعدة التحالف العربي البربري ضد العنصر الدخيل على البلاد[4] .

أما عن فتح بلاد الزاب على عهد أبي المهاجر دينار ، لم تورد المصادر التاريخية معلومات مفصلة عن حملة الفاتح أبي المهاجر أو أحداثها ، حتى عن مسار الحملة المتوجهة من ميلة إلى تلمسان و التي سارت بطريق الزاب حتما أي الطريق الروماني القديم و الذي سيتتبع مساره فيما بعد الفاتح عقبة بن نافع في حملته الثانية ، فبذلك يكون الفاتح أبو المهاجر أول من تعرف بالمنطقة واحتك بسكانها .

ولما كانت سنة اثنين وستين هجري وَلّى يزيد بن معاوية على بلاد إفريقية والمغرب عقبة بن نافع الفهري، وهي ولايته الثّانية [5] ،فرحل من الشّام ومضى إلى إفريقية حنقاً على أبي المهاجر حتّى وصل إليه فأوثقه في الحديد وأمر بخراب مدينته[6] واستخلف عليهم:

---

[1] – الناصري السلاوي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج01 ، تحقيق : جعفر الناصري ،مُحَمَّد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ص 37.

[2] – **أوربة** ، تنقسم الأمّة البربرية إلى قسمين كبيرين، كلّ قسم يحتوي على قبائل كثيرة، وهذان القسمان هما: البرانس والبتر، والبرانس تشتمل على قبائل كثيرة أكبرها هي هوارة وكتامة وزواوة وصنهاجة وأوربة و مصمودة، أنظر محمّد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة ،1963، ص35

[3] – **تلمسان** ، مدينة بالمغرب اسمها القديم: أقادير، أنظر : الحموي ، المصدر السابق ، ج02 ، ص44.

[4] – موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 37 ، 102.

[5] – ابن عذارى المراكشي ، المصدر السّابق، ج01 ، ص23.

[6] – تبعد ميلين عن القيروان، واختلفت المصادر في اسمها فنجدها باسم "دكرور" كما سمّاها البربر "تيكروان".

زهير بن قيس البلوي [1] و عمر بن علي القرشي ، و أوصى أولاده بجملة من الوصايا وبين لهم هدف حملته المقبلة :" إني قد بعت نفسي إلى الله ، فلا أزال أجاهد من كفر بالله ، وأوراكم لا ترونني بعد يومكم هذا " [2]، فحارب الرّوم والبربر بمدينتي قرطاجة وباغاية وما والاهما[3] وإلى مدينة باغاية لجأ البربر والرّوم، وبها تحصّنوا من عقبة بن نافع القرشي، فدارت بينهم حروب وكانت الدُّبْرَة على أهل باغاية، فهزمهم عقبة وقتلهم، قتلاً ذريعاً، ولجأ كلّهم إلى الحصن وغنم منهم خيلاً لم يروا في مغازيهم أصلب منها ولا أسرع، من نتاج جبل أوراس، فرحل عنهم ولم يُقِم كراهة أن يشتغل بهم عن غيرهم[4] ،ثم مضى إلى المسن[5] وكانت في ذلك الوقت الوقت أعظم مدائن الروم فلجأ إليها من كان حولها منهم ، وخرجوا إليه في عدة وقوة فقاتلوا قتالا شديدا حتى ظن الناس أنه الفناء ، فانهزموا فقاتلهم إلى باب حصنهم فأصاب غنائم كثيرة وكره المقام عليها [6].

ومن هذه النّقطة دخل بلاد الزّاب " فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا مدينة يقال لها أذنة، ومنها الملك وهي مجمع ملوك الزاب وكان حولها حوالي ثلاثمائة قرية و ستون قرية و كلها عامرة ، و لما بلغهم أمره لجئوا إلى حصنهم و هرب بعضهم إلى الجبال و الوعر " [7]، فلمّا قدمها نزل على وادٍ [8]بينها وبينه نحو ثلاثة ثلاثة أميال في وقت المساء، فكره قتالهم فلمّا أصبح قاتلهم قتالاً عظيماً حتّى يئس المسلمون من أنفسهم، ثمّ

---

[1]– هو أبو شدّاد زهير بن قيس البلوي، ولّاه عبد الملك بن مروان على إفريقية بعد استشهاد عقبة بن نافع، وكان صاحباً له، وبعد أن قضى على كسيلة خرج من إفريقية عائداً إلى المشرق، لأنّه كان زاهداً في الحكم، لكنّه استشهد في طريقه ببرقة، أنظر: المالكي:المصدر السابق ،ص، ص93، 94.

[2]– موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 41 ، ترد وصيته لأبنائه عند الرقيق القيرواني : " إني بعت نفسي من الله عز و جل بيعا مربحا أن أجاهد من كفر ، حتى ألحق بالله ولست أدري أتروني بعد هذا أو أراكم ، لأن أملي الموت في سبيل الله أو ردي إليكم كما أحب ، ثم قال : عليكم سلام الله ،اللهم تقبل مني نفسي في رضاك " ، أنظر ، الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص09.

[3]– نفس المصدر ، ص10.

[4]–الحميري ، المصدر السابق ، ص 76 .

[5]– وردت المدينة عند ابن خلدون ب " لميس " وهذا هو الأصح أي أن مدينة المسن ماهي إلا حصن لامبيز – تازولت حاليا – ، أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 108.

[6]– الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 10 .

[7]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 237.

[8]– توافق القوم اللّيل كلّه لا راحة لهم ولا نوم فسمّاه النّاس إلى اليوم وادي سهر، لأنّهم سهروا عليه.

هزم الله الرّوم وقتل فرسانهم وأهل النّكاية منهم واستولت الهزيمة على بقيّتهم فانهزم القوم وقتل فيها أكثر فرسان الروم ، " فذهب عزهم من الزاب و ذلوا إلى آخر الدهر فكره أن يقيم عليها "[1].

ولعل مدينة أذنة لم تكن ذات حصانة كبيرة أهلتها لتلعب دور المدينة الكبرى ، و لربما جعلتها قوة الروم و البربر الساكنة حولها أهم مدينة في الإقليم [2] ، أما عن مسار الحملة بعد خروجها من باغاية وحصن لامبيز باتجاه أذنة يدفعنا الأمر إلى التّفكير في الطّريق الّذي سلكه عقبة لولوج إقليم الزّاب، هل سلك الطّريق الجنوبي الذي يمر عبر طبنة أو سلك الطريق الشمالي لذي يمر عبر سطيف ؟ ، لذلك لا يمكننا الجزم بمسار الفتح عبر إقليم الزاب .

لما توالت الهزائم على نصارى إفريقية وبربرها، وكثر القتل فيهم حتّى كاد يستأصلهم عقبة عن آخرهم ، لجأ من بقي منهم إلى الحصون والمعاقل، فكره عقبة المقام على محاصرتهم فيفوته بذلك الغزو، فتركهم في حصونهم وأوغل في الغرب إلى أحواز طنجة وسار نحو المصامدة وغزا السّوس الأقصى حتّى المحيط الأطلسي، فقال فيه بن عبد البرّ: «فتح عقبة عامّة بلاد البربر إلى أن بلغ طنجة وجال هناك، ولا يقاتله أحد ولا يعارضه، حتّى فتح كورة من كور السّودان».[3]

وانصرف عقبة عائدا إلى القيروان بعد أن فتح أغلب المدن ومضارب القبائل ، حتى وصل مدينة طبنة التي تبعد عن العاصمة بنحو مسيرة ثمانية أيام ، فأمر معظم جيشه بسرعة العودة للقيروان، وبقي في مجموعة من الفرسان ثقة بنفسه و ما فتحه من البلاد و إخضاعه للسكان [4] ، " انصرف إلى إفريقية ، فلما دنا من ثغرها ثغرها أمر أصحابه فافترقوا عنه و أذن لهم حتى بقي في قلة " [5]. (أنظر الملحق رقم 04)

بينما يشير ابن عبد الحكم على أن سبب تسريح عقبة لجيشه بسرعة من طبنة إلى القيروان يعود للأنباء المقلقة التي وصلته بعد مهاجمة القيروان وهو بالسوس من طرف جيش قوامه ثلاثين ألف بقيادة كسيلة الذي فرّ

[1]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 12.
[2]- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 20 .
[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السّابق، ج01 ، ص، ص25، 27.
[4]- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 43.
[5]- الحموي، المصدر السابق ، ج 04، ص 335 .

من معسكر عقبة بن نافع ، لكن الجيش هزم على يد من استخلفهم عقبة على القيروان [1] ، بينما نجد رأيا آخر يقول أن كسيلة كان يتعقب عقبة بن نافع ويردم الآبار التي يخلفها من ورائه قبل وصوله السوس [2] ، فكان العطش الشديد الذي أصاب الجيش سبب في تسريح أغلبيته إلى القيروان[3] .

و من غير المستبعد أن يكون كسيلة قد دبر للفاتح عقبة بن نافع مكيدة واتصل بأهله مادام أنه كان يردم الآبار[4] ، ونرجح سبب تسريح الجيش أنه كان تخفيفا من القائد عقبة بن نافع خاصة أن الجيش عانى العطش ، و آثر أن يبقى في مجموعة قليلة لعلمه بأمان المنطقة ، وحاول أن يستطلع الأخبار القادمة من إقليم الزاب بعدما بلغ مسامع تمرد سكان حصن بادس[5] و تهوذة .

لما وصل عقبة ومن معه مشارف الحصون ورأى الروم قلة من معه ، اختمرت في عقولهم فكرة الإجهاز عليه وقدروا أهمية ذلك [6] " إن في قتل هذه الخيل ، قتال أهل الأرض " [7] ، فكان عقبة يدعو سكان الحصن للإسلام برباطة جأش وهم يرمونه بالحجارة ويشتمونه ، مع إغلاقهم للحصن في وجهه ، كما راسلوا كسيلة البربري فلم يتوان عن الاستجابة و الثأر لكرامته والنيل من عقبة ، فجمع عددا كبيرا من البرانس مع حلفائهم من الروم ، ووقعت المعركة الغير المتكافئة بين النفر الكبير المتحالف و الفئة القليلة التي لم يتجاوز عددها ثلاثمائة فارس ، وقتل عقبة ومن معه حتى أبو المهاجر دينار الذي فُك قيده ، و أورد بعض المؤرخين أن من نتائج

---

[1] – ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 268.

[2] – نفس المصدر ،ج01 ، ص 268.

[3] – ابن الأثير، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 106 .

[4] – صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 30 .

[5] – بادس ، مدينة كبيرة لها حصنان و أرباض واسعة و بسائط مثيرة و مزارع جليلة ... وهي مدينة قديمة فيها آثار الأولين ، أنظر ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 175، بينها وبين بسكرة مرحلة ، وبينها وبين تهوذا مرحلة ، أنظر ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 88.

[6] – موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 43.

[7] – أبي زيد عبد الرحمن الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج01 ، أكمله وعلق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، تصحيح وتعليق : ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ط02، مصر ، 1968 ، ص 47.

معركة تهوذة أسر جماعة من أصحاب عقبة منهم : مُحَمَّد بن أوس الأنصاري[1] ويزيد بن خلف العبسي[2] ، تدخل صاحب قفصة المسلم الذي يلقب بابن مصاد و دفع الفدية فيهم وقبلها كسيلة و أرسلهم إلى القيروان [3]. (أنظر الملحق رقم 05)

ومن أسوأ ما ترتّب عن هذه المعركة ضياع حكم الدولة الأموية من الزّاب، بل ومن بلاد المغرب كلّه بما يربوا عن أربعين سنة من جهود الفتح [4] ، ودفن الصحابة بموقع استشهادهم و جعلت على قبورهم أسنمة ثم جُصصت و اتخذ على المكان مسجد سمي مسجد عقبة [5] ، وفي محرّم من عام أربع وستين هجري انتزع كسيلة مدينة القيروان لما اجتمع له من جميع أهل المغرب من البربر والرّوم واستمر عليها لمدة خمس سنوات (64-69 هجري / 684-688م) وخرج منها العرب خلف زهير بن قيس وأمّن كسيلة من بقي منهم بالمدينة [6]، فلمّا كانت سنة خمس وستين هجري وُلِّي عبد الملك بن مروان(65-86هـ/684-705م) خليفة خليفة على الدولة الأموية ، واجتمع أكابر المسلمين لديه وأجمعوا على تقديم زهير بن قيس البلوي على إفريقية، فسار إليها عام تسعة وستين هجري[7] بعدما تمّ تجهيزه، ولما بلغ الخبر مسامع كسيلة بن لمزم خرج إلى ممس [8] فتبعه زهير بن قيس وقاتلهم حتّى أدرك كسيلة فقتله، ومن معهم ولحقوا بهم إلى وادي ملوية بالغرب،

---

[1]- هو مُحَمَّد بن أوس الأنصاري كان من أهل الدين و الفضل ، من أهل الفقه ، روى الحديث عن أبي هريرة ، و روى عنه الحارث بن يزيد مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي ، ولي بحر إفريقية سنة ثلاث و تسعين ، و غزا الأندلس مع موسى بن نصير ، أنظر ، ابن يونس المصري ، تاريخ ابن يونس المصري المعروف بتاريخ الغرباء عن مصر ، ج02، دار الكتب العلمية ، ط01، بيروت ، 2000 ، ص 193.

[2]- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 43.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 238 ، الناصري السلاوي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 39.

[4]-السّيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص232.

[5]- الناصري السلاوي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 39.

[6]- نفس المصدر ،ج01، ص 42 .

[7]- قال ابن خلدون سنة 67 هـ، أنظر ،ديوان العبر ،المصدر السابق ، ج 06 ، ص142، وتم المقارنة بمهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط بأرض الشام ، وحروب آل الزبير ، أنظر ، الناصري السلاوي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 42.

[8]- ممس، وردت بهذا الاسم عند المالكي، المصدر السّابق، ج 01، ص47، "وممش" عند النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص33.

وعلى إثر هذه المعركة قتل ملك الرّوم والبربر وأشرافهم وفرسانهم، واستوطن زهير بن قيس القيروان إلى غاية مقتله على يد الرّوم [1] .

وعقب نزول حسّان بن النّعمان[2] على القيروان أراح بها وسأل عمّن بقي من أعظم ملوك إفريقية، فدلّوه على امرأة بجبل أوراس يقال لها الكاهنة، فتوجّه إليها لمحاربتها ولما بلغ الخبر مسامع الكاهنة، رحلت من جبل أوراس وسبقته إلى مدينة باغاية فخرّبتها، ظنّا منها أنّ حسّان إنّما يريد حصناً يتحصّن به، لكنّ حسّان نزل بوادي مسكيانة [3] ودارت بينهم معركة انهزم فيها حسّان وقتلت العرب قتلاً ذريعاً[4] ،والوارد هنا عن أسباب الهزيمة هو أن يكون المسلمون قد استخفّوا بجيش تقوده امرأة[5] .

ملكت الكاهنة المغرب كلّه بعد حسّان خمس سنين، فلمّا رأت إبطاء العرب عنها قالت: «إنّما العرب يطلبون من إفريقية المدائن والذّهب والفضّة، ونحن إنّما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلّا خراب بلاد إفريقية كلّها حتّى ييأس العرب منها فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدّهر»[6]، وعمدت إلى البلاد فخرّبتها فخرّبتها بعدما قيل أنّ إفريقية كانت ظلّاً واحداً من أطرابلس إلى طنجة، لكنّ ما نتج عن هذا هو أن خرج البربر مستغيثين بما نزل بهم من الكاهنة، فقاتلها حسّان وقتلها، واستأمنه البربر فلم يقبل إلّا مقابل اثني عشر ألف محارب منهم، ليكونوا في جيش العرب، فأجابوه إلى ذلك.[7]

[1] – ابن عذارى المرّاكشي، المصدر السّابق،ج01 ، ص32.

[2] – حسّان بن النّعمان بن عديّ بن بكر بن مغيث بن عمرو وبن مزيقيا بن عامر بن الأزداد فاتح الّذي استكمل فتح بلاد المغرب، اشتهر بهزمه لصاحب قرطاجة 76 هـ، ومعاركه مع الكاهنة، توفّي 86 هـ، ابن عذارى المرّاكشي، المصدر السّابق، ج01، ص34 وما بعدها، أنظر أيضا: حسين مؤنس،المرجع السابق ، ص235 وما بعدها.

[3] – مسكيانة، قرية صغيرة بالقرب من باغاية، الحميري: المصدر السّابق، ص558.

[4] – الرّقيق القيرواني ،المصدر السّابق، ص24.

[5] –عبد العزيز اللّميم، حسّان بن النّعمان الغسّاني ودوره في فتح بلاد المغرب، مؤسّسة الرّسالة، ط 1، بيروت، 1989، ص120، أنظر أيضاً محمود شيت خطاب، المرجع السّابق، ص185.

[6] – ابن عذراي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 36

[7] – نفس المصدر ، ج01 ، ص 38.

وبموت الكاهنة رمضان سنة **82 هـ/706م**، حسُن إسلام البربر واستقامت بلاد إفريقية لحسّان بن النّعمان،[1] وسقطت آخر القلاع الّتي تتحصّن بها ببلاد الزّاب، وإلى هنا يمكن اعتبار بلاد الزّاب مفتوحة منذ عهد حسّان بن النّعمان.

أمّا ما كان في عهد خلفه موسى بن نصير **82هـ/706م**،[2] فقد بدأ أعماله بإخضاع بقايا جيوب المقاومة في إفريقية بقلعة زغوان[3] الّتي تبعد عن القيروان مسيرة يوم كامل، فهزمهم وافتتح قلعتهم فبلغ سبيهم يومئذٍ عشرة آلاف، كما بعث جيوشه إلى قبائل هوارة وزناتة، وبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس، وسار بنفسه إلى ديار صنهاجة وطبنة الّتي افتتحها و بلغ سبيها عشرين ألف رأس[4] .

وعلى الأرجح أنّ ما قام به موسى بن نصير في مدينة طنجة هو إعادة فتح، ذلك أنّ البربر لم يثبت إسلامهم في المراحل الأولى من الفتح، إذ ذُكِر أنّ البربر ارتدّوا اثني عشر مرّة من طرابلس إلى طنجة ولم يحسن إسلامهم حتّى قدوم موسى بن نصير، القيروان واليا على إفريقية[5] ،وباستقرار الفتح وحسن إسلام البربر يدخل إقليم الزّاب في فلك البلاد الإسلامية، ليشرع العرب في التّنظيمات الإدارية لتسيير شؤون الولاية.

- **إقليم الزاب في عصر الولاة :**

بعد استكمال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب و كل أقاليمه بما فيها إقليم الزاب بعد حملة الفاتح موسى بن نصير، بدأت التنظيمات الإدارية و السياسية من طرف ولاة الدولة الإسلامية ، وهو ما اصطلح عليه بعصر الولاة [6]، تغيب أخبار إقليم الزاب في هذه الفترة من المصادر التاريخية منذ بدأ التقسيم الإداري الجديد إلى

[1]-بن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص36، أنظر أيضا ابن الأثير، المصدر السّابق، ج04، ص372.

[2]- ابن الأثير، المصدر السّابق، ج04، ص252، أنظر أيضا ،ابن عذارى المرّاكشي، المصدر السّابق ، ج01، ص46.

[3]- زغوان، قرية قديمة منيعة تقع ما بين القيروان وتونس، أنظر الحميري ،المصدر السّابق، ص294.

[4]- الحميري، المصدر السّابق، ص50، أنظر أيضا: البكري، المصدر السابق ، ج02 ، ص229.

[5]- ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6، ص220.

[6]- يطلق عصر الولاة على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير من بلاد المغرب و الأندلس سنة 96 هـ/715 م ، ويمتد زمنيا إلى غاية قيام الدول المستقلة عن السلطة المركزية في هذه المنطقة ، أنظر ، عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 19.

غاية سنة 124 هـ/742م [1] زمن انتشار النزعة الخارجية و ثوراتها بالبلاد ، إن ما تورده المصادر التاريخية عن تلك الحقبة الزمنية من تصرفات مسيئة و مشينة تعرض لها سكان بلاد المغرب من طرف بعض الولاة الذين انتهجوا سياسة تقريب العصب في إدارة شؤون الرعية ، فنقلوا الصراع القيسي اليمني القديم من بلاد المشرق إلى المغرب الإسلامي .

ما عدا فترة خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م)[2] ، حيث في خلافته أصبح الولاة دعاة ناشرين متألّفين البربر نحو الدين الإسلامي ، فكان أهل بلاد المغرب يشربون الخمر حتى مقدم الفقهاء التابعين فبينوا تحريمها، كما ألغى الخليفة بيع البربريات ، و صدر الأمر " أن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها ، أو فليردها إلى أهلها "[3] واختار الخليفة لهذه المهمة عشرة[4] من التابعين لتعليم أهل المغرب أصول أصول الدين ، من بينهم " إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر " [5] الذي اختير لتعليم سكان بلاد المغرب مع مع تكليفه بتسيير شؤون الولاية ، فكرس هذا الوالي جهده في سبيل تطبيق العدالة الاجتماعية بين المسلمين و أشرك البربر في تسيير الإدارة في بلادهم وترك لهم حرية التصرف في شؤونهم مستمدا ذلك من توجهات الخليفة عمر بن عبد العزيز [6]، فكان " إسماعيل خير وال و خير أمير " [1] ، لكن الوضعية العامة انقلبت بعد عزل

---

[1]- خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص 355.

[2]- هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ثامن خلفاء بني أمية ، عده سفيان الثوري خامس الخلفاء الراشدين ، عين بالخلافة مابين (99-101هـ/718-720م) ، أنظر ، جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 01 ، بيروت ، 2003 ، ص 182 .

[3]- البلاذري ، المصدر السابق ، ص 227.

[4]- هؤلاء الفقهاء من التابعين هم : أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع ، أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي ، أو عبد الرحمن الحبلي ، وهب بن حي المعافري ، حيان بن أبي جبلة القرشي ، أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي ، أبو سعيد حثعل بن عاهان بن عمير ، طلق بن جابان الفارسي و اسماعيل بن أبي المهاجر .

[5]- عين واليا على بلاد المغرب عام 100هـ/718م كان تابعيا جليلا زاهدا مصلحا من خيرة ولاة بلاد المغرب ورث عن جده أبي المهاجر دينار خصالا حميدة من أهمها الحزم و الحكمة و حسن التدبير والكياسة و المرونة في العمل ،كرس جهده في سبيل تعليم أهل المغرب أصول الدين وتلقينهم الثقافة العربية تطبيق العدالة و المساواة و مبدأ تكافؤ الفرص بين الناس ، عزل من منصبه بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وبقي بمدينة القيروان يعلم الناس إلى أن توفي بها سنة132هـ/749م ، أنظر ، عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 38.

[6]- نفس المرجع ، ص 38 .

إسماعيل وتعيين الوالي " يزيد بن أبي مسلم " محله ، هذا الأخير كان من أتباع الحجاج ومن المعجبين بنهجه في الحكم و الإدارة و خاصة في معاملته للموالي [2] ، ثم جاء تعيين الوالي بشر بن صفوان الكلبي (103-115هـ/721-733م) الذي عد أول من قام بتقريب أهل العصبية في إدارة البلاد ، فانتشرت الفتن و المشاكل التي وصلت إلى حد تصفية أسر كبرى لها باع في الفتح مثل : آل عقبة و آل دينار و آل حديج و آل موسى بن نصير [3] ، غاب إقليم الزاب عن الكتابات التاريخية طيلة هذه لفترة ولا ندري أن يكون ذلك إما لغياب دور فعال للإقليم على مجريات الأحداث أو لتركيز كل المؤرخين على ما جرى من أحداث بأقصى بلاد المغرب خاصة بعد انطلاق ثورات الخوارج و معركة الأشراف .

وفي ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي (123-129هـ/740-746م) برزت شخصية القائدين البربريين أبو يوسف الهواري و عكاشة بن أيوب الفزاري[4]، حيث كان الإقليم مركز اجتماع و انطلاق الجيش لمهاجمة القيروان ، و وفي أول لقاء انهزم جيش أيوب الفزاري أمام جيش عبد الرحمن بن عقبة بن نافع و توجه صوب طنجة بين دخل القائد عبد الرحمن الزاب و صام رمضان به ، ثم جاءته رسالة الوالي حنظلة تأمره بمواجهة جيش الصفرية بقيادة عبد الواحد بن يزيد ، و كان اللقاء بالزاب منتصف شهر ذي القعدة من عام 124 هـ ، فقتل عبد الرحمن بن عقبة بن نافع و كثير من الجند و استولى عبد الواحد على عيالات أهل طبنة إلى أن قتل على يد جيش جيش الوالي حنظلة و بذلك سكنت البربر و الصفرية ببلاد المغرب لزمن[5] .

ليستولي عبد الرحمن بن حبيب الفهري على ولاية إفريقية عام (127هـ/744م) مؤسسا بذلك نظام ملك الفهريين ببلاد المغرب الإسلامي الذي امتد حتى عام 140 هـ ، حيث بعد وفاة الفاتح عقبة بن نافع بقي أبنائه و أحفاده ببلاد المغرب ثم انتقل الأبناء و الأحفاد للسكن بإقليم الزاب قرب بسكرة و تهوذة وطولقة

[1]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 97 .

[2]- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 104.

[3]- نفس المرجع ، ص 106.

[4]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 115 .

[5]- خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص 355.

مجاورة لقبر أبيهم و جدهم [1] ، و في عام 138 هـ بدأت المشاكل تدب بين أبناء الأسرة الواحدة خاصة بعد قتل إلياس أخاه عبد الرحمن ، فانقسم البيت الفهري إلى قسمين : إلياس و أخاه عبد الوارث ، و حبيب و عمه عمران ، وبعد مدة وفترة صلح فر عبد الوارث إلى الأوراس إلى قبيلة ورفجومة أحد بطون قبيلة نفزة متحصنا بها و طالبا مساعدتها في إرجاعه إلى ملكه[2] ، فزحف زعيم القبيلة عاصم بن جميل الورفجومي و دخل القيروان و استباحت قبيلة ورفجومة الخارجية القيروان و " أساءت ورفجومة لأهل القيروان سوء العذاب "[3] ، وفي هذه الفترة زال ملك العرب ماعدا الفئة العربية المقيمة بمدينة طبنة ، فتدخل أبو الخطاب المعافري و قاتل قبيلة ورفجومة وولى عبد الرحمن بن رستم على القيروان ، فوجه الخليفة المنصور جيشا قوامه أربعين ألف مقاتل بقيادة مُحَمَّد بن الأشعث الخزاعي[4] الذي انتصر على أبي الخطاب و قتله ثم دخل القيروان و أعاد الهدوء للإقليم [5] ثم اختص على إقليم الزاب أحد أمهر قادته العسكريين وهو الأغلب بن سالم [6]، هذا الأخير اتخذ اتخذ من مدينة طبنة مقرا له فكانت هي النقطة الدفاعية الأولى في بلاد الزاب لمواجهة الأخطار الداهمة على القيروان و منها تنطلق الجيوش[7] ، و استمر الأغلب بن سالم في دوره من مقر إقامته بطبنة حتى خروج ابن الأشعث من ولاية إفريقية سنة 148 هـ/771 م [8]، قتم تعيين الأغلب بن سالم واليا على إفريقية بدل ابن الأشعث ، و في عهده اشتدت ضربات أبي قرة الصفري عليه ، فعزم الخروج بجيشه عليه و قدم إلى الزاب ،

---

[1] – موسى لقبال ، عقبة بن نافع ، المطبعة الشعبية للجيش ، وزارة الثقافة الجزائرية ،2007 ، ص 97.

[2] – موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 111.

[3] – ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 70

[4] - **مُحَمَّد بن الأشعث الخزاعي** ، ولي على إفريقية بعد مقتل الوالي حبيب بن عبد الرحمن الفهري عام144 هجري ، قضى على الدولة الإباضية بجيل نفوسة وقضى على قائدها أبي الخطاب المعافري ، و دخل القيروان سنة145 هجري و قتل بها سنة 148 هجري ، أنظر : خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ص 39 .

[5] – ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 72.

[6] – **الأغلب بن سالم التميمي** ، هو جد الأغالبة ببلاد المغرب كان قائدا عسكريا في حملة ابن الأشعث ، عين واليا على افريقية بعد مقتله عام 148 هـ ، قتل على يد الجند عام 150 هـ ، أنظر ، الزركلي ، نفس المرجع ، ج 01 ، ص 355 .

[7] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 245 . ، أنظر أيضا : عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 88 .

[8] – ابن الآبار ، المصدر السابق ، ص 69 .

ومنها عزم على الرحيل إلى تلمسان وطنجة فاشتد الأمر على الجند فخرجوا متسللين ليلا إلى القيروان ، وتم قتل الأغلب بن سالم بسهم من طرف أحد الجنود الذين بقوا معه سنة 150 هـ / 773 م[1].

ليتم تعيين عمر بن حفص الملقب بهازمرد على ولاية إفريقية سنة 151 هـ / 774م و يبدو أنه اهتم بمدينة طبنة أكثر من سابقيه ، حيث خرج من القيروان إلى طبنة فأعاد ترميمها و بنائها " و بنى عليها سورا "[2] ، ويذكر البكري عن التحصينات التي حضيت بها مدينة طبنة على يد الوالي عمر بن حفص : " .... وسورها مبني بالطوب ، و بها قصر و أرباض ، و داخل القصر جامع و صهريج كبير ... ، ويقال أن الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهازمرد ... " [3]، ويبدو أنه استغل القصر البيزنطي القديم في بناء مدينة مدينة طبنة : "وقال مُحَمَّد بن يوسف أن قصر طبنة أولي كبير جليل مبني بالصخر الضخم عليه آزاج كثيرة ينزله العمال و هو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة... [4]"

و أصبح لمدينة طبنة بعد هذه الترميمات خمسة أبواب : " و لمدينة طبنة من الأبواب باب خاقان مبني بالحجر عليه باب حديد و هو سري ، و باب الفتح غربيّ باب حديد أيضا ... و باب تهوذا قبلي عليه باب حديد و هو سري أيضا ، و الباب الجديد ، وباب كتامة جوفي ، و خارج المدينة بإزاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون بمقدار ثلثي المدينة. " [5]

و كان سكان المدينة حسب البكري : " يسكنها العرب و العجم بينهما الاختلاف و الحرب" [6]فقام الوالي عمر بن حفص بإسكان قبيلة ورفجومة بالمدينة و هي أحد بطون قبيلة نفزاوة "ولما اختط عمر بن

[1]- النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص ـ ص 41-42 .
[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 246 .
[3]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 228 .
[4]- نفس المصدر ، ج02 ، ص 228 .
[5]- نفس المصدر ، ج 02 ، ص 229 .
[6]- نفس المصدر، ص 228 .

حفص مدينة طبنة سنة إحدى و خمسين و مائة أنزل ورفجومة هؤلاء بما كانوا شيعا له ، و عظم غنائهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم و بنو يفرن" [1].

بعد إعمار المدينة و اختطاط الدير و البيع ، أصبحت مدينة طبنة لا ثالث أكبر مدينة في بلاد المغرب الإسلامي " ... و ليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة مدينة أكبر منها " [2]

وبهذه التحصينات تمكن الوالي عمر بن حفص من رد هجوم حشود الصفرية[3] و الإباضية[4] على المدينة المدينة و التي كانت تحت قيادة أبي قرة الصفري و عبد الرحمن بن رستم و غيرهم و تذكر المصادر على أن هذا الجيش فاق عدده خمسين ألفا و يتكون من :

- أبو قرة الصفري أربعون ألفا .
- عبد الرحمن بن رستم خمسة عشر ألفا .
- عاصم السدراتي (من الإباضية) في ستة آلاف .
- المسور الزناتي الإباضي في عشرة آلاف .
- ابن سكرديد الصنهاجي في ألفين .
- أبو حاتم الإباضي في نفر كبير [5].

وعين الوالي عمر بن حفص المهنأ بن المخانق الطائي الذي استطاع رد هجوم أبي قرة على طبنة الثاني بعد مغادرة الوالي عمر إلى القيروان ، ثم قتل الوالي عمر بن حفص عام 154هـ/770 م على يد أبي حاتم

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 151 .

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

[3]- **الصفرية** ، هم أصحاب زياد بن الأصفر خالفوا فرق الخوارج الأخرى في عدة أمور : لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين و الاعتقاد ، لم يسقطوا الرجم ، أجازوا التقية في القول دون العمل ، أنظر : الشهرستاني ،المصدر السابق ، ص 137 .

[4]- **الإباضية** ، هم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي ، يعتبر من المذاهب المعتدلة ، رأوا بأن مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا ملة فهم موحدون لا مؤمنون ، و أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي ، أنظر ، الزركلي ، المرجع السابق ، ج 01 ، ص 136 .

[5]- ابن عذاري ،المصدر السابق ، ج01 ، ص 75 ، الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 143، صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 45.

الإباضي ، الذي استطاع الوالي الجديد يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلب (155-171هـ/771-787م) القضاء عليه بمساعدة عامل الزاب المهنأ بن المخارق [1] ، ويبدو أن آخر ثورة بإقليم الزاب خلال عصر الولاة كانت سنة 164هـ/780م[2] حيث قتلت قبيلة ورفجومة عامل الزاب المهنأ بن المخانق واستطاع خليفته العلاء بن سعيد من إخماد هذه الثورة [3] .

فكانت طبنة عاصمة الإقليم في كثير من المرات ينصب ولاتها أمراء القيروان و في أحيان أخرى تتدخل و تحدث حرجا للسلطة بالقيروان ، و هي من ستفرز مؤسس الدولة الأغلبية[4]، و لأهمية المدينة في مواجهة خطر الأدارسة و الخوارج على حدود الدولة العباسية أوصى هارون الرشيد الوالي روح بن حاتمبقوله : " ... لاتنزل و لا ترجع . أنت مسافر و أنا مقيم ، ثم سايرني و قال : عليك بالزاب واملأه خيلا و رجلا " [5]، فصار بذلك إقليم الزاب يتبع السلطة العباسية ببغداد مباشرة و تم فصله عن القيروان في عهد هارون الرشيد [6].

المبحث الثّاني: إقليم الزّاب في عصر الأغالبة

[1]- ابن عذراي المراكشي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 76-79.

[2]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 46.

[3]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 0 ، ص 602 .

[4]- الطاهر طويل ، المرجع السابق ، ص 122.

[5]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 136 .

[6]- مُحَمَّد الطالبي ، المرجع السابق ، ص 118 .

إنّ قيام دولة الأغالبة في إفريقية عام **184هـ/800م**، شديد الارتباط بما كان يسود بلادها من اضطراب وفوضى وصراع مذهبي وثورات الجند العرب والبربر في الفترة الممتدّة من خلافة هشام بن عبد الملك (**105-125هـ/724-743م**) إلى غاية نهاية الدّولة الأموية (**132هـ/750م**)[1]، وقد انتقل هذا الموروث المشبّع بالثّورات والانقلابات إلى الدّولة العبّاسية، وشكّل إقليم الزّاب فضاء رحباً للدّعوات المناوئة وبؤرة زادت حدّتها مع أواخر العصر الأموي، ذلك أنّ هذا الإقليم يتميّز ببعده الجغرافي عن مركز الخلافة، كما أنّ أهله حديثو العهد بالإسلام لذلك سعى الوُلّاة المتعاقبون على إفريقية بأمر من الخلافة في المشرق إلى إخضاع هذه الأقاليم المناوئة وضمّها.

ولما كانت الخلافة في غنىً عن المشاكل المتواصلة، القادمة إليها من الغرب، لما تعانيه أصلاً في المشرق وأمام إيمانها بالصّعوبات الكبيرة الّتي تحفّ محاولاتها للحفاظ على ممتلكاتها مشرقاً ومغرباً، وجد هارون الرّشيد نفسه مضطرّاً لقبول عرض إبراهيم بن الأغلب التّميمي بإعطائه إمارة إفريقية[2] ثمّ لخلفه من بعده، مقابل الحفاظ على رابط الانتماء، والولاء للخلافة العبّاسية ومبلغ سنوي[3] أو مقابل الدّعاء في الخطبة دون التزامات مالية، منذ سنة **184 هـ/797م** لتدخل بذلك البلاد مرحلة جديدة من الحكم الأغلبي[4].

كان إبراهيم بن الأغلب قد أسّس لمشروعه هذا انطلاقاً من الزّاب عندما كان والياً عليه، حيث استطاع تهدئة الأمور فيه، ولا تأتي المصادر على ذكر أيّة قلاقل في هذه الفترة، بل تتحدّث عن الكيفية الّتي تمكّن بها عامل الزّاب من المدافعة عن والي إفريقية محمّد بن مقاتل العكي (**181-184هـ/797-800م**)[5]، حيث نهض إبراهيم بن الأغلب من الزّاب، وكان أميراً عليها فابتدر المسجد الجامع وصعد المنبر، فأعلم النّاس أنّه ما

---

[1]- محمود إسماعيل، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3، مصر ، 2000،ص11.

[2]- ذكر ابن الأثير أنّ إبراهيم بن الأغلب كان بولاية الزّاب سنة 180 هـ، وأنّه لاطف هرثمة وقدّم له الهدايا، فولّاه ناحية الزّاب، أنظر :الكامل في التّاريخ، ج05، ص96.

[3]- قدّر بمائة ألف دينار، بل تعهّد أن يدفع أربعين ألف دينار سنويا للخلافة، أنظر: الكامل في التّاريخ، ج05، ص104.

[4]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص47.

[5]-ابن عذاري، المصدر السّابق، ج01، ص90-91.

وصل إلّا لنصرة العكّي محمّد بن مقاتل، فلمّا علم تمّام بن تميم التّميمي بذلك كتب إلى العكّي كتاباً يتّضح مضمونه في آخر ما أورده بالكتاب، قائلاً:

وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ فَضِلِ طَاعَةٍ يـرُدُّ عَلَيْكَ الْمَلِكُ لَكِـنْ لِتُقْتَـلَا

فَلَوْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَعِلْـمٍ بَلِيـدَةٍ لَمَا كُنْتَ مِنْهُ يَا ابْنَ عَكٍّ لِتُقْبَلَا

فقرأه محمّد بن مقاتل العكّي ودفعه إلى ابن الأغلب، ثمّ ردّ عليه:

وَإِنِّي أَرْجُـــو إِنْ لَقِيــتُ ابْنَ أَغْـلَــبٍ غَداً فِي الْمَنَايَا أَنْ تُغَلَّ وَتُقْتَلاَ

تُلَاقِي فَتىً يَسْتَصْحِبُ الْمَوْتَ فِي الْوَغَى وَيَحْمِي بِصَدْرِ الرُّمْحِ عِزّاً مُؤَثَّلاَ

ولما اقتتل الجمعان، كانت الدُّبرة لتمّام وجيشه الّذي رجع إلى تونس، فلحقه ابن الأغلب وحاصره حتّى تمكّن منه فأمّنه وأقبل به إلى القيروان.[1]

وعلى كلّ فبعد تِبْيان الفضل فيما تمّ تحقيقه، عهد الرّشيد إلى إبراهيم بن الأغلب بولاية إفريقية من جديد في **12** جمادى الآخر عام **184 هـ**.

لما وصله عهد الرّشيد قال له فيه: «قد تقدّم لكم بإفريقية أمرٌ» وكان الرّشيد قد ولّاه الزّاب من قبل ، وبحلول سنة **185هـ** ابتنى إبراهيم مدينة القصر القديم ، وصار بعد ذلك دار الأمراء لبني الأغلب، فكان على ثلاثة أميال من القيروان، ثمّ نقل إليه السّلاح والعُدد سِرّاً وسكّن حوله عبيده وأهل الثّقة به من خَدَمَتِهِ، وفي العام **186هـ/802م** انطلقت أوّل ثورة أو تمرُّدٍ منفصل من الجند في تاريخ الأغالبة قاده حريش بن عبد الرّحمن بن حريش الكندي، وقد أسمته المصادر (حمد يس)[2]، فسيّر له إبراهيم بن الأغلب قائده عمران بن مجالد

[1]–محمود إسماعيل، المرجع السّابق، ص26.

[2]–الرّقيق القيرواني ، المصدر السّابق، ص189، أنظر أيضا النّويري، المصدر السّابق، ج24، ص102.

الّذي هزمه في سبخة تونس[1] ثمّ تلتها أخطر ثورة تزعّمها قائد ووزير بن الأغلب عمران بن مجالد، فقد مثّلت هذه الثّورة أوّل إنذار جدّي هدّد النّظام الأغلبي في العام **194هـ/810م**[2] .

وهنا يرد الدّليل على ثقة إبراهيم بن الأغلب بأهل طبنة والزّاب عندما هزم عمران بن مجالد الّذي طلب الأمان فآمنه إبراهيم بن الأغلب وتركه يخرج إلى الزّاب، ولم يلاحقه، واستأمن من زيادة الله لكنّه قتله.[3]

تُجمع المصادر على سياسة القوّة والعنف الّتي اتّبعها الأمير الأغلبي زيادة الله الأوّل (**201–223هـ/817–838م**) فاستبدّ بالنّاس وعنّفهم واستخفّ بالجند مخافة توثّبهم عليه، كما حدث مع الأمراء قبله[4]، فانطلق ثورة منصور الطنبذي[5] من مدينة تونس وامتدّت هذه الثّورة إلى إقليم الزّاب وحاضرة طبنة، ونتج عنها اقتطاع معظم البلاد الأغلبية، وخرجت عن نفوذ زيادة الله مع انهزام الجيش الأغلبي أمام عسكر الطّنبذي، ولم يبق سوى قابس والسّاحل ونفزاوة وطرابلس[6]، ثمّ تواصلت أحداث هذه الثّورة حتى سنة **213هـ/848م**، والّذي نلحظه هنا هو خروج إقليم الزّاب وحاضرته طبنة عن طاعة الأمير الأغلبي، ولم تعد ذلك الدّرع الواقي لإفريقية من فتن وعصيان رؤساء الجند[7]

وبعد هذا الاضطراب الّذي عرفه إقليم الزّاب آل حكم إفريقية بعد وفاة زيادة الله الأوّل إلى أبي عقال الأغلب (**223–226هـ/838–841م**) أحد أبناء إبراهيم الأوّل الثّلاثة، عرفت بدايات حكمه عودة الاستقرار بفضل سياسته المرنة وإحسانه للجند، وإجزالهم العطاء، حتّى جاءت ولاية خلفه أبو العبّاس محمّد بن الأغلب الّذي عمد إلى تولّيه سالم بن غلبون على الزّاب،[8] هذا الأخير الّذي استغلّ عام **231هـ/845م**

---

[1] – الرّقيق القيرواني، المصدر السّابق، ص189، النّويري، المصدر السّابق،ج24، ص103.

[2] – محمّد الطّالبي ، المرجع السابق ، ص163.

[3] – ابن الأثير، المصدر السّابق، ج06 ،ص235–236.

[4] – النّويري ، المصدر السّابق، ج24، ص107.

[5] – **طنبذة** ، قرية بإفريقية على عشرة أميال من تونس تسمى المحمدية ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص387.

[6] – ابن الأثير، المصدر السّابق ج05، ص186، أنظر أيضا: ابن عذاري ، المصدر السّابق، ج01، ص101.

[7] – قراوي عبد النّور، طبنة ودورها الحضاري من الفتح حتّى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط، إشراف مزهودي مسعود، جامعة الجزائر بن يوسف خدّة ،1430هـ/2009، ص132.

[8] – النّويري، المصدر السّابق، ج24، ص117.

فخرج بجيش إلى القيروان عام **233هـ/847م**، وهذا لخنقه على محمّد بن الأغلب الّذي عزله على ولاية الزّاب وعهد إلى أحمد بن سفيان بن سوادة، لكن كُلّلت هذه المعركة بالإخفاق والفشل.[1]

ثمّ تنعدم أخبار الزّاب من المصادر والكتب التّاريخية وربّما يرجع مَرَدُّ ذلك إلى استقرار هذا الإقليم أو نتيجة لبعده وعدم تأثّره بمجريات الأحداث في الشّرق، حتّى يرد ذكر قلاقل واضطرابات عرفها الإقليم مع ولاية أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن محمّد بن الأغلب أبو الغرانيق (**250-261هـ/864-875م**) دون ذكر أسبابها، ويُورِد النّويري في هذا الصّدد نصّاً قال فيه: «وكان في أيّامه حروباً منها اضطراب ثغر الزّاب عليه» [2] واكتفى ابن عذارى بتقديم بيان مقتضب عن ذلك، فقال عن أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن محمّد بن الأغلب أبي الغرانيق: «كانت ولايته حروباً»[3]، وابن خلدون بقوله كذلك: «وكانت في أيّامه حروب وفتن».[4]

وأورد النّويري خبراً عن الحملة الأغلبية المتّجهة إلى بلاد الزّاب عقب خروج القائد الأغلبي خفاجة محمّد بن إسماعيل الّذي حاول إخضاع مدن الزّاب وأخضع قبائل الأوراس المتمرّدة[5] مستنداً في ذلك على طبنة كقاعدة عسكرية، فلدى وصوله إلى بسكرة سار على طبنة وانضمّت إليه فرسان بلزمة، فخافت البربر إثر نزول القائد الأغلبي على أربة فقدموا إليه طائعين، وقدّموا إليه ما عليهم من الخراج والعشر والصّفقات، بعد ذلك مضى إلى أرض هوارة لإخضاعهم بالسّيف، لكنّ المعركة انتهت بانهزام الجيش وقتل قائده، فوصلت الهزيمة إلى مدينة طبنة. [6]

---

[1]- ابن عذاري ،المصدر السّابق، ج01، ص108-109.

[2]- النويري، المصدر السّابق، ج24، ص126.

[3]- ابن عذاري،المصدر السّابق، ج01، ص114.

[4]- ابن خلدون، المصدر السّابق،ج 04، ص430.

[5]- النّويري، المصدر السّابق، ج24، ص126.

[6]- نفس المصدر ، ص126.

ثمّ يعود ابن عذارى المرّاكشي إلى ذكر الزاب، ففي سنة **268هـ** فتك إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن الأغلب (**261-289هـ/874-901م**) [1]بأهل الزّاب فقتلهم وقتل أطفالهم وحملوا إلى حفر على العجل فألقوا فيها. [2]

أمّا ابن الأثير فقال: «وفي سنة 268هـ أوقع إبراهيم بن أحمد بن الأغلب بأهل بلد الزّاب، وكان قد حضر وجوههم عنده فأحسن إليهم ووصلهم وكساهم وجمّلهم، ثمّ قتل أكثرهم حتّى الأطفال».[3]

وصفوة القول أنّ ثورة بلاد الزّاب سنة 268هـ/881م رغم جهلنا بأسبابها الّتي لم يتطرّق لها أيّ مصدر فقد كانت على الأرجح ذات صبغة جبائية، مثل: سائر الثّورات الّتي اندلعت في إفريقية في تلك الفترة، وقد ارتبطت هذه الثّورات والقلاقل شديد الارتباط بظروف طبيعية، كتعدّد الكوارث الطّبيعية، مثل: الجفاف والقحط اللّذان أصابا البلاد عام 266هـ/880م[4]، ولما كان عام ثمان وستّين ومائتين اشتدّ القحط وغلت الأسعار حتّى بلغ قفيز القمح ثمانية دنانير.[5]

ولما كان مورد الدّولة يعتمد بالأساس على أرباح الأراضي الزّراعية، فقد تأثّرت بقلة الإنتاج، وبذلك عمد إبراهيم الثّاني إلى مضاعفة الجباية والحزم في فرض الضّرائب وجمعها، وكانت بداية الثّورة بالامتناع عن دفع الجباية وما عليهم إلى عاصمة البلاد، فقرّر الأمير معاقبتهم بهذه الحملة، كما أنّ هدف الحملة لم يكن بغرض جمع الأموال فقط بل كان يهدف إلى الإشعار بقوّة السّلطة، فكان للأمير الأغلبي ذلك، لكنّه لم يُوفّق في خيار الإيغال داخل المناطق الوعرة كجبل الأوراس، هذه المنطقة الّتي ظلّت بشكل شبه دائم مستقلّة عن الحكم المباشر لأيّ نظام قائم، أودى هذا بحياته ومن معه من الجند[6] .

---

[1]- ابن عذاري ،المصدر السّابق، ج01، ص117.

[2]- نفس المصدر ، ج01، ص119.

[3]- ابن الأثير، المصدر السّابق، ج07، ص370.

[4]- قراوي عبد النّور، المرجع السّابق، ص137.

[5]- النويري، المصدر السّابق، ج24، ص130.

[6]- مُحَمَّد الطّالبي ، المرجع السّابق، ص283-288.

ولم تمر فترة طويلة ، حتى قام إبراهيم بن أحمد أخو أبي الغرانيق عام 280هـ بمجزرة في حق جند بلزمة الذي كان أحد أهم الأسباب في سقوط أحد أهم الحصون الأغلبية بالإقليم[1]، و الذي سيكون أحد أنجح الأسباب في انتشار الدعوة الشيعية هناك ، و سبب الحادثة هو استجارة هارب من أهل باغاية ببني مالك من بلزمة كان إبراهيم بن أحمد قد سجنه ورفض عامل بلزمة تسليمه للأغالبة [2]، وهو ما أثار حفيظتهم فجهز حملة على مدينة بلزمة لكنه فشل في اقتحامها ، مما جعله يلجأ إلى المكر و الإيقاع بنحو ألف من خيرة جندها الذي دعاهم إلى مدينة رقادة " فأنزلهم ووسع عليهم ، و بنى لهم دارا كبيرة تشتمل على دور ترجع إلى باب واحد و أسكنهم فيها ، فلما سكنوا و اطمئنوا جمع ثقات رجاله لأخذ أرزاقهم ، ثم أمرهم بمصاحبة ابنه عبد الله لما أمره به ، فلما اجتمعوا إليه ، ركب إلى دار البلزميين في الجند ، فقتلهم عن آخرهم ، بعد أن دافعوا عن أنفسهم حتى العصر " [3].

و قد رثى الشاعر مُحَمَّد بن رمضان من نفطة أهل بلزمة عن هذه النكبة في قصيدة يهجو فيها الأغالبة ويتوعدهم بقرب قدوم المهدي للانتقام لهم :

جلّ المصاب لئن كان الذي ذكروا *** مما أتتنا به الأنباء والخبر
عن ألف أروع كالآساد قد قتلوا *** لساعة من سواد الليل إذا غدروا
لو كان من بيت الآساد أيقظَهُم *** حلّت به منهم الأحداث و الغِير
قل لابن أحمد إبراهيم مالكة *** عن الخبير بما يأتي و ما يذر
اعلم بأنّ شرار النّاس أطولهم *** يدا بمكروههم يوما إذا قدروا
لا سيما الضيف والجار الغريب ومن *** أعطوه ذمتهم من قبل ما خفرو
فما اعتذارك من عار ومنقصة *** أتيتها عامدا إن قام مُعْتِذرُ
جرّعت ضيفك كأسا أنت شاربها ***عمّا قليل وأمر الله ينتظر

[1]- الطاهر طويل ، المرجع السابق ، ص 138 .

[2]- القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع تونس، وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط02 ، 1986 ، ص 71.

[3]- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 122.

فدولة القائم المهدي قد أزِفتْ *** أيامها والذي أنبأ به الأثر
عن النّبيّ وفيها قطع مدّتكم *** يا آل أغلب أهل الغدر فاقتصروا
و قطع أمر بني العباس بعدكم *** وقطع آل بني مروان إذ بطروا [1]

ويرى ابن عذاري أن هذه المجزرة كانت من " أسباب انقطاع بني الأغلب ، إذ كان أهل بلزمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب و الجند الداخلين إلى افريقية عند افتتاحها و بعده ، و كان أكثرهم من قيس ، و كانوا يذلون كتامة، فلما قتلهم إبراهيم ، استطالت كتامة و وجدت السبيل للقيام مع الشيعي على بني الأغلب " [2].

فكانت سياسة الأغالبة في المبالغة في إضعاف الحامية العتيدة الموجودة في قلعة بلزمة على عهد إبراهيم الثاني إلى فتح ثغرة في الأسوار المحاصرة لكتامة قضت على بقاء الحكم في دولته .[3]

وينبغي القول أنّ إقليم الزّاب رغم كلّ هذه القلاقل والثّورات ظلّت سلطة الأغالبة سارية عليه، حتّى أحلك ظروف الدّولة شدّة.

[1]- القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 72-73.
[2]- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 122.
[3]- فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م التاريخ السياسي و المؤسسات ، تر: حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994، ص 36.

المبحث الثّالث: إقليم الزّاب في عصر الدولة الفاطمية

لما كانت سنة **280هـ**/893م بدأ الكيان الأغلبي يتخلخل ويسير نحو النّهاية، كما ارتبطت هذه السّنة بدخول الدّاعية الشّيعي أبو عبد الله[1] بلاد المغرب[2] فنزل أرض كتامة بقرية جبلية تعرف بـ "إيكجان" [3]، وعقب وصوله بدأ في استقطاب الأنصار وتمكّن من ضمّ عديد القبائل، وقد تقاتلت قبائل كتامة لاستضافته[4]، فكانت سنداً له في دعوته "واجتمعت إليه عجيسة و زواوة وجميع قبائل كتامة، ورجع إلى تازروت وبثّ دعاته في كلّ ناحية، فدخل النّاس في أمره طوعاً وكرهاً".[5]

وقد تمّ اختيار كتامة، لأنّها لم تنتحل المذاهب الخارجية "الإباضية و الصّفرية"، الّتي كانت منتشرة بين الزّناتيين[6]، كما اتّخذ عبد الله الشّيعي من مدينة نزورت– الواقعة جنوب شرق إيكجان– دار الهجرة، ومنها انتشرت الدّعوة في كامل بلاد كتامة وما جاورها من القبائل، ويذهب ابن خلدون إلى القول بأنّ الإسماعيليين قد احتاجوا إلى عصبية في حين كان الكتاميون يبحثون عن دعوة لإقامة ملكهم[7] ، فاتّسمت الفترة الأولى من من إقامته بالهدوء ممّا سمح له بالاهتمام بنشر دعوته[8] ، ومن أهمّ ما أفرزته هذه الدّعوة هو ظهور معارضة داخلية من قبل زعماء القبائل الّذين أحسوا بالقلق على مصير زعامتهم ونفوذهم[9] ، ومن هنا برز التّحرك ضدّ

---

[1] – **هو الحسين بن أحمد بن محمّد بن زكرياء**، كنّي بأبي عبد الله، وعُرف بألقاب منها: الشّيعي وهو أشهرها ثمّ الصّنعاني نسبة إلى صنعاء، والمحتسب والصّفي ولد في هرمز بنواحي خوزستان. أنظر: موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى غاية منتصف القرن الخامس هجري (11م) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص232، 233

[2] – كان بين قدوم الحلواني وأبي سفيان ولحاق أبي عبد الله ما يقارب135 سنة. أنظر: القاضي النّعمان، المصدر السّابق، ص58.

[3] – **إيكجان**، وهي جمع لكلمة أقجون وتعني الكلاب في اللّهجة البربرية ومعناها خربة الكلاب. جبل بين سطيف وقسنطينة، تقطنه قبائل كتامة، أنظر :الحميري، المصدر السّابق، ص71. أنظر أيضا: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص155.

[4] – القاضي النّعمان ، المصدر السابق ، ص73–93.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق ،ج4، ص29.

[6] – نفس المصدر ،ج07، ص14.

[7] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون،ج01،جمع وتحقيق :عبد الله محمّد الدرويش، دار يعرب ، ط01 ، دمشق، 2004، ص167.

[8] –موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص243.

[9] – القاضي النّعمان ، المصدر السّابق، ص94.

ضدّ دعوة أبي عبد الله جامعاً بين عمّال المدن وزعماء القبائل الكتامية[1] وأمام اختراقه لأقاليم البلاد الأغلبية، الأغلبية، ودخوله لمدينة ميلة سنة **289هـ**/902م تمّ توجيه حملته إلى بلاد كتامة بقيادة الأمير الأغلبي أبو عبد الله الأحول بن أبي العبّاس[2] يصحبه اثنا عشر ألف رجل، وذلك في شهر ذي القعدة من نفس العام، انطلاقاً انطلاقاً من تونس[3] ، وتتّفق المصادر الّتي تناولت أخبار الحملة على إيجابيتها[4] ، بينما يذهب ابن عذاري المرّاكشي إلى القول أنّ أبا عبد الله الأحول قصد مدينة طبنة أثناء حملته لمحاربة الدّاعي الشّيعي، وذلك عام 289هـ، فقال: "وفيها – سنة 289هـ- شخص أبو عبد الله الأحول بن أبي العبّاس إلى مدينة طبنة لمحاربة الدّاعي" [5] ، واستفاد في ذلك من قرب مدينة طبنة إلى بلاد كتامة، فكانت بمثابة محطّة عسكرية للتحصّن وتنظيم صفوف الجيش.

وينبغي القول أنّ عمّال الدّولة في منطقة الزّاب كانوا شبه مستقلّين عن الدّولة، بل كانوا في وضع الثّائرين فكانت تُسيّر إليهم الحملات التّأديبية، وبفعل سياسة القسوة مع أهل الزّاب وجد الدّاعي عامل نجاح له في نشر الدّعوة وبسط النّفوذ السّياسي في هذه البلاد، ومرّت المقاومة الأغلبية للدّعوة الشّيعية في كتامة بعدّة مراحل، ابتدأت في عصر أبي العبّاس عبد الله بجهود موفّقة ضدّ تازورت، وميلة، و إيكجان وانتهت في عصر زيادة الله الأخير بكارثة حلّت بالأسرة الأغلبية في مدينة الأريس، وبفراره من إفريقية إلى المشرق.[6]

كما أنّ أبا عبد الله الشّيعي عمل منذ تراجع السّيادة الأغلبية على إقليم الزّاب بالمغرب الأوسط إلى تشكيل حركة سريعة الانتشار، بهذا الإقليم وبدأ في الجهر بدعوته في القوت نفسه الّذي كان يبسط نفوذه على المدن الرّئيسية، الّتي كانت إلى وقت قريب تشكّل حدّاً فاصلاً ومانعاً للنّفوذ الأغلبي على حدوده الغربية[7]

---

[1]- موسى لقبال ، المرجع السّابق، ص247.

[2]- سُمّي بالأحول لأنّه يكسر عينه، ينسب إلى إبراهيم بن أحمد على أنّه ابنه مع أنّه حفيده، وهو أخو زيادة الله الأخير، أنظر موسى لقبال، المرجع السّابق ص259، (هامش).

[3]- القاضي النّعمان، المصدر السّابق، ص78.

[4]- نفس المصدر ، ص137، أنظر ابن خلدون، العبر، المصدر السّابق، ج04، ص438-439.

[5]- ابن عذاري، المصدر السّابق، ج01 ، ص133.

[6]- موسى لقبال، المرجع السّابق، ص262-263.

[7]- الطّاهر طويل، المرجع السّابق، ص228.

فتمكّن الدّاعي من احتواء القبائل المناهضة، الواحدة تلوى الأخرى، لتزيد بها قوّته ويتّسع مجاله[1] ودانت له ملوسة، ولهيصة، وأجانة ومسالتة، وعجيسة، وزواوة، أي السّيطرة على كامل بلاد كتامة.[2]

وبخروج إبراهيم بن أحمد (**261-289هـ/874-901م**) إلى صقلية أوصى ابنه سرّاً بعدم محاربته، لكن بدخول أبي عبد الله لمدينة ميلة، قام بتوجيه عساكره في حملتين عام **289هـ**/901م، فانهزم فيها وتمكّن الدّاعي من دخول سطيف، وطبنة، وبلزمة،[3] وقد استفاد الدّاعي من هذه الأوضاع الجديدة الّتي كانت تشير في صالحه والّتي أفضت في النّهاية إلى تسلّم زيادة الله بن إبراهيم الأغلب للإمارة سنة **290هـ**/902م[4] ، ثمّ واصل الدّاعي تقدّمه في المجال الأغلبي واستولى على سطيف سنة **291هـ**/904م في أيّام زيادة الله الثّالث الّذي عمد إلى تجهيز جيش عظيم لمواجهة خطر الدّاعي واتّخذ من مدينة طبنة مركزاً لانطلاق الجيوش، وهنا تبرز الأهمّية العسكرية للمدينة ودورها الرّيادي في الحفاظ على أمجاد الأغالبة، الأمر الّذي شجّع أبا عبد الله على التّوجه نحوها، فضلاً عن انتصاراته المتوالية على قادة زيادة الله الثّالث، ولم يكن دخولها بالأمر الهيّن، فقد صمدت المدينة بوجه الدّاعي، ما يزيد عن العام، وقد كان قبل ذلك طوّقها بعسكر بعد عسكر، واستعملت الدبابة كسلاح لأول مرة في تاريخ المغرب الإسلامي لاختراق حصن مدينة طبنة وكان العامل عليها أبو المقارع [5] ، وعلى الرّغم من دخول المحاصرين للمدينة، تواصلت مقاومة الحامية الأغلبية لكنها انتهت هذه المقاومة بالاستسلام وطلب الأمان [6] أحسن أبو عبد الله معاملة أهل المدينة بفضل سياسته الذّكية حيث نجح في كسب ثقة أهل الزّاب واستمال بها سائر أهالي إفريقية "وانتشر فعله في جميع نواحي إفريقية فتاقت أنفسهم إليه وكاتبوه ودخلوا في طاعته".[7]

---

[1]- القاضي النّعمان، المصدر السّابق، 98.

[2]- نفس المصدر ، ص- ص 99-100.

[3]- ابن عذاري ، المصدر السّابق، ج01، ص122-142.

[4]-القاضي النّعمان، المصدر السّابق، ص74-77.

[5]-نفس المصدر ، ص172، 175.

[6]- ابن الأثير، المصدر السّابق، ص159.

[7]- ابن عذاري ، المصدر السّابق، ج01، ص142.

ومن طبنة زحفت جيوش الدّاعي لفتح كامل بلاد الزّاب انطلاقاً من قلعة بلزمة، ثمّ قلعة دار ملول الّتي تتموضع على بعد مرحلة واحدة من طبنة ناحية الشّرق، ممّا حمل زيادة الله على الخروج بجيشه إلى الأربس عام **295هـ**/907م، لكنّه تراجع عن قيادة الجيش متّجها نحو رقادة، وأوكل قيادته لإبراهيم بن أبي الأغلب[1] لكنّ نفوذ الدّاعي تعاظم وبلغت أخباره أهل إفريقية، فخرجت باغاية لاستقباله في شعبان عام **294هـ**/907م، وبخروج باغاية عن النّفوذ الأغلبي، ذهب عِزّهم من الزّاب بصفة نهائية، وانتهى الأمر بفرار زيادة الله إلى بلاد المشرق، كما سبق الذّكر. [2]

ومن الزّاب استولى الدّاعي على مجانة وما جاورها من المدن الّتي تقع على طريقه من باغاية إلى القيروان ومنها إلى بلاد الجريدّ ناحية قسطيلة وقفصة في عام **296هـ/909م** [3] في هذا الوقت أخذ عبيد الله المهدي (**297–322هـ/909–933م**) يتّجه ناحية المغرب فارا من الأغالبة حتّى استقرّ به المقام في سجلماسة وسجن بها [4]، و الملفت للنظر أن العداء و التنافس بين زناتة و كتامة الذي ظهر منذ القديم لم يظهر أثناء بداية انتشار المذهب الشيعي بالمغرب الإسلامي ، وربما أن هذه الحركة الجديدة لم تلفت أنظار زناتة خاصة إذا علمنا أن بطونها كانت تدين بمذاهب مختلفة ، أو ربما توقع الزناتيون فشل هذه الدعوة لنظرتهم القائمة على ضعف الطرف الآخر أي كتامة [5] . (أنظر الملحق رقم 06)

- **ثورات ساكنة إقليم الزاب ضد السلطة الفاطمية :**

1–ثورة مُحَمَّد ابن خزر الزناتي :

[1] – الدّاعي إدريس(عماد الدين القرشي ت 872 هـ) ، الدّولة الفاطمية بالمغرب "المهدي، القائم، المنصور ثورة أبي يزيد" من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار، ج05، أعدّه للنّشر فرحات الدشراوي، طبعة تونس ، 1979، ص123.

[2] –القاضي النّعمان، المصدر السّابق، ص 222–232. أنظر أيضا : ابن عذاري، ج 01، ص122 وما يليها، أنظر أيضا :موسى لقبال، المرجع السّابق، ص262، 263.

[3] – ابن عذاري، المصدر السّابق، ج01، ص150.

[4] – القاضي النّعمان، المصدر السّابق، ص153، أنظر أيضاً : ابن عذاري، المصدر السّابق، ج01، ص129.

[5] – صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 61.

أول صدام بين الزناتيين و الفاطميين كانت بقتل وفد كتامة المكون من أربعة عشر شخصية العائدة من سجلماسة في مهمة تحرير عبيد الله المهدي الإمام ، وحمل الوفد كتابا مهما من المهدي لم يقع بين أيدي الزناتيين لحسن الحظ، وفرح الداعي بمحتوى الكتاب وعدم وقوعه بين أيديهم[1]، فحاول زعيم زناتة مُحَمَّد بن خزر مراوغة الفاطميين و طلب الصفح و الأمان فكان له ذلك ، و طيلة هاته الفترة اتسمت العلاقة بين الطرفين بالهدنة تارة و بالحرب تارة أخرى [2] ، فعمدت السلطة الفاطمية على تفريق وتشتيت قبيلة زناتة و نقل عائلات بأكملها إلى العاصمة رقادة لفض اجتماع أبناء الفرع الواحد [3].

وقد أقدم عبيد الله على قتل القائم بأمر دعوته و من كان معه من زعماء كتامة ، ما خلّف أثراً سلبياً في نفوس أهل المنطقة و جلب عليه سخط الكتاميين ، الّذين عبّروا عنه بعديد الثّورات كانت أخطرها بأرض كتامة وبلاد الزّاب وتمكّن ابنه القاسم من إخمادها ، باتّباعه سياسة اللّين و استمالة القادة المنفصلين و استعاد الزّاب سنة 300هـ/912م [4].

استمرت أعمال محمّد بن خزر المضادّة طوال عشرين عاماً على طول الامتداد الجغرافي لبلاد المغرب ، و أهم أعماله بإقليم الزّاب تمثّل في هجومه على مدينة طبنة سنة **297هـ/909م**، ثمّ استحوذ على الزّاب كله سنة **314هـ/926م** [5] ، وكان لهذا الحدث وقعة في نفوس المهدي خاصة إذا علمنا أن إقليم الزاب ذات أهمية اقتصادية كونه معبرا للتجارة باتجاه بلاد السودان فضلا عن أهميته العسكرية و الثأر لقتلى قبيلة كتامة ، ما جعل المهدي يسير الجيش تلوى الآخر ما لبث أن انتصر ابن خزر و حلفائه من قبيلة لماية عليهم ، و لم يتم

[1] – موسى لقبال ، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة و الفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطمي ،المرجع السابق ،ص 44 ، أنظر أيضا : مُحَمَّد بن عميرة ، بنو خزر و دورهم السياسي و العسكري في المغرب العربي ، منشورات و زارة الثقافة و السياحة ، الجزائر ، 1984 ، ص 18 .

[2] – صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 62.

[3] – الداعي إدريس ، المصدر السابق ،ج05 ، ص 26.

[4] – صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 64 .

[5] – الدّاعي إدريس، المصدر السّابق، ج05، ص71.

استرجاع إقليم الزاب إلا عام **315هـ/927م** بقيادة القائم ابن عبيد الله الذي استمر في حملته حتى بلغ ما وراء تيهرت و بقي هنالك رابضا مدة شهرين وفر مُحَمَّد بن خزر إلى الصحراء [1] .

وفي طريق العودة إلى المهدية رأى القائم أن قبيلة زناتة ستعود للثورة وتهاجم الأراضي التابعة للدولة الفاطمية بمجرد هدوء الأوضاع ، فكان لزاما بناء مدينة متقدمة بإقليم الزاب تكون حاجزا أمام هجمات زناتة وقاعدة للهجوم حول القبائل المقابلة لمدينة تيهرت، فتم بناء مدينة المحمدية (المسيلة) عام (**315هـ/927م**) لتصبح عاصمة إقليم الزاب بدل مدينة طبنة [2]، و بنيت المسيلة حول مضارب قبيلة بني برزال الزناتية لتسهل مراقبتهم ، إضافة إلى أهمية موقع المدينة الذي يقع على حد إفريقية ويبعد عن تيهرت بمسيرة ثمانية أيام[3]، وتكون حامية للقبائل التي اتخذت التشيع مذهبا لها مثل قبيلة عجيسة [4]، واختار القائم أحد الرجال المخلصين للدولة لبناء المدينة و هو علي بن حمدون الأندلسي ثم ولاه عليها و أمره بأن يكثر من الطعام و يخزنه حتى تكون معدة لظروف الحصار[5] .

لكن بناء مدينة المسيلة لم يثني مُحَمَّد بن خزر في مواصلة ثورته ، حيث استطاع الاستيلاء على كل إقليم الزاب عام 317هـ/929م[6] ، إلا أن الصراع في الجانب الشرقي من إمارته بين حلفائه الأدارسة ضد قبيلة مكناسة جعلاه يتراجع ونجح في كسب الصراع ، ثم تأييد قبيلة مكناسة وحاكم قرطبة الأموي لمحمد بن خزر ضد الفاطميين [7]، فخرج المغرب الأقصى من أيدي الفاطميين الذين سيّروا جيشا قوامه عشرين ألف مقاتل

---

[1]- سنوسي يوسف إبراهيم ، زناتة و الخلافة الفاطمية ، مكتبة سعيد رأفت ، ط01 ، جامعة عين شمس ، مصر ، 1986 ، ص 182 .

[2]- ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تحقيق : د-عبد الحليم عويس ،د- التهامي نقرة ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، مصر ، دت ، ص 46 .

[3]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 284.

[4]- الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 168.

[5]- موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص59 .

[6]- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 194 ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 25 .

[7]- نفس المصدر ، ج 01 ، ص 204.

بقيادة عامل تيهرت حميد بن يصل المكناسي الذي استطاع أن يعيد مدينة فاس عام 321 هـ / 933 م إلى حدود الدولة الفاطمية [1].

2- ثورة المارطي :

انطلقت هذه الثورة بعد مقتل الداعي أبو عبد الله الشيعي وكبار زعماء قبيلة كتامة على يد الخليفة عبيد الله المهدي ، واتخذ المهدي ذريعة التآمر لتنفيذ ما أراده خاصة بعدما رأى أن أبو عبد الله يشكل خطرا حقيقيا على ملكه بسبب المكانة المحترمة التي يحضا بها لدى عامة الناس وتم ذلك عام 298 هـ / 910 م [2].

فجلبت هذه الخطوة سخط أهل كتامة وعبروا عن ذلك بثورات متعددة أقواها التي قامت بأرض كتامة و الزاب [3] وأصبغوا حركتهم السياسية بالصبغة الدينية الشرعية[4] ، فقدم أهل كتامة على أنفسهم شخصا يعرف بالمارطي أو الماوطني كادوا بن معارك وهو فتى صغير أقاموه و ادعوا أنه المهدي المنتظر [5]، وتطاول هؤلاء الجنود على القيروانيين لوعد سابق من المهدي في إطلاق أيديهم على الأموال فنشبت معركة بين الجانبين عام 299هـ/911م خرج الجنود إلى رقادة وتبعهم عامة بلد كتامة [6] ، وانتشرت ثورتهم في كامل إقليم الزاب و سيطروا على مدينة ميلة ، فأدرك عبيد الله خطورة الوضع فأرسل ابنه القائم لإخمادها واستطاع ذلك بإتباعه لسياسة اللين وسيطر على الموقف و استعاد الزاب عام 300 هـ / 912م [7].

3- ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (ثورة صاحب الحمار) :

بعد تأسيس الدولة الفاطمية ودخول المهدي إلى رقادة ، أعلن عن مذهبه الشيعي وقام بتصفية داعيته

---

[1]- سنوسي يوسف إبراهيم، المرجع السابق ، ص 185.

[2]- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 439 .

[3]- نفس المرجع ، ص 440.

[4]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 64.

[5]- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ،ج01 ، ص 164-165.

[6]- نفس المصدر، ج 01 ، ص 166.

[7]- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 446 ، صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 64.

وزعماء مؤسسي الدولة وشتت قوتهم بتفريق الجيش بعيدا عن رقادة [1]، و الظاهر أن ردة الفعل على ما قام به جاءت أقوى مما توقع ، فاندلعت نار الفتنة و الصراع المذهبي مع أهل السنة لا سيما المالكية منهم ، و أحدث شرخا في جسم الدولة بفتح باب الشك وعد الثقة في نسب هذه الأسرة و دعوتها متجسدة في الثورات المتعددة ضدها [2] .

كانت أخطر هاته الثورات ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الملقب بصاحب الحمار [3] ،حيث تعتبر هذه الثورة أفضل تعبير عن السخط الذي كان يجيش في صدور أهل إفريقية والمغرب الأوسط من جراء السياسات الفاطمية الرامية لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي على السكان، والسعي للقضاء على المذهب السني خاصة مذهب الإمام مالك من جهة، وعلى السياسة المالية الصارمة التي كانت الدولة تنتهجها، والمتمثلة أساسا في الضرائب الفادحة التي كانت تفرضها على التجار والزراع ، وقد تكون هي الدافع للانخراط في الثورة ومشايعة الثائر أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني [4] .

اعتنق أبو يزيد المذهب النكاري بتوزر ، ثم ارتحل إلى تيهرت و أقام بها معلما للصبيان ، حتى إذا انتقل الشيعي إلى سجلماسة في طلب المهدي ، غادرها إلى تيقيوس يختلف بينها وبين مدينة توزر، وحمل على نفسه مهمة تغيير المنكر، و الإنكار على الولاة ، فحدثته نفسه بالخروج على السلطان، فعدّ من دعاة الفتنة ،"فنذر الولاة بقسطيلية دمه"[5] .

---

[1]- القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 249.

[2]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 66.

[3]- هو أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد من قبيلة بني يفرن الزناتية ، اشتغل أبوه بالتجارة بين بلاد السودان و إفريقية ، تزوج والده من جارية هوارية و أنجب أبا يزيد بالسودان ثم أتى به إلى توزر حيث نشأ و تعلم بها القرآن ، خالط أبو يزيد جماعة من النكارية فمال إلى مذهبهم ، ثم رحل إلى تيهرت واشتغل بتعليم الصبيان العلوم الدينية ثم اتجه بدعوته إلى تغيير المنكر و تكفير الفاطميين والثورة عليهم ، لقب بصاحب الحمار لركوبه حمارا أشهبا أهدي له بمرماجنة . أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 52 ، ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 216 ، مُحَمَّد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المرجع السابق ، ص 199 .

[4]- موسى رحماني ، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27- 362 هـ/ 637-972 م) ، دراسة اجتماعية ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2006-2007 ، ص 89.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 18 .

ففر إلى المشرق يريد الحج، فوجه المهدي في طلبه فرجع من طرابلس مع صاحبه أبي عمار إلى تيقيوس، فورد كتاب المهدي في طلبه مرة أخرى، مما جعله كثير التنقل والحركة، ناشرا لفكره، مبشرا بدعوته، مستترا من العيون. لكنه اعتقل من طرف والي البلد، وزج به في السجن ، فثار أنصاره لاستنقاذه ومعهم أبو عمار الأعور رأس النكارية- وهو الذي أخذ عنه أبو يزيد مبادئ المذهب النكاري- معه أهل النجدة من رجال زناتة ، وسعوا في إطلاق سراحه ، فلما تعلل الوالي في إخراجه أجمعوا على قتل حراس السجن و أخرجوه، فلحق ببلد بني وارکلا ومنها كان يختلف إلى جبل أوراس يدعو القبائل البربرية للثورة على العبيديين[1] ، صارت له جماعة تقول بأمره، ثم تجرأ على الفعل فصار يغير ويحرق ويفسد فزاد أتباعه وكثر أنصاره وعظم خطره ، وكان مذهبه تكفير أهل الملة، وسب علي، واستباحة الأموال والدماء، والخروج على السلطان [2].

بدأت الثورة في توزر على عهد الخليفة الفاطمي القائم سنة 325هـ/936-937م عندما أرادت السلطة اعتقاله للاشتباه في إعداده للثورة، والقيام ضد الدولة، فكانت المحاولة التي تولاها أهل قسطيلية قد شجّعت الثائر على الإسراع بالثورة قبل أن تسدّ عليه جميع المنافذ [3]، فلما عاد من المشرق اختار جبل أوراس دارا للهجرة، ومنطلقا للثورة، وقد تمثلت شروط البيعة التي عُقِدَت لأبي يزيد في:

- السعي لقلب النظام الشيعي الفاطمي الفاسد الجائر على المسلمين بحسب نظره. وذلك باعتماد العنف المسلح لإسقاط الدولة.
- إقامة دولة المساواة النكارية المثالية يتساوى فيها جميع المسلمين، قائمة على الشورى والمساواة، و التي كانت منشد الخوارج و مبتغاهم منذ ظهورهم على الساحة الإسلامية[4].
- استباحة الغنائم والسبي بحكم أن أعدائه الشيعة كفار لذلك تباح أموالهم وتسبى نساؤهم .

كان ذلك عام 331هـ/ 942-943م عندما شرع الثائر في شن الغارات على المدن والحصون يخربها ويوقع بأهلها كان ذلك في خلافة القائم بالله[1] ، فكان على الثائر أن يلجأ إلى بني وارجلا حيث يقيم، ثم

---

[1]- نفس المصدر ، ج 07 ، ص 18-19.

[2]- المقريزي ، المصدر السابق ، ج01، ص75.

[3]- مُحَمَّد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص200.

[4]- موسى لقبال ، الحلف بين أهل السنة و النكارية في القرن 04هـ/10م و أثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب و الحضنة و الأوراس ، مجلة الأصالة ، العدد 60-61 ، 1978 ، ص 61 .

يدعو قبائل المنطقة إلى الثورة في جبل أوراس ومواطن بني برزال بجنوب المسيلة ، وبني زنداك المغراويين ، وقد تطلب منه هذا الإعداد سنة كاملة تمكن خلالها من الاستقرار بجبل أوراس في منطقة النوالات النكارية[2] ،مع اثنا عشرة داعيا يمثلون القبائل المتحالفة معه، يصاحبه أبو عمار الأعمى، فاجتمع إليه أهل قرابته وسائر الخوارج، ثم أُخذت له البيعة على قتال الشيعة، واستباحة سبيهم وغنائمهم، حتى إذا تمكن الثوار من الظفر بالمهدية والقيروان يكون الأمر شوريا .

استمرت أعمال أبو يزيد التوسعية طيلة هذه الفترة بشكل متتالي على حساب الفاطميين ، وانضم إليه الكثير من الناقمين عليهم خاصة المالكية بالقيروان ، داعمين مسعاه حتى سقطت في يده كل إفريقية ماعدا المهدية[3] ، ووصلت القوة بأبي يزيد أن حاصر مدينة المهدية عاصمة الفاطميين عام 333هـ/944م ، فكتب القائم إلى علي بن حمدون أن يجند قبائل البربر ويوافيه ، فسار ابن حمدون بالجيش لفك الحصار عن المهدية والتحمت قواته بقوات أبي يزيد ملحقة الهزيمة بهوارة ، ومسيطرة على مدينة تيجس و باغاية ، والتقى الجيشان مرة أخرى ناحية باجة وكان جيش أبي يزيد بقيادة ابنه أيوب الذي استطاع القضاء على علي بن حمدون سنة 334هـ/945م ، وولي ابنه جعفر بعد ذلك أعمال المسيلة و الزاب[4] .

كانت هذه الحادثة نقطة التحول في مسار ثورة أبي يزيد ، حيث أمر جنوده بالتكشف عن كبراء المالكية من فقهاء و صلحاء ليتخلص منهم و يصفو له الحال ، " فاشتد بغضهم له " [5] ، و أمام طول الحصار الذي بدأه أبو يزيد ، تفرق الجند عليه مما اضطره ذلك للانسحاب صوب القيروان عام 334هـ/945 م ، وهي نفس السنة التي تولى فيها المنصور زمام الدولة الفاطمية وشنه حربا مضادة ضد أبي يزيد وكسب ولاء العديد من القبائل مثل صنهاجة إضافة إلى محاولة بعض الطموحين لاستغلال الوضع وكسب امتيازات خاصة مثل الحركة الثورية التي ظهرت في نفس العام من طرف شخص ادعى النسب العباسي و توشح بالسواد ، لكن

---

[1]- موسى رحماني ، المرجع السابق ، ص 92 .

[2]- ربما تعرف هذ المنطقة اليوم باسم (بوحمار) نسبة إلى نزول صاحب الحمار بها ، أنظر : موسى رحماني ، المرجع السابق ، ص 93.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 19.

[4]- نفس المصدر، ج 04 ، ص 107-108.

[5]- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 218 .

تمكن أبو يزيد من القضاء عليه وعلى المؤامرة التي حيكت له من طرف أتباعه الذين ملوا ظروف الحرب معه [1].

تمكن المنصور بعد توليته زمام الدولة بعد وفاة أبيه من استعادة كل الأراضي ببلاد المغرب حتى وصل إلى باغاية ، هذا بمساندة سكان المدن الذين نقموا على حركة أبا يزيد بعد هزيمته بالمهدية و القيروان و منعوه من دخول مدنهم [2]، و إزاء الوضع الجديد حاول أبو يزيد استدراج المنصور الفاطمي بعيدا عن عاصمة ملكه أو عن مناطق نفوذه ، خاصة بعد انضمام العديد من القبائل إلى جيشه [3] ، في حين كانت مدن الزاب تعج بحركة لصالح المنصور الذي عرف كيف يدير الكفة لصالحه ، حيث تذكر المصادر أنه كان يلقى الترحيب أينما حل ، وساعده أهلها برفضهم استقبال ابن مخلد بينما استُقبل هو و عرضت عليه مساعدتهم ، فكان يقيم أياما بكل مدينة من مدن الزاب لضمان عدم عودة أبي يزيد إليها خاصة مدن : بلزمة ، نقاوس و طبنة [4] ، أما مدينة بسكرة فدخلها لمنصور بالسيف وقتل قوما منها [5] ، بينما احتمى أبو يزيد بجل سالات بالمسيلة عاد المنصور إلى مدينة طبنة وفي طريقه إليها قتل قبيلا من البربر يعرفون بسدراتة كانوا معاضدين لأبي يزيد ،و أقام بمدينة طبنة ليومين [6]، ومنها انتقل إلى مدينة مقرة حيث وقع لقاء حاسم عام 335هـ/947 م ، انهزم فيه أبو يزيد وفرّ إلى جبل سالات قرب المسيلة مع تفرق رجاله عنه [7] .

---

[1]- موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص432.

[2]- الداعي إدريس ، المصدر السابق ، ج05 ، ص 203.

[3]- ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص 38 .

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 19 ، صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 70.

[5]- ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص 38.

[6]- المقريزي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 84 . و أورد الشاعر أحمد بن مُحَمَّد المروزي بيتين شعريين عن انتصار المنصور على أبو يزيد بطبنة :

سرنا وقد حل بقرب طبنة *** وصار منه أهلها في محنة.

فأعظم اللّه العزيز المنة *** وبدّلوا من بعد نار جنة .

أنظر : موسى لقبال ، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 101.

[7]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 22 .

وفي آخر مراحل إخماد هذه الثورة ، انضم كثير من مغراوة الزناتيين إلى جيش المنصور ، كما دخل في طاعته الأمير المغراوي مُحَمَّد بن خزر ، وزيري بن مناد الصنهاجي ، وسانده جعفر بن حمدون أمير الزاب [1] ، وصار أبو يزيد محاصرا بجبل كيانة لمنع وصول الإمدادات إليه، حيث أمر المنصور زناتة بالإغارة على سدراتة ، ففعلوا ذلك وقتلوا كل من كان يدعم الثائر ويحمل له الطعام ، فخرج إلى سهول المنطقة لتحصيل المؤن و السلاح ونزل بمدينة أدنة ، ووقعت المعركة الأولى بين الجيشين على بعد اثني عشر ميلا عن مدينة المسيلة مني خلالها أبو يزيد بهزيمة نكراء وأوشك أن يقع بقبضة المنصور وفر معتصما بالجبال ، وسميت هذه المعركة " بمعركة الرؤوس" حيث قتل فيها من أتباع أبي يزيد ما يقارب عشرة آلاف رجل [2] .

فطارده زيري بن مناد وفشل في القبض عليه ، ثم جرت المعركة الثانية و النهائية حول جبل كيانة[3] ، حيث أُرغم أُرغم أبو يزيد بالتحصن بأحد القصور القديمة بالمنطقة وقد تخلت عنه قبائل هوارة بعدما استأمنوا من المنصور الذي أمر بإشعال النار حول الجبل كي لا يهرب أبو يزيد [4] .

واستمات أبو يزيد في المقاومة و أصيب بجروح خطيرة ، غير أنه تمكن من الفرار وقُتل عدد كبير من أصحابه ، وفي صبيحة اليوم الموالي عثر عليه في إحدى الوهاد فجيء به إلى المنصور الذي أمر بمعالجة جروحه [5]، إلا أنه أنه

توفي متأثرا بجروحه في محرم من عام 336هـ/947م [6]، فأمر المنصور بإدخاله في قفص عمل له و جعل عليه عليه قردين يلعبان عليه ، و أمر بسلخ جلده ، وحشاه تبنا و كتب إلى سائر البلاد بالبشارة [7] ، لكن الثورة لم

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ، ج 07 ، ص 22.

[2]- ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص 41 .

[3]- يسمى أيضا بتلقربوست ومعناها باللغة البربرية السرج ،و حوّل العرب هذه التسمية إلى جربيسة، و يسمى أيضا حاليا بجبل المعاديد(المعاضيد)، للمزيد انظر : إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1980،ص 119.

[4]- المقريزي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 85.

[5]- مُحَمَّد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 214 .

[6]- يذكر ابن خلدون أن نهاية أبي يزيد كانت نهاية عام 335هـ/947م .، أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 23.

[7]- ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص 45 ، المقريزي ، المصدر السابق، ج01 ، ص 85.

لم تنتهي حيث حاول الفضل ابن أبي يزيد أن يستأنف الحرب ضد الفاطميين و جمع من نجا من أصحاب أبيه بالتنسيق مع معبد بن خزر ، وقام بغارة على جيش المنصور ، لكن المنصور هزمه و طارده حتى المسيلة حيث اختفت عليه أخباره [1].

بعد هذا النصر ، عاد المنصور إلى مدينة المسيلة واستقبل عساكر كتامة وجاءته بنو كملان يطلبون العفو فأمّنهم[2] ، ثم ارتحل إلى تيهرت ليضبط أوضاعها بعد تنصل عاملها حميد بن يصل [3] ، ثم عاد المنصور إلى المسيلة وأقفل راجعا إلى عاصمته المنصورية بعد ضبط الأوضاع بإقليم الزاب، وعقد ولاية الزاب لجعفر بن حمدون مكافأة له على خدماته الجليلة للدولة الفاطمية ، و عقد لزيري بن مناد على رأس قومه وسائر بلادهم وليعلى بن مُحَمَّد اليفرني على تيهرت [4] .

توفي المنصور عام 341هـ/951 م فاعتلى ابنه المعز لدين الله سُدّة الحكم الذي كان على علاقة وطيدة مع جعفر بن علي خاصة أنه أخوه من الرضاعة وتربيا مع بعض ، سرعان ما ساءت العلاقة بين الخليفة المعز و جعفر بن حمدون بسبب عدم دفع جعفر لمبلغ معين لبيت المال ، فمن الواضح أن زيري بن مناد و ابنه بلكين استغلا الوضع المتوتر بين الخليفة المعز و جعفر ابن حمدون وحاولا تأليب الخليفة عليه لاتهامه بالميل إلى زناتة و أمويي الأندلس [5] ، لكن الخليفة المعز حاول تهدئة الأوضاع و استدعى الطرفين للقاء من أجل أن يصلح بينهما لكن انتهى اللقاء دون نتيجة ، فلما عزم المعز على الرحيل إلى مصر فكر فيمن سيخلفه على بلاد المغرب [6] فوقع اختياره على جعفر بن حمدون ، " فاستدعاه وأسّر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب

---

[1] – مُحَمَّد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 214 .

[2] – المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 85 .

[3] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 23 .

[4] – ابن حماد ، المصدر السابق ، ص 77 ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 57 .

[5] – يعود الصراع بين جعفر ابن حمدون و بلكين بن زيري إلى الانتصار الذي أحرزه بلكين في عهد أبيه زيري بن مناد ضد الزناتيين و مطاردته لهم حتى ضواحي المسيلة ، هذا لم يرض والي الزاب جعفر بن حمدون ، أنظر : الهادي روجي إدريس ،الدولة الصنهاجية ، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م، ج 01 ، نقله إلى العربية : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، بيروت ،1992، ص64، ينظر أيضا : رحلي صليحة ، المسيلة و جهتها في العصر الوسيط – دراسة منوغرافية – ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ،2013-2014 ، ص 50 .

[6] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 205.

فقال : تترك معي أحد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر و أنا أدبر ، و لا تسألني عن شيء من الأموال لأن ما أجنيه يكون إزاء ما أنفقه من الأموال ، وإذا أَردتُ أمرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك لبعد مابين مصر و المغرب ويكون تقليد القضاة والخراج وغيره إلي " [1] ، كانت هذه الشروط توحي بمحاولة جعفر بن حمدون الاستقلال ببلاد المغرب [2] ، وهذا ما استشعره المعز لدين الله فكان رده : "يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمري واستبددت بالأعمال و الأموال دوني ، قُم فقد أخطأت وما أصبت رشدك" [3]

ثم أرسل الخليفة المعز رجلا لقبيلة كتامة يستقصي عن حقيقة طاعتهم وولائهم للدولة الفاطمية ، إلا أن كتامة وقفت موقفا مجافيا [4] .

فلم يجد المعز مخرجا إلا التوجه إلى قائد صنهاجة بلكين بن زيري ليعرض عليه ولاية إفريقية و المغرب ، فكان بلكين سياسيا ماهرا حينما تصنع الخوف من مسؤولية بلاد المغرب و إفريقية لما فيها من فوضى سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات مذهبية ، فلعله يتحين الفرصة حتى يحصل ما كان ينشده [5] ، فاشتد الأمر على جعفر بن حمدون الذي عقد تحالفا مع قبيلة زناتة حليفة الأمويين ، فأحاط زيري بن مناد بهذه التحركات والأخبار ووجد عند مُحَمَّد بن خزر فرسا لجعفر بن علي كان الخليفة منحه إياه ، فاستغل زيري ذلك و اتهمه بالخيانة ، مما جعل المعز لدين الله يعزله عن ولاية الزاب [6] .

---

[1]- تقي الدين المقريزي ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج02 ، تحقيق : مُحَمَّد زينهم و مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، مصر ، 1998، ص 32 .

[2]- عبد العزيز فيلالي ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 189.

[3]- المقريزي ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 99.

[4]- رحلي صليحة ، المرجع السابق ، ص 52 .

[5]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 190 ، رحلي صليحة ، المرجع السابق ، ص 52 ، أما الحوار الذي دار بين بلكين و المعز : " قال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك ، وقال يا مولانا أنت و آباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم ما صفا لكم المغرب ، فكيف يصفو لي و أنا صنهاجي بربري قتلتني يا مولاي بغير سيف ولا رمح .... " ، أنظر : المقريزي ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 36.

[6]- نهلة شهاب الدين ، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2009 ، ص

فلما وصل جعفر بن علي إلى زناتة قبلوه أحسن قبول وقدموه على أنفسهم [1]، فبلغ هذا الأمر زيري بن مناد فخرج إليه في عدد من صنهاجة والتقى به و كانت وقعة عظيمة بين صنهاجة بقيادة زيري بن مناد و زناتة بقيادة الخير بن مُحَمَّد [2] ، وانهزمت صنهاجة في هذه المعركة ، فأرسل جعفر بن حمدون أخاه يحي وبعض شيوخ قبيلة زناتة إلى الخليفة الأموي الحكم بن المستنصر بالله في قرطبة يؤدون الطاعة بسمه و يؤكدون البيعة ويلتمسون منه العون و النصرة [3] ، هذا الأمر كان سببا في وقوع المعركة الثانية بين زيري بن مناد و الخير بن مُحَمَّد في رمضان من عام 360هـ/971م ، الذي حاول تفريقهم قبل أن تقوى شوكتهم [4]، وكان اللقاء بملوية وكانت النتيجة عكس المعركة الأولى ، حيث قتل زيري بن مناد وهزم جيشه [5] ، و ما أن علم المعز بذلك حتى أسند المهمة إلى بلكين بن زيري[6] الذي تحرك من أشير وقضى على قوة بني حمدون في إقليم الزاب ، وفرّ وفرّ جعفر بن حمدون إلى الأندلس [7] ، ثم قاد حملة كبرى عام 361هـ/971م " فنهض إلى المغرب و أوغر بالبرابرة منهم و تقرى أعمال طبنة و باغاية و المسيلة و بسكرة و أجفلت زناتة أمامه و تقدم إلى تاهرت فمحا من المغرب الأوسط آثار زناتة ولحق بالمغرب الأقصى ، واتبع آثار الخير بن مُحَمَّد وقومه إلى سجلماسة فأوقع بهم و تقبّض عليهم .... فأقفر المغرب الأوسط من زناتة و صار إلى ما وراء ملوية بالمغرب الأقصى" [8] .

---

[1]- النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 91 .

[2]- ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 343 ، مُحَمَّد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 237.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 205 .

[4]- مُحَمَّد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 237.

[5]- صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي ، مفاخر البربر ، دراسة و تحقيق : أ-د عبد القادر بوباية ، مؤسسة البلاغ للنشر و الدراسات و الأبحاث ، ط01، الجزائر ، 2013 ص 109 .

[6]- ولى المعز أمر بلاد المغرب لبلكين ماعدا طرابلس ، وسمّاه يوسف بدل بلكين وكنّاه أبو الفتوح ولقبه بسيف الدولة و أوصاه بثلاث : أن لايرفع السيف عن البربر ، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية ، ولا يولي أحدا من أهل بيته ، أنظر : لبن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 206.

[7]- أحس جعفر أن زناتة يريدون الغدر به و أنهم ندموا على قتل زيري ، فاحتال لنفسه و دخل الأندلس ، أنظر : النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 91.

[8]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 205 ، بينما يجعل صاحب كتاب مفاخر البربر أن بلكين استولى على " تاهرت و المسيلة و طبنة وباغاي وبجاية و بسكرة وجميع المدن ببلاد المغرب ...." ونفهم من كلمة الاستيلاء أنها كانت أراضي لزناتة استطاع إخراج زناتة منها ، أنظر : مفاخر البربر ، المصدر السابق ، ص110.

فلما بلغ المعز لدين الله ما فعله بلكين استدعاه و ولّاه على إفريقية و المغرب قبل رحيله إلى مصر ، وتسلم بلكين السلطة في ذي الحجة من عام 361 هـ/ 972 م [1]، و تم بذلك تأسيس نواة لدولة جديدة هي دولة بني زيري التي سيكون إقليم الزاب مسرحا لجل أحداث الصراع بين أبناء العمومة .

المبحث الرابع : إقليم الزاب في عصر الدولة الصنهاجية

بعد رحيل الفاطميين من بلاد المغرب و عقد المعز لدين الله ولايتها لبلكين بن زيري ، أصبحت بلاد المغرب في ظل حكم الصنهاجيين ، في هذه الفترة يصبح إقليم الزاب أهم رقعة جغرافية حيث على أرضه تتأسس أول دولة مستقلة و هي الدولة الحمادية 398هـ/1007 م ، وما يتبعها من أحداث تاريخية بين أبناء العمومة من الأسرة الزيرية ،كما تظهر حاضرة جديدة وهي القلعة لتصبح قاعدة إقليم الزاب و مقر الدولة الجديدة إلى أن يأتي التواجد الهلالي السليمي ببلاد المغرب و إقليم الزاب .

بعد استلام بلكين لمهامه نهاية شهر ذي الحجة من عام 972/361م ، دخل مدينة المنصورية شهر ربيع الأول من عام 362هـ/ 972م و أقام بها لشهرين ، استطاع خلالها تمهيد الأمور واستتباب أمور الدولة وبعث العمال بإفريقية ، قفل راجعا إلى بلاد المغرب شهر شعبان من نفس العام [2] ، وتوقف بمدينة باغاية

ونصب عليها واليها ، ثم واصل طريقه إلى تيهرت وقام بتخريب المدينة بعد ثورة سكانها على عامله ، وبلغه نبأ اجتماع زناتة بتلمسان فتوجه إليهم و حاصر المدينة وأخرج سكانها إلى مدينة آشير[3] ، استمر بلكين في أعماله إلى غاية وفاته على مشارف سجلماسة شهر ذي الحجة من عام 373هـ/984م ، وولي بعده ابنه أبي الفتح المنصور بن يوسف أوائل عام 374هـ/984م الذي عقد له الأمر وهو بمدينة آشير [4]، ثم خرج إلى رقادة و استقبله الناس بالهدايا و أرسل هدايا ثمينة إلى مصر .

---

[1] – مُحَمَّد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 242 .

[2] –صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي ، المصدر السابق ، ص 117، بينما يجعلها ابن أبي دينار عام 363هـ، أنظر : مُحَمَّد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني الملقب بابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، مطبعة الدولة لتونسية ، ط 01 ، تونس ، 1869م ، ص 74 .

[3] – نفس المصدر ، ص 75–76.

[4] – ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 239.

في هذه الفترة عين المنصور على رأس مدينة طبنة سعيد بن خزرون بن فلفلول ، هذا الأمر جعل الكثيرين من زناتة يتوافدون على مدينة طبنة و إقليم الزاب ، وبقي سعيد وفيا للزيريين حتى وفاته عام 382هـ/992هـ ، مقدما قبل ذلك ابنه فلفول الذي تزوج بنت المنصور و عين بدل أبيه على طبنة والزاب حتى أن توفي المنصور عام 386هـ/ 996م ،و خلفه ابنه أبو مناد باديس الملقب بنصير الدولة الذي تركه على ولاية المنطقة[1].

لم تلبث الأوضاع أن ساءت من جديد بعد قيام زيري بن عطية بشن حركات مناوئة ومحاصرة مدينة تيهرت عام 389هـ/999م وانهزم حمّاد والجيش الذي معه ما اضطرهم للعودة إلى مدينة آشير ، واستمر زيري في أعماله و استولى على جل مدن المنطقة حتى وصل إلى المسيلة ، ومنها كاتب المنصور بن أبي عامر يخبره بانتصاراته و إقامة الدعوة للخليفة هشام المؤيد وللمنصور من بعده [2] ، فتحرك باديس لقتال ابن عطية و عند مروره على طبنة استدعى عامله عليها فلفول بن سعيد الذي رفض المشاركة خوفا و أرسل يعتذر عن الحضور ، واستمر باديس في طريقه لقتال ابن عطية الذي فرّ من أمامه ، أما عامله على طبنة فلفول و بمجرد ابتعاد باديس عن طبنة ، عاد إليها مجددا وعاث في نواحيها فسادا ثم فعل بمدينة تيجس كذلك و حاصر باغاية[3].

- **حمّاد بن بلكين وتأسيس أول دولة مستقلة :**

في هذه الفترة ظهرت شخصية حماد الذي استطاع بوسائل عدة أن يبرز نفسه كرجل جدير بتأسيس دولة مستقلة في المغرب الإسلامي، حيث فرضت شخصيته على الدولة الزيرية [4]، أن تستعين به في القضاء على مشاكلها الداخلية والخارجية, وذلك لما عرف به من ذكاء وفطنة [5] و حنكة سياسية وعسكرية[6] حيث يعود

---

[1] – ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق، ج01 ، ص 246 ، ابن أبي دينار، المصدر السابق ، ص 79 .

[2] – مُحَمَّد بن عميرة ، المصدر السابق ، ص 271.

[3] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 209.

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج، 1ص 239 .

[5] – "ما تداها عليا أحد قط ولا خدعني إلا إمرأة وكعاء من البربر" ، أنظر: الاستبصار في عجاب الأمصار ، المصدر السابق ،ص ص 169، 170 .

[6] – وكان لحماد تجربة في الحروب وفراسة حسنة وذكاء, نفسه, ص ص 167, 168, كما وصف بأنه " كان نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه، ملكا كبيرا وشجاعا وداهية حصيفا" ، لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام في بيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،وما يتعلق بذلك من الكلام،ج02، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت، 2003، ص 328 .

يعود أول ظهور لحماد بن بلكين[1] على مسرح السياسة في المغرب الإسلامي, إلى العهد الزيري وتحديدا في عهد أخيه المنصور بن بلكين حوالي 377هـ/987-988م [2] حيث عقد له على أشير والمسيلة بالتداول مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار[3] .

ونظرا لاتساع أعمال المنصور ومحاربته للعدو على جبهتين إحداهما زناته في الغرب ، والمشاكل السياسية الناجمة عن المنازعين له في الحكم، اضطره ذلك إلى تكليف حماد بحرب زناته، حيث اتخذ من أشير عاصمة له وكتب له على ولايتها بعدما كان يتناوب عليها مع عمه وأخيه[4].

نلاحظ أن حماد لم يظهر في عهد أخيه أي رغبة في الاستقلال، وظل وفيا للدولة الزيرية، ربما لأنه لم يشعر بالانتقاص عن تولية أخيه المنصور له لأنه أكبر سنا منه، وهو الأحق في الحكم بعد أبيه أو ربما لأن الدولة الزيرية في عهد أخيه كانت في أوج قوتها, فلم يتأتى له إظهار أي نوع من المعارضة في هذه الفترة[5].

وعندما تولى باديس إمارة الدولة الزيرية بعد وفاة والده المنصور[6]، عقد لعمه حماد على أشير وأفرده بها بعدما كان يتناوب عليها مع ياطوفت وأبي البهار [7]وذلك في صفر 387هـ/997م ، وأعطاه خيلا كثيرا

[1] – ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2 ، ص 328، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 202 .

[2] – رشيد بوروبية، المرجع السابق ، ص ص 17، 18 .

[3] – ابن خلدون، العبر، ج6, ص 202 .

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق ،ص – ص 55، 56 .

[5] – عبد الغني حروز ، قلعة بني حماد من خلال المصادر و المراجع التاريخية – الموقع و التأسيس – ، مقال بموقع أكاديمية للبحوث و الدراسات ، تاريخ الإطلاع : الخميس 18ماي 2019 ، ص 08.

[6] – هو أبو مناد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي والد المعز باديس، كان يتولى مملكة افريقية نيابة عن الحكم العبيدي، المدعي للخلافة بمصر، و لقبه الحاكم الفاطمي بنصير الدولة، و كانت ولايته بعد أبيه المنصور، أنظر: أحمد بن مُحَّد ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، مج01، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1972،ص 265 .

[7] – هناك اختلاف في الروايات حول تولي حماد حكم أشير هل في عهد أخيه المنصور أو في عهد أخيه باديس، فابن الأثير و ابن عذارى يذكرون توليه حكمها في عهد باديس، بينما ابن الخطيب يذكر توليه حكمها في عهد المنصور، ابن الأثير المصدر السابق ، ج07، ص182 ، ابن عذارى ، المصدر السابق، ص 48، ابن الخطيب ، المصدر السابق، ج2 ، ص328 .

وكسًا جليلة ، حتى لُقب حماد بنائب باديس [1]وكلفه بمحاربة زناته[2] ، فأثخن فيهم وعظم أمره في المغرب الأوسط فقد كان بمثابة الحامي لمسالك تجارة الذهب والرقيق[3] .

استطاع حماد أن يتغلب على بني عمومته ماكس و زاوي و إنفاذهم إلى الأندلس[4]، ثم استدعى باديس حماد إلى القيروان، فاستغلت زناته ذهابهإلى إفريقية وهجمت على المغرب الأوسط ، فعاد باديس و أنفذ حماد من جديد إلى المغرب و ولاه على أشير و المغرب الأوسط و كل المدن التي يفتحها عام 395 هـ /1004 [5] [5] و أذن له ببناء عاصمة له هي القلعة عام 398 هـ/ 1007 م[6]، ومن هذا التاريخ بدأت تبرز بوادر استقلال حماد بالمغرب الأوسط، على الرغم من عدم إظهاره لهذا الأمر، غير أن سماح باديس لحماد ببناء القلعة قد أشعره بضعف الدولة الزيرية و بحاجة باديس له [7].

لكن الحال لم يظل على الصفاء بين حماد و باديس ، إذ سرعان ما تكدر هذا الصفاء بسبب الوشاة و الحاقدين على حماد، فأراد باديس اختبار ولاء عمه حماد، فطلب منه التنازل عن بعض الأعمال التي كنت تحت يده لابنه المعز، و ذلك بعدما جاءه كتاب التعيين من الخليفة الفاطمي الحكم بولاية العهد لابنه، حسب ما أورده بن خلدون: " ثم أن بطانة باديس و من إليه من الأعاجم و القرابة نفسوا على حماد رتبته، وسعوا في مكانه من باديس إلى أن فسد ذات بينهما ،وطلب باديس أن يسلم عمل تيجس و قسنطينة لولده المعز "[8]

كما أننا لا نستطيع تجاهل علم أو إدراك باديس لخطر حماد[9] بعد اتساع نفوذه و ازدياد صولجانه في المغرب المغرب الأوسط فأصبح يشكل خطرا على مملكته، و أمر حماد بالتخلي عن بعض الأعمال و كلف إبراهيم بن

---

[1]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج01، ص248. .

[2] - نفس المصدر ، ج01، ص248.

[3] - عبد الغني حروز ، المرجع السابق ، ص 10 .

[4]- ابن عذارى ، المصدر السابق، ج1، ص 252 ، ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص 168 .

[5]- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق , ص 60 .

[6]- ابن خلدون ، العبر ،ج06 ،ص202.

[7]- عبد الغني حروز ، المرجع السابق ، ص 10.

[8]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج06، ص 202 .

[9]- النويري ،المصدر السابق ، ج 24 ، ص 239.

بلكين أخو حماد للقيام بهذه المهمة، و طلب منه أن ينفذه إلى أخيه, حيث قال له :" لا يجد مولانا عبدا من عبيده أنهض بخدمته مني "[1].

رفض حماد هذا الأمر، لأنه تعب وكد واجتهد حتى استتب له الأمر في المغرب الأوسط وأصبح على مقربة من تحقيق الاستقلال النهائي عن الدولة الزيرية، فقام بالاتفاق مع أخيه إبراهيم (الذي خان باديس) بإعلان الحرب عليه وإعلان استقلاله عن الدولة الزيرية عام 405هـ/1014م وأعلن خلع الطاعة للفاطميين ونبذ المذهب الشيعي، وبالمقابل الطاعة للخلافة العباسية في بغداد، واتخذ المذهب السني مذهبا لدولته ، وهجم على باجة ودخلها عنوة وحرض أهل تونس بالثورة على الرافضة وقتل الشيعة، فخرج باديس لحربه معبئا عساكره من القيروان، وفي هذه الظروف تخلى عن حماد أكثر أصحابه، مثل بني أبي واليل أصحاب معرة من زناته وبني حسن كبار صنهاجة وبني ياطوفت من زناته[2]،فهرب حماد إلى أشير في صفر 406هـ/1015م محتميا بها وذلك لحصانتها، غير أن نائبه فيها خلف الحميري خانه ، ثم سار حماد من أشير إلى وادي الشلف والتقى هو و باديس هناك و تقاتلا وانكشف حماد وتفرق عنه أصحابه بعد قتال شديد[3] .

وبعد رجوع حماد من الشلف منهزما أمام باديس، ذهب إلى مدينة دكمة وتجنى على سكانها، فقام بقتل الكثير من الرجال، قيل أن عددهم قد بلغ الثلاثمائة، عند ذلك خرج إليه أحمد بن أبي توبة الذي كان فقيه هذه المدينة وصالحها، فوعظه و خوفه من الله مستنكرا عليه عمله الفظيع بأهل دكمة، قائلا :" يا حماد إذا لقيت الجموع هربت منها، وإن قاومت الجيوش فررت عنها! وإنما قدرتك وسلطانك على أشير يكون في يدك, لا نصر له عليك " فاستفزه بهذه الكلمات، فأمر بقتله" [4].

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج01، ص 261.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص ص 202 ،203 .

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج01، ص 266 ، النويري ، المصدر السابق، ص 333 ، ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص 203 .

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق ، ج07 ، ص 277، ابن عذاري ، المصدر السابق، ج01، ص ص 264، 265 .

فلحقه باديس إلى دكمة ، وفر إلى القلعة حيث تحصن بها و باديس في أثره، وحاصره فيها وهو على ذلك حتى وفاته عام 406هـ/1015م[1]، و هكذا تنفس حماد الصعداء بموت باديس، وتخلص من حصاره، وبات أمر انفصاله عن الدولة الزيرية قاب قوسين أو أدنى .

وفي عام 407هـ/1016م عُقد للمعز بن باديس الأمر ، الذي لم يطل الأمر به أن قام بالاتفاق مع عمه حمّاد عام 408هـ/1017م ، على أن تكون أعماله على " المسيلة و طبنة و الزاب و آشير وتيهرت و ما يفتح من بلاد المغرب " فانقسم ملك صنهاجة إلى دولتين : دولة إلى المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ، و دولة إلى حماد بن بلكين أصحاب القلعة .[2] (أنظر الملحق رقم 07)

- **القطيعة المذهبية بين الصنهاجيين و الفاطميين :**

بعد انقسام البيت الصنهاجي و تأسيس الدولتين الحمادية و الزيرية ، وبعد قطع حمّاد لدعوة للفاطميين و تنصله عن المذهب الشيعي و الدعوة للعباسيين ، قام المعز ابن باديس بقتل الشيعة لا سيما بمدينة القيروان ، حيث و أثناء مسير المعز في القيروان شهر محرم من عام 407هـ/1016م ، اجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل له : " هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر و عمر " ، فقال : " رضي الله عن أبي بكر و عمر " ، فانصرفت العامة لدرب المقلى من القيروان فقتلوا الشيعة [3] ، بينما يروي ابن عذاري سبب الأحداث :" كان المعز صغيرا إذ ولي وهو ابن ثمانية أعوام ، وكانت إفريقية كلها على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة من وقت تملّك عبيد الله لها ، فحرّض ابن أبي الرجال المعز و أدّبه ودلّه على مذهب السنة و الجماعة و الشيعة لا يعلمون ذلك ، فخرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلى في زينته و حشوده وهو غلام ، فكبا به فرسه فقال عند ذلك : أبو بكر و عمر ، فسمعته الشيعة التي هي في عساكره فبادروا إليه ليقتلوه ، فجاءه عبيده و رجاله ومن كان يكتم

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج01، ص 266.
[2] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 210.
[3] – ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 08 ، ص 114.

لسنة من أهل القيروان ، ووضع السيف على الشيعة " [1] ، واستمرت أعمال العامة في القضاء على الشيعة بالقيروان و المنصورة و المهدية إلى أن قتلوا عن آخرهم .

وقد نظم الشعراء قصائد كثيرة بسبب هذه الحوادث ، فمنهم فرح مسرور و منهم باك حزين ، أما الفرح المسرور فيبين حجم كره المغاربة للشيعة الإسماعيلية ، ونجد قول الحسن بن علي الكاتب المعروف بابن الزنجي :

شفى الله الغيظ في طيّ الضمير المكتم *** دماء كلاب حللت في المحرّم

فلا أرقأ اللّه الدموع التي جرت *** أسى و جوى فيما أريق من الدم

هي المنّة العظمى التي جلّ قدرها *** وسارت بها الركبان في كل موسم

ثم يضيف :

لقد رفضتكم كل أرض و بقعة *** وقد صرفت عنكم بقاع في جهنّم

فذوقوا كما ذقنا أيام كفركم *** من الغيظ في أكبادنا و التألم [2]

استمرت أعمال التقتيل ضد الشيعة إلى غاية اعتلاء الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[3] سدة الحكم عام 427هـ/1035م ، وساءت العلاقات بين المعز و الخليفة المستنصر بسبب تسلط وزيره أبي القاسم الجرجاني الذي سيطر على الدولة لصغر سن المستنصر ، وانقطعت الهدايا في هذا العهد بين الدولتين ، إضافة إلى تطلع المعز إلى الخلافة وفتاوى العلماء التي تحرم الدعاء لبني عبيد وحثهم السلطان على خلع طاعتهم و قطع الخطبة و الدعاء لهم ، إضافة إلى المشاكل التي تعاني منها الخلافة الفاطمية و انشغالها بمشاكل المشرق ، أسهمت عوامل أخرى في هذا الانفصال منها توفر الذهب ببلاد المغرب و الذي كان مصدره الأساسي بلاد السودان

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 273.

[2] – الحسن بن رشيق القيرواني ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، جمع وتحقيق : مُحَمَّد العروسي المطوي و بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، بيروت ، 1991 ، ص 92.

[3] – هو المستنصر معد بن الظاهر ، ولد عام 420هـ/1028 م ، بويع له بالخلافة عام 427هـ/1035م وهو أطول الخلفاء عهدا ، في عهده أعلن المعز الصنهاجي خلع الطاعة للعبيديين ، وخرجت صقلية عن طاعته على يد روجير النورماندي و خرجت الحجاز كذلك ، توفي عام 487 هـ / 1093 م ، انظر : ابن حماد ، المصدر السابق ، ص 226 .

الغربي ، و أصبحت الأموال التي ترسل سنويا إلى الخلافة الفاطمية عبئا ثقيلا على الخزانة الزيرية ، وتحول دون خطط البناء و التعمير وتقوية الجيش و الأسطول ، الأمر الذي استدعى التفكير في الاستفادة من هذه الثروة كلها دون إرسال كميات كبيرة منها إلى مصر ، ولن يتحقق ذلك إلا بالإعلان عن الانفصال عن العبيديين [1].

واختلفت التواريخ حول إعلان المعز لانفصاله عن الفاطميين ، لكن التاريخ الأرجح هو عام 435هـ/1043م[2] حيث أعلن المعز انفصاله عن الدولة الفاطمية وولائه للدولة العباسية وتوالت البعثات الرسمية بين بغداد و القيروان ، ثم قام المعز بعد استكمال كل أمور الانفصال بضرب السكة الزيرية في شعبان من عام 441 هـ/1050 م ، فنقش على الأزواج في الوجه الواحد (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [3] وفي الوجه الثاني " لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله " ، والملاحظ هو ذكر تاريخ ومكان سكها ، مع عدم نقش وكتابة اسم المعز على السكة [4].

- **الحضور الهلالي في مجالات إقليم الزاب :**

الشائع لدى المؤرخين أن الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بكل ما تبعها من تأثيرات عرقية وسياسية و اقتصادية و حضارية ، إنما هي نتيجة حتمية للقطيعة السياسية و المذهبية بين الخلافة الفاطمية و نوابها على بلاد المغرب ، فراسل الخليفة الفاطمي المستنصر المعز ابن باديس يرهبه بقوله : " هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في

[1]- طارق بن زاوي ، استقلال المعز ابن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406هـ-454هـ/1016م-1062م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر ، 2008-2009 ، ص 140 .

[2]- يذكر ابن الأثير و النويري أنه "في هذه السنة أظهر المعز ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العباسية ، وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ..." أنظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 08 ، ص 266 ، النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 116 ، بينما يورد ابن أبي دينار قوله : " وفي سنة 435 هـ/1043 م أظهر المعز الدعوة لبني العباس ، وورد عليه عهد من الإمام القائم بأمر الله العباسي " ، أنظر : ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص104.

[3]- سورة آل عمران ، الآية 85 .

[4]- صالح يوسف بن قربة ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986، ص485 ، و السبب في ذلك أن المعز دار حديث بينه و بين علماء القيروان أنه رغب عن ذكر اسمه في هذه الدنانير خشية أن يلحق بالحجاج المغاربة القاصدين الحجاز الضرر من أعوان الرقابة الفاطميين بمصر . ، أنظر : طارق بن زاوي ، المرجع السابق ، ص 156.

الطاعة و الولاء " ويتوعده بإرسال الجيوش ، فكان رد المعز بقوله : " إن آبائي و أجدادي كان ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ، ولهم عليهم من الخدم أعظم التقديم ، ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم " [1] .

فلم يقف الخليفة المستنصر مكتوف الأيدي ، وبتدبير من وزيره اليازوري [2] قام بإغراء قبائل بني هلال(3) المقيمة بصعيد مصر بالسير إلى بلاد المغرب ، هذه القبائل أحدثت أزمة اقتصادية كبيرة بالمنطقة لكثرة عددهم إضافة إلى قطعهم الطريق و عدم قدرة الدولة على حماية حدودها ، فجاءت فكرة التخلص منهم بإخراجهم من مصر بمنحهم بلاد المغرب كلها لهم ، ومنها تأديب حلفائهم السابقين من قبيلة صنهاجة[4] ، و أمدهم بالمال و السلاح [5] ، حتى أن الخليفة المستنصر أعطاهم الإذن باجتياز النيل بعد أن كان ممنوعا عليهم و أعطى كل من يجتازه دينارا [6].

ولما أحكم الوزير اليازوري مؤامرته ، راسل المعز ابن باديس : " أما بعد ، فقد أرسلنا إليكم فحولا ، وأرسلنا عليهم رجالا كعولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا " [7] ، واجتازت القبائل الهلالية نهر النيل في النصف الثاني من من القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي تقريبا وتوجهت إلى برقة ، بعد أن قام الخليفة الفاطمي بإقطاعهم إفريقية و المغرب و أعطاه ملك ما سماه ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقروا بعد

[1] – النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 116.

[2] – هو أبو مُحَمَّد الحسن بن اليازوري ، تولى الوزارة في عهد المستنصر الفاطمي ، لقب بعدة ألقاب منها : الوزير الأجل المكيف ، تاج الأمراء ، قاضي القضاة و داعي الدعاة ، ينظر : النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص 116.

[3] – بنو هلال بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن مصر ، كانوا أحياء ناجعة محلاتهم من بعد الحجاز بنجد ، فبنو سليم مما يلي المدينة ، و بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ، أنظر ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 17-18.

[4] – راضي دغفوس ، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، بيروت ، 2005 ، ص 180

[5] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 19 .

[6] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 288.

[7] – ابن خلدون ، المصدر السابق، ج06 ، ص 20 .

ذلك [1] ، هذا في ظل جهل الأمير الزيري لقوتهم و الاستخفاف بهم ، مما شكل أهم العوامل في ضعف دولة بني زيري [2] .

فكانت أول مواجهة بموقعة حيدران 443 هـ / 1052 م وانهزم المعز و فرّ ، فكان هذا إيذانا بتقدم القبائل العربية من برقة و طرابلس نحو إفريقية[3] ،ثم استولت هذه القبائل على أراضي الدولة الزيرية وتقدمت بشكل أفقي اتجاه منطقة الأوراس و بلاد الزاب[4] ، فتملكوا كل المنطقة حيث تمكنوا من السيطرة على بادس و على أرضها و منعوا سكانها من الخروج إلا بخفارة[5] ، وذلك بسبب توفر المدينة على مؤهلات اقتصادية زراعية كبيرة حيث ذكر الحميري أن أهل بادس يزدرعون الشعير مرتين في السنة[6] ،كما سيطروا على حصن بشر الذي يتبع إداريا مدينة بسكرة [7]، و استقروا بمدينة طبنة[8]. (أنظر الملحق رقم 08)

ثم جاءت موقعة سبيبة 457 هـ / 1065 م و التي انهزم فيها جيش الناصر بن علناس الأمير الحمادي أمام تحالف قبائل رياح و زغبة و زناتة أعداء صنهاجة و مما زاد الوقعة عليه خروج قبيلة الأثبج من الحلف مع الناصر أثناء المعركة لينظموا إلى أبناء عمومتهم ، فانهزم الناصر و تبعه تحالف القبائل إلى مدينة قسنطينة ومنها إلى قلعة بني حماد ، فقام الناصر بن علناس بإقطاع هذه الأراضي لهم ، وقام ببناء مدينة بجاية و نقل عاصمة ملكه إليها [9].

وبهذا يدخل إقليم الزاب في مرحلة جديدة بقدوم وافد جديد استطاع التأقلم و العيش وسط سكان الإقليم.

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 20.

[2]- النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 117.

[3]- أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد التيجاني ، رحلة التيجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، لبنان ، 2005 ، ص 55 .

[4]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 264 .

[5]- الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 175 .

[6]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 75 .

[7]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 264 .

[8]- الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 172-173 .

[9]- مُحَمَّد الطمار ، المرجع السابق ، ص 108-109 .

- **بنو هلال : بين الحقيقة التاريخية و التحامل**

لقد أثيرت العديد من القضايا التاريخية تتعلق بالهلاليين و دورهم في خراب بلاد المغرب وتحطيم بنيته الاجتماعية ، فإذا ما استثنينا عددا من النصوص الإخبارية و الفقهية ، فهناك غياب شبه تام لمصادر تاريخية معاصرة لهجرة بني هلال و سليم إلى بلاد المغرب ، وهو ما أدى في النهاية إلى توظيف الهجرة الهلالية لأغراض ايديولوجية منذ البدايات الأولى ، على أساس أن الكتابات التاريخية الصادرة من البلاط الباديسي في المهدية (ابن شرف القيرواني و ابن أبي الصلت) تربط بين تراجع الثقافة العمرانية بالقيروان ثم الإمارة الزيرية ، لقد ضخم الدور التخريبي الهلالي بتقادم الزمن إلى غاية استغلاله بشكل مباشر من قبل المؤرخين الاستعماريين بتصنيفه في خانة " الكارثة الهلالية " أو " القطيعة بين عالم الحضارة و عالم البداوة " في تاريخ المغرب ، هذا بالاعتماد أساسا على ابن خلدون [1] ، القائل بأنهم: " عاجوا على ما هنالك من الأمصار مثل طبنة والمسيلة فخرجوا، وأزعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى والضّياع والمدن فتركوها قاعاً صفصفاً أقفر من بلاد الجنّ وأجوف من جوف العير، وغوّروا المياه، واحتطبوا الشّجر، وأظهروا في الأرض الفساد، وهجروا ملوك إفريقية...." [2]،وقام ابن عذارى بربط قدومهم بتراجع الحياة الزّراعية واضمحلال العمران بالمغرب الأوسط وبلاد الزّاب[3] .

بينما يربط الكثير من المؤرخين ظاهرة خراب عمران مدن الزاب و بلاد المغرب إلى ثورة أبي يزيد حيث زاد تأزم وضعها العمراني بسبب وقوعها في وسط الصراع الفاطمي الزناتي [4] ، ثم قيام جيش أبي يزيد بتدمير الآلاف الآلاف من المدن ، فاق حسب أبي زكرياء ثلاثين ألف قرية ببلاد المغرب[1] ، فساهم هذا الوضع في هجرة السكان نحو المدن الآمنة مثل مدينة المسيلة التي انتعشت اقتصاديا أيام ثورة أبي يزيد[2] .

---

[1]- علاوة عمارة ، الهجرة الهلالية و إشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط : قراءة في نقاش تاريخ ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة قسنطينة ، العدد 04 ، 2004 ، ص 34 .

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 46.

[3]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 223 .

[4]- موسى لقبال ، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة و الفاطميين ، المرجع السابق ،ص52.

ثم جاءت الحروب بين صنهاجة وزناتة ، فازدادت أوضاع بلاد المغرب سوءا أيام حكم الزيريين و الحماديين بسبب كثرة الصراعات و الحروب سواء المذهبية بين السنة أو الشيعة ، أو حول النفوذ بين الزيريين و الحماديين من جهة و مع قبائل زناتة من جهة أخرى ، فكان هذا الوضع المتردي للسلطة السبب الأول في طلب المعز ابن باديس لحلف قبيلة رياح العربية و إدخالها ضمن جنده ، فساهم هذا الوضع أيضا في خروج المقاطعات على سلطة الدولة و استقلالها بمناطق نفوذها مثل منطقة الحضنة و بلاد الجريد[3] .

ويصف النويري هذه الأوضاع بقوله :" .... ودخلت العرب فوجدوا بلادا خالية طيبة كثيرة المرعا كانت عمارتها زناتة فأبادهم المعز .... " [4]، و لم يتغير وضع بلاد الزاب أيام الهلاليين للمنطقة بل تتغنى كتب الجغرافيا بالوضعية الاقتصادية الجيدة التي كانت عليها مدن إقليم الزاب ، فالإدريسي قدم أوصافا للمنتوجات الحيوانية و الزراعية للإقليم ، أما صاحب الاستبصار فقدم أوصافا رائعة عن غنى مدن بلاد الزاب بشتى المنتجات الزراعية و تحرك القوافل التجارية بطرق و مسالك بلاد الزاب[5] ، و هذا دليل على أن قبائل بني هلال إما حولوا جزءا من الأراضي الزراعية إلى مراعي وتركوا الباقي ، أو أنهم شاركوا سكان المنطقة نشاطهم الزراعي .

---

[1]- أبي زكرياء يحي بن مُحَمَّد الوارجلاني ، سير الأئمة و أخبارهم ، تقديم و تحقيق : إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 02 ، بيروت ، 1982 ، ص 181 .

[2]- موسى لقبال ، دور كتامة ، المرجع السابق ، ص 430 .

[3]-ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 09 ، ص 567 .

[4]-النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 383 .

[5]- مجهول ، المصدر السابق ، ص 171-172 .

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية في إقليم الزاب

المبحث الأول: عناصر السكان.

- البربر
- العرب .
- أهل الذمة .
- الجند الخرساني.
- العبيد .

المبحث الثاني : المذاهب الدينية بإقليم الزاب بعد الفتح الإسلامي.

- المذهب الصفري.
- المذهب الإباضي .
- المذهب الشيعي.
- المذاهب السنية.

المبحث الثالث:أنماط المعيشة.

- المأكل و المشرب .
- اللباس .
- المسكن و المرافق العامة .

المبحث الرابع:العادات والتقاليد.

- الاحتفالات .
- الأخلاق و الطبائع .

المبحث الأول : عناصر السكان .

عرف إقليم الزاب تركيبة اجتماعية متنوعة قبل و بعد الفتح الإسلامي ، حيث تعايشت في هذه الرقعة الجغرافية العديد من المجتمعات نميز منها فئتين أساسيتين هما : السكان الأصليون و العناصر الوافدة للإقليم ، فعلى مر تاريخ الإقليم شكلت العناصر الوافدة أفرادا أو جماعات و بعد الاحتكاك بالسكان الأصليين نشهد تغيرا جذريا في التركيبة الاجتماعية لساكنة الإقليم ،كما تسربت عادات و تقاليد و معتقدات هذه العناصر إلى سكان بلاد المغرب عموما و أهل الإقليم خصوصا ، و هذا ما سنحاول تفصيله .

1 – البربر :

تشير نصوص المؤرخين إلى أنهم الغالبية العظمى المكونة لمجتمع المغرب الأوسط، فعرفوا بالسكان الأصليين بغض النظر عن انتمائهم الجغرافي سواء من فلسطين أو بلاد اليمن أو حتى مصر[1]، أما ما هو متفق عليه بين المصادر العربية الإسلامية أن أصول بربر المغرب الأوسط واحدة وترجع إلى ولد حام بن نوح – عليه السلام–[2]، بينما يرى الطبري[3] وابن الأثير[4] بأن "البربر من ولد إبراهيم – عليه السلام– من ولده يقشان أو يقسان وأمه امرأة من الكنعانيين تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة وتسمى المرأة الكنعانية هذه "قطورا" ابرق يقطن وهذا الرأي أنكره ابن خلدون[5] ، وتعدى هذا الخلاف أيضا إلى أصل تسميتهم فكانوا ينفرون من تسمية البربر و أطلقوا على أنفسهم اسم الأمازيغ، أو بني مازيغ[6].

ويورد ابن خلدون نصا في هذا الصدد يؤكد فيه على الاتفاق بين النسابين في أصل البربر الذي ينحدر من جدان عظيمان هما برنس، وما دغيس بن الأبتر : " وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال

[1] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 89.
[2] – ابن حزم، المصدر السابق ، ص 495.
[3] – ابن جرير الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك، ج01، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987، ص 185.
[4] – ابن الأثير، المصدر السابق ،ج01 ،ص 70.
[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص 105– 113.
[6] – موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ،المرجع السابق، ص 16.

لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابن برنس"[1]، كما أنهم ينقسمون إلى سكان الوبر (الخيام)، وسكان المدر (البيوت) ومنه يتضح أن البتر قوم رحل بعكس البرانس الذين عرفوا بأنهم قوم مستقرون.

بينما رد اليعقوبي كلمتي" بتر وبرانس"إلى اللباس المنتشر بينهما زمن الدخول العربي على المنطقة فالبرانس قوم يرتدون عباءة أو رداءً طويلا بع غطاء للرأس ، ويرتدي البتر رداءً قصيرا بدون غطاء للرأس[2]، كما تشكل: أوربة وصنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة و أوريغة و أزداجة مجموع قبائل البرانس، ويضاف إليها لمطة وهسكورة وجزولة، بينما تنحصر قبائل البتر في أداسة و نفوسة وضريسة و بنو لوا [3] .

و تنحدر من هاته القبائل الكبرى قبائل أخرى مشهورة :

- **ضريسة** : ينحدر من هذه القبيلة فرعين رئيسيين :

–بنو تمصيت : التي تنحدر منها بطون كثيرة العدد مثل : مطماطة و لماية ومغيلة وملزوزة و مديونة ....

–بنو يحي : تتفرع منها قبيلة زناتة أكبر القبائل البترية عددا.

- **بنو لوا** : ينحدر منها فرعان رئيسين :

–نفزاوة : تفرع من هذه القبيلة العديد من البطون مثل قبيلة ولهاصة التي تنحدر منها قبيلة ورفجومة.

–لواتة : يتفرع منها قبائل سدراتة ومزاتة [4] .

---

[1]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 117.

[2]– اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي ، المصدر السابق، ج01،ص352، أنظر أيضا:البكري:المغرب ...، المصدر السابق، ص 47، أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت ، ص 14.

[3]–ابن حزم ، المصدر السابق، ص 495، أنظر أيضا: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج06، ص130، 135.

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 138 ، 142 .

أما عن ساكنة إقليم الزاب من القبائل البربرية فتغلب عليه القبائل الزناتية [1]التي يذكر ابن خلدون أن " مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل أوراس و الزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية وكانت الكثرة و الرياسة قبل الإسلام لجراوة ثم لمغراوة وبني يفرن " [2] ، كما سكنت الإقليم أيضا بعض الفروع البرنسية مثل قبيلة أوربة و كتامة التي كان لها وجود في العديد من مدن الإقليم .[3]

ويصعب ضبط توزيع القبائل البربرية في إقليم الزاب بسبب حركة الترحال وعدم الاستقرار وهذا أمر محكوم بعوامل طبيعية واقتصادية و سياسية ، فالحرارة و برودة الطقس تتحكمان في تنقل هذه القبائل بين التل و الهضاب و الصحراء[4]، إضافة إلى عوامل اقتصادية كتنوع الأنشطة الزراعية و التجارية و الرعوية، وعوامل سياسية جالبة أو طاردة للسكان نتيجة الثورات التي تشكل عامل نفور من المنطقة[5]، و ما نلحظه أن لطول الزمن الزمنية تغيرت التركيبة الاجتماعية لمجتمع إقليم الزاب ، هذا ما نراه في مختلف الكتب التاريخية و الجغرافية التي تذكر أن جل القبائل سكنت بمدن الإقليم على اختلاف الفترة الزمنية .

فمدينة طبنة سكنها أخلاط من البربر ، حيث كان حولها قوم من بني زقراح [6]، ولما أعاد الوالي عمر بن حفص ترميم المدينة أسكن بها قبيلة ورفجومة [7].

أما المسيلة فيشير ابن حوقل أنها موطن لكل من بني برزال، وبنو زنداج، وهوارة، ومزاتة[1]، وذكر البكري أن أن عجيسة قريبة منها [2]، وكانت قلعة بني حماد " مستقر مملكة[3] صنهاجة[4]"، أما بسكرة فكانت تحيط بها كل من سدراتة ومغراوة[5] واستوطنت كل من هوارة ومكناسة في تهودة[6].

---

[1] - **زناتة:** ترد في بعض المصادر على أنها من الحرب واستوطنت بلاد المغرب و أصبحت فرعا من البربر البتر، ذكر الإدريسي إنهم من ولد جنا بن ضريس بن لوي بن نفجاو بن بر بن قيس، وهم من أكثر القبائل البربرية تقبلا للتعريب، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق ، ج 07، ص03.

[2] – ابن خلدون ، المصدر الساق ، ج 07 ، ص 11 .

[3] – هشام جعيط ، المرجع السابق ، ص 157.

[4] – البكري، المصدر السابق، ص 144، 145.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص 115.

[6] – البكري ، المسالك و الممالك ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

[7] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 151 .

وعن نقاوس ذكر اليعقوبي أن حولها أوربة، وخارج مقرة بنو زنداج، قوم كزبرة وقوم سارسة[7]،وحول باغاية بربر هوارة بجبل أوراس وبربر عجم[8]، وقبائل من لواتة وضريسة[9].

المدينة	القبيلة	المصدر
طبنة	بني زقراح ورفجومة	المسالك و الممالك ، ج229/02 ديوان العبر ، ج 06 /151.
المسيلة	بني برزال بنو زنداج هوارة مزاتة عجيسة	ديوان العبر ، ج 84/07 المسالك و الممالك، ج228/02
قلعة بني حماد	صنهاجة	المغرب / 49.
مقرة	بنو زنداج ،كزبرة سارسة	البلدان / 190.
نقاوس	أوربة	البلدان / 191.
بسكرة	سدراتة ، مغراوة	المغرب /52.
تهوذة	هوارة ،، كناسة	المغرب / 73 .
باغاية	هوارة ، لواتة ، ضريسة	البلدان / 190.

جدول رقم (01) : توزيع القبائل البربرية بإقليم الزاب

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج07، ص 84 .

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 228.

[3]- **صنهاجة**، من أكثر قبائل البربر عددا لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من أحد بطونها التي بلغت السبعين بطنا منها: قبائل للكافة لمتونة، جدالة، مسوفة، لمطة، مسراتة...،أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج 06، ص 102.

[10]- البكري، المغرب ، المصدر السابق، ص 49 .

[5]- البكري ، المصدر السابق، ص 52، أنظر أيضا ، الحميري، المصدر السابق، ص 114.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص 73.

[7]- العقوبي، المصدر السابق، ص 190،191.

[8]- نفس المصدر، ص 190.

[9]- الحميري، المصدر السابق، ص 77.

ومن خلال هذا الجرد لأهم القبائل المنتشرة بالمغرب الأوسط و إقليم الزاب نلاحظ أن انتشار البربر شامل لكل الأقاليم، وكذا سيادة البتر على البرانس في توزيع قبائلهم، كما يتضح لنا أن التنظيم الاجتماعي للبربر قائم بالأساس على النظام القبلي فتنقسم القبائل الرئيسية إلى فروع وقبائل أصغر وبطون و أفخاذ.

2- العرب :

عرف إقليم الزاب التواجد العربي مع بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، حيث يعدّ أبو المهاجر دينار أول من دخل المنطقة عام 55 هـ فافتتح بلاد كتامة بالشرق واتجه نحو تبسة و قالمة و ميلة و تواصلت فتوحاته بالمغرب الأوسط عابرا الزاب إلى غاية وصوله مدينة تلمسان[1]، ثم جاءت حملة عقبة الثانية و ما حملت معها من الجند العربي الذي أقام بالمنطقة بعد مقتل عقبة ومن معه في تهوذة .

ومع مرور الوقت تزايد العنصر العربي بإقليم الزاب نتيجة دخول الفارين من أصحاب النحل الخارجية ، حيث أصبح الإقليم أحد مراكز الدعوة و طريقا بين مختلف المناطق ، هذا ما دفع الخلافة الأموية ثم العباسية بإرسال الجند لدحض هاته الحركات و الثورات ، فقام عمر بن حفص المهلبي بتجديد بناء مدينة طبنة التي شجعت على جذب العرب بنية الاستقرار و الجهاد، وأضحت طبنة عاصمة الزاب مقرا و مستقرا للأمراء و القادة طوال عصر الولاة الدولة الأغلبية من بعد واختص على رأسها أحمد ابن سفيان ابن سوادة و هو مضري تميمي [2].

وحاول الخلفاء أن يصنعوا تمازجا بين العرب القادمين و السكان المحليين لعظيم الرسالة التي جاؤوا بها فانتدب الخليفة عمر بن عبد العزيز بعثة لتفقيه الناس عام 100 هـ /718م ، أضف إلى ذلك الحملات العسكرية لتثبيت الاستقرار في البلاد ، لكن هذه العناصر جلبت معها الصراع القديم بين القيسية و اليمنية وتجلى صراعها في بلاد المغرب حول الزعامة هذا ما جعل الكثير من العرب يفر من القيروان و يستقر

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج01، ص 33.

[2]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 123.

بالمناطق الداخلية لبلاد المغرب [1] .

فسكن القيسية مدينة طبنة [2]، أما بنو تميم فهم قاعدة من أكبر قواعد العرب و سكنوا مدينة بلزمة وهي بلد " محدث للعرب، وفيه بقاياهم إلى الآن"[3] ، وسكن قوم من بني ضبة مدينة مقرة ، أما عامل مدينة ميلة فكان من بني سليم زمن الأغالبة [4]، أما طولقة فهي ثلاث مدن حسب البكري إحداها للقيسية و الأخرى لليمنية و الثالثة للمولدين [5] ، بينما يتواجد العرب بتهودة و ميلة و باغاي دون ذكر نسبهم .

وعن حال العرب بعد استقرارهم بالمغرب الأوسط يورد حسين مؤنس نصا في ذلك فيقول:" أن العرب بعد استقرارهم بالمغرب الأوسط لم يبقوا منفصلين عن السكان المحليين على عادة المستعمرين السابقين للمغرب بل حدث تزاوج و اختلاط بينهم وبين البربر، لأن العرب قدموا بلاد المغرب رجالا فاتحين لا نساء لهم، فكانت العادة أن يتزوج العربي من قبيلة بربرية فيكون الولد تبعا لوالده من حيث اللغة و الدين"[6].

و كانت أكبر موجة لدخول العرب إلى إقليم الزاب مع التغريبة الهلالية إلى بلاد المغرب ، حيث بعد موقعة سبيبة [7] عام 457 هـ/1065 م دخلت قبائل بني هلال وسليم المغرب الأوسط من ثلاث جهات :

الأولى من ناحية السواحل أين تقطن كتامة، حيث لم يجد الهلاليون أية مقاومة تذكر ، و يرجع الأستاذ موسى لقبال هذا الأمر إلى ضعف قبيلة كتامة بعد نقل الفاطميين لجل هاته القبيلة معهم إلى مصر [8] ، فتقدموا إلى بجاية و انتشروا على ضواحي القالة وعنابة و قسنطينة إلى غاية جبال البابور [1].

---

[1]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 106 .

[2]- ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 123.

[3]- ابن حزم ، المصدر السابق، ص 281.

[4]- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 190 -191.

[5]- البكري ، المصدر السابق ، ص 72.

[6]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ج01، ص 108.

[7]- **سبيبة** ، مدينة قديمة أزلية على مقربة من القيروان ، لم يكن بإفريقية أخصب منها ، أنظر : مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 129-161 .

[8]- موسى لقبال ، دور كتامة ... ، المرجع السابق ، ص 607 .

والثانية من جهة الهضاب مابين الأطلسين التلي و الصحراوي أين كان الدخول من نواحي الأربس[2] ، وانتهوا إلى سهول الحضنة وجبال البيبان حيث حاصروا مدينتي المسيلة و القلعة .

و الثالثةمن جهة الصحراء حيث تكثر خيام زناتة التابعة لبني حماد حيث دخلوها من ناحية سبيبة إلى تبسة وانتشروا جنوب الأوراس على قرى الزاب [3] ، وتعرض الهلاليون لمقاومة عنيفة من طرف قبيلة زناتة إلا أنهم سيطروا على المنطقة فيما بعد [4] .(أنظر الملحق رقم 10)

ما تجدر الإشارة إليه أن عرب هذه الحملة يرجع نسبهم إلى أربعة أصول : بني هلال ، بني سليم ، زغبة و رياح ، وكانت هذه القبائل بدورها مقسمة إلى بطون و أفخاذ انتشرت بكل بلاد المغرب و إقليم الزاب ، وفيما يلي هذا الجدول لتحديد مواطن كل قبيلة :

[1]– عبد الحميد خالدي ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 ، ص 170 .

[2]– **الأربس** ، مدينة بإفريقية بينها و بين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب ، أكثر غلاتها الزعفران ، أنظر : الحموي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 131.

[3]– عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 170.

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 27 .

القبيلة	البطن	الفخذ	مناطق التوطين
بني هلال	الأثبج	مقدم العاصم كرفة دريد الضحاك لطيف عياض	قلعة بني حماد شرقي الأوراس تهوذة بادس
بني سليم	زغب ،ذباب هبيب ، عوف	///////	المسيلة
زغبة	بنو عامر بنو يزيد بنو عروة	/////	المسيلة الزاب
رياح	مرداس عمر	الذواودة	المسيلة طبنة

جدول رقم (02) :توزيع القبائل الهلالية بإقليم الزاب

3-أهل الذمة :

أ-اليهود : عرف إقليم الزاب أقلية يهودية عاشت ضمن حدوده ، حيث يعود تواجدها بالإقليم منذ العصر القديم منذ عهد الرومان [1] ، و قد منحهم الرومان حرية التنقل في حوض المتوسط تحت رعايتهم

[1]- محمود شيت خطاب ، المرجع السابق ،ج01 ، ص 20.

وعمل هؤلاء اليهود على نشر ديانتهم بين القبائل البربرية [1]، و تذكر المصادر أن الكاهنة كانت تعتنق اليهودية كما ظن البعض أن جراوة قبيلة الكاهنة من القبائل العبرانية التي استقرت بالأوراس[2] .

و لأهمية موقع الزاب في الطريق التجاري الرابط مع بلاد السودان فقد وجدت به طائفة من اليهود ، حيث وجد كانت طبنة و بلزمة إحدى المدن التي استوطن بها اليهود[3] ، ولما دخل الداعي الشيعي مدينة طبنة سأل أحد الجباة عن مصدر بعض الدنانير الذهبية التي كانت بحوزته فأخبر الداعي بأنها جزية أخذت من اليهود و النصارى في المدينة على حول مضى ، فأخذ الداعي ذلك المال و قال أنه مال طيب [4] ، كما تواجدت فئة من اليهود بمدينة بسكرة [5] ، وما يدعم هذا الرأي أيضا ذكر المؤرخين لولادة أحد العلماء بقلعة بني حماد الذي يدعى إسحاق الفاسي، وبعض رجال الدين اليهود لإبراهيم القلعي[6]، فضلا على تواجدهم في بعض المراكز التجارية بالمغرب الأوسط كقسنطينة و المسيلة وورجلان.

ب– النصارى :

وعن طائفة النصارى يذكر حسين مؤنس أن أول هجرة لها نحو شمال إفريقيا تعود إلى القرن الثاني الميلادي بدخول بعض الرهبان المصريين و الإيطاليين الذين عملوا على نشر المسيحية بين البربر[7] ، إذن لا شك في أن تواجدهم بالمغرب الأوسط كان قبل دخول العرب الفاتحين إلا أنهم – اليهود و النصارى – وجدوا بأعداد قليلة مقارنة مع الفئات الأخرى كما أنهم لاقوا الحماية من طرف الشعوب الإسلامية وفق مجموعة العهود التي تحدد وتنظم طبيعة العلاقة بينهم، والتي نص عليها الدين الإسلامي .

---

[1]– محمود شيت خطاب ، المرجع السابق ، ج01 ، ص 20.

[2]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 142.

[3]– عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1080 م) ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط01 ، مصر ، 2001 ، ص 43.

[4]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 141 .

[5]– روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ،ج01 ، ترجمة : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، لبنان ، 1988 ، ص 432.

[6]– عبد الرحمان البشير ، المرجع السابق ، ص44.

[7]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 28.

و انتشرت هذه الفئة بين مدن و قرى الأوراس و الزاب ، حيث وجدت هذه الفئة بكثرة في مدينتي تهوذة و بادس [1] ، بالرغم من انتشارهم عبر ربوع إقليم الزاب و بلاد المغرب إلا أن ما نلحظه غياب ذكرهم من المصادر على غرار البربر و العرب ، و هذا ربما راجع لانصهار هاته الفئات مع المجتمع العربي الإسلامي أو أنها همشت من طرف الكتاب .

ج–الروم (العجم) :

هم بقايا الأمم السابقة التي سيطرت على بلاد المغرب و تشمل : الرومان و الوندال و البيزنطيين ، وقد جاء ذكرهم ضمن أهل الذمة و هذا لا يعني أن فئات منهم انصهرت و اعتنقت الإسلام ، بقيت هذه العناصر بمدن إقليم الزاب بعد الفتح الإسلامي حيث عاشت بمدينة طبنة " أخلاط من قريش والعرب و الجند و العجم و الأفارقة و الروم و البربر "[2]، ويضيف البكري قائلا:".. يسكنها العرب و العجم بينهم الاختلاف " [3] حيث عدت طبنة أعظم مراكز هذه الفئة [4] فبالإضافة إلى البربر ضمت جنود الحاميات الحاميات العسكرية و موظفون ينتمون لمختلف الجنسيات الآتية من بحر الروم [5]، وكان بمدينة باغاي عجم عجم من أهل خرسان و عجم من عجم البلد من بقايا الروم [6] ، وبمدينة مقرة قوم من العجم [7] .

بينما يتطور هذا المصطلح ويعدل من طرف الجغرافي البكري الذي جاء بمصطلح المولدين وهو العنصر الهجين الناتج عن تزاوج فئتي البربر و الروم : "وإذا كانت الحرب بين العرب و المولدين استمد العرب بعرب مدينة تهوذا و سطيف، واستمد المولدون بأهل بسكرة وما والاها" [8] .

---

[1] – مجهول ، المصدر السابق ، ص 175.

[2] – اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

[3] - البكري، المسالك و الممالك ، المصدر السابق، ص 229.

[4] – المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 398.

[5] – موسى لقبال ، طبنة مدينة الزاب و الأوراس في العصور الوسطى ، المرجع السابق ، ص95 .

[6] – اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 140 .

[7] – نفس المصدر ، ص 141 .

[8] – البكري، المسالك و الممالك ، المصدر السابق، ص 229.

و الملاحظ عن هذه الفئة أن لها تسميات مختلفة بين صفحات المصادر التاريخية و الجغرافية كالنصارى و العجم و عجم البلد من بقايا الروم ، هذا ما يؤكد على أن المؤرخين و الجغرافيين لم يدققوا كثيرا في نوع اللفظ واعتبروا أن هذه النعوت ولو اختلفت معبرة عن هذه الفئة [1].

د- الأفارقة :

ينسب الأفارقة إلى إفريقية وهم الذين توطروا ببلاد المغرب منذ القدم وخدموا الرومان وانصبغوا بحضارتهم ، فيذكرهم المؤرخون على أنهم خليط من بقايا الأمم السابقة التي سيطرت على بلاد المغرب كالرومان و الوندال و البيزنطيين[2]، وقد ذكرهم البكري بقوله:" وقال قوم إنما سموا الأفارقة، وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم"[3]، ويضيف ابن عبد الحكم:" وأقام الأفارقة وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غاب على بلادهم..."[4] وعن تواجدهم في إقليم الزاب جاء ذكرهم في المصادر في مدينتي طبنة وباغاي إلى جانب البربر و العرب و العجم فقال عنهم اليعقوبي: " ... وفيها عجم من أهل البلاد وهم بقايا الروم..."[5].

وذكر الإدريسي أن طبنة " أهلها أخلاط"[6]، من الأفارقة و الروم ما سمي في المصادر العربية" بعجم البلد"، البلد"، ومن البربر والفرس و العرب وغيرها من العناصر الوافدة من المشرق كالجند، وتكف المصادر الجغرافية وكتب الرحلة عن ذكر أخبار هذه الفئة – الأفارقة- وربما يرد ذلك الى دخول معظمهم في الدين الإسلامي وانصهارهم في مجتمعات المغرب.

---

[1]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 13-14.

[2]-موسى لقبال ، المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 18.

[3]- البكري ، المسالك و الممالك ، المصدر السابق، ج02، ص 193.

[4]- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ،ص 229.

[5]- اليعقوبي ، البلدان، المصدر السابق ،ص 140.

[6]- الإدريسي ، المصدر السابق، ج01 ،ص 263.

4- الجند الخرساني :

تضم العديد من الأجناس التي تم استقدامها إلى بلاد المغرب في عهد الدولة العباسية كجند تابعين ، فنزلوا المدن و المراكز الحربية في الأوراس و الزاب لحمايتها و أقاموا بمدنها إلى أن يتم استدعاؤهم للمشاركة في الحرب أو قمع الثروات، ولا تمثل هذه الفئة تركيبة قبلية معينة بقدر تمثيلهم بنية جغرافية محددة فهم ليسوا من الفرس الخلص، ولا من العرب الخلص[1].

وقد ذكر اليعقوبي وجود طائفة منهم بمدينة باغاية على مشارف جبل أوراس و التي تعد إحدى القلاع التي تستخدم لمراقبة سكانه، ووجدت أعداد منهم بمدينتي نقاوس و طبنة[2] ربما هم من بقايا الجند الذي قدم مع الوالي مُحَمَّد ابن الأشعث و الأغلب بن سالم الذي اختص عاملا على الزاب ، وأضحت طبنة مركزا لهم حيث بعد مقتل الوالي عمر بن حفص عام 154 هـ/771م قام أبو حاتم بعد دخوله القيروان بإخراج الجند و أهل القيراون إلى مدينة طبنة[3] ، ولم يقتصر تواجدهم على خدمة الجيش فقط بل شغل الجهاز الإداري كثيرا من أبناء خراسان سواء في الدواوين أو على رأس الشرطة[4]، كما أنهم بعد نجاح الثورة العباسية كانوا يعرفون بالجند الخلافي، أو جند أمير المؤمنين[5].

5- العبيد :

شكل العبيد ظاهرة انتشرت عبر كامل العالم القديم، ولم يستثنى منهم أي شعب ، وتغيب الإشارات عن تواجد العبيد بإقليم الزاب لكن ذكرهم لم يغب عند الحديث عن استعمالهم من طرف الدول الثلاث التي

[1]- حسن حسين عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، ج02، مكتبة دار المنار، ط02، تونس، 1972، ص 132- 133.

[2]- اليعقوبي، المصدر السابق ، ص 190-191.

[3]- ابن عذاري ، لمصدر السابق ، ج 01 ، ص 77.

[4]- أبو العرب ، المصدر السابق، ص 174.

[5]- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، المصدر السابق، ج 01، ص 348- 350.

حكمت و كانت بقرب إقليم الزاب [1].

فكلما اتسعت حياة الناس زادت حاجتهم لاستعمال الخدم ، فقد تجاوز عملهم من خدمة البيوت و الضياع إلى الانخراط بالجيش ، حيث تجلى هذا الأمر عند الفاطميين باتخاذ عبيد الله اثني عشر ألف مملوك بين رومي و حبشي [2] ، كما تم إشراكهم في الحروب كحرب أبي يزيد ومنحوا القيادة مع كبار وجوه كتامة مثل جوهر الصقلي[3] .

ومما سبق يتبين أن إقليم الزاب عبارة عن فسيفساء من السكان ، فإلى جانب البربر المحليين وجدت فئات وافدة مثل العرب ، و الروم و العجم و الأفارقة و اليهود و النصارى ، هذا ما نبرزه من خلال الأعمدة البيانية:

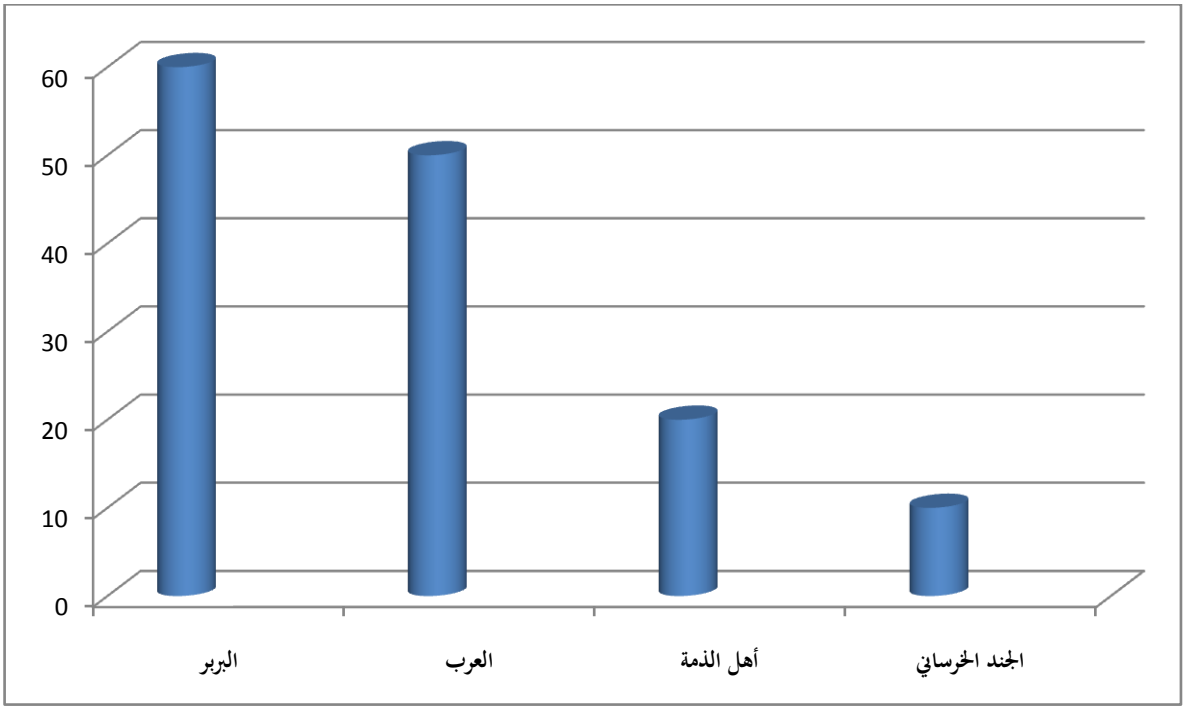

الشكل رقم(03):أعمدة بيانية تمثل التركيبة السكانية لإقليم الزاب

[1] – صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 109.

[2] – نفس المرجع ، ص 109 .

[3] – القاضي النعمان ، المجالس و المسايرات ، تحقيق: الحبيب الفقي ، إبراهيم شبّوح و مُحَّد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص 246.

المبحث الثاني : المذاهب الدينية بإقليم الزاب بعد الفتح الإسلامي

كان من الطبيعي أن يدين أهل الزاب بعد الفتح الإسلامي بما وصل إليهم من تعاليم الإسلام التي أخذوها من الفاتحين الأوائل ، كما كان من الطبيعي أن تكون تلك التعاليم غير مصبوغة بالطابع المذهبي ، و إنما مرتبطة مباشرة بنصوص القرآن و السنة و المأثور عن الصحابة و التابعين .

وبعد انتشار الإسلام و استقرار الأمور في بلاد المغرب حافظ البربر على بعض العادات القديمة التي ورثت قبل الإسلام كشرب الخمر و بيع النساء [1] وهذا راجع لعدم فهم تعاليم الدين الحنيف ، هذا ما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز يوفد عشرة من الفقهاء إلى بلاد المغرب لتعليم الناس أمور دينهم ، من بينهم إسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ، لكن مع نهاية فترة خلافة عمر بن عبد العزيز تعرض أهل المنطقة لسوء المعاملة من ولاة الدولة الأموية هذا السبب كان دافعا لاندلاع ثورات ضد سلطة الولاة ببلاد المغرب خاصة بعد انتشار النحل و المذاهب الخارجية في المنطقة كما سلف سابقا [2].

1 – المذهب الصفري :

أول ما دخل المذهب الصفري بلاد المغرب كان على يد عكرمة مولى ابن عباس [3] ، وكان لحماس الدعاة دور في كسب قلوب البربر و استغلال حالة الغليان من تصرفات عمال بني أمية ، فانتشر المذهب على يد رجال أمثال ميسرة المدغري وعبد الأعلى بن جريح ، و أصبح للمذهب أنصار و مؤيدون من البربر المسلمين ومن غير البربر من الموالي الذين حرصوا على تنفيذها لا بالاقتناع بها فقط ، و إنما التجئوا في آخر الأمر إلى الثورة و

[1] – البلاذري ، المصدر السابق ، ص 227.

[2] – تم التفصيل في انتشار المذاهب الخارجية و ثوراتهم بإقليم الزاب في الفصل الثاني .

[3] – هو أبو عبد الله ، مات ابن عباس وهو عبد فاعتقه ابنه علي و كان مقدما في العلم بالفقه و القرآن وفي الرواية للآثار ، وكان ينكر عليه انتحاله لنزعة الخوارج الصفرية و نسبتها إلى عبد الله بن عباس ، مات عام105 هـ وهو ابن الثمانين عاما وتزامن وفاته وفاة شاعر الغزل كثير عزة فقال الناس : مات اليوم أفقه الناس و أشعر الناس ، أنظر : موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 153.

العصيان ضد بني أمية في منطقة طنجة و المغرب الأقصى ثم امتدت إلى المغرب الأوسط و الأدنى [1] .

لقد ساهمت البيئة الجبلية و المناطق الحصينة حول إقليم الزاب مثل جبل الأوراس في استقطاب دعاة المذهب و المتعاطفين معه ومنه خاضوا حروبهم و قاموا بثوراتهم ، واستطاع الدعاة استقطاب سكان البوادي و الجبال فاستطاعوا تجنيدهم برفع شعارات مغرية تدعوا إلى المساواة و العدالة و التوزيع العادل للثورة و العودة إلى الإسلام كما نزل [2] ، ومن القبائل المقيمة حول إقليم الزاب و التي ساندت و قادت الدعوة الصفرية "قبيلة ورفجومة النفزاوية " التي كانت بالجهة الشرقية لجبل الأوراس[3] ، التي كانت أول من رفع لواء المقاومة و الثورة استغلالا لأوضاع أهل البلاد ، فتطلع الصفرية لاحتلال القيروان و بدأت ثورتها من الزاب مع شخصية عكاشة بن أيوب الفزاري بعد تحالفه مع عبد الواحد بن يزيد الهواري ، لكن هذه الحملة منيت بالفشل بعد معركتي القرن و الأصنام [4] ، ليخفت عمل الصفرية إلى غاية عام 128هـ/ 746م فبعد الاقتتال بين الأسرة الفهرية فر أحد أبنائها و هو عبد الوارث بن حبيب و من معه إلى قبيلة ورفجومة فنزلوا على أميرهم عاصم بن جميل " الذي كان كاهنا يدّعي النبوة فأجاره ، ثم نهض إليهم حبيب فأوقعوا به و هزموه ، واستفحل أمر عاصم و شايعه على شأنه من رجالات نفزاوة عبد الملك أبي الجعد الورفجومي و يزيد بن سكوم الولهاصي ، و انضمت إليه سائر نفزاوة ، و اشتدت شوكتهم "[5] .

فقام أهل القيروان من العرب بدعوى عاصم للقدوم إليهم بعد الفوضى التي حلت بالمدينة بعد فرار واليها إلى قابس ، فدخلت ورفجومة القيروان عام 133هـ/750-751م " واستحلوا المحارم وارتكبوا العظائم "

[1] – موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 158.

[2] – موسى رحماني ، المرجع السابق ، ص 95.

[3] – عبد الحميد حاجيات ، التطور المذهبي في الأوراس في العصر الوسيط ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، العدد 60-61، 1978 ، ص 45.

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 59.

[5] – السلاوي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 178.

[1] وقتلوا بها من قريش و سائر العرب وارتكبوا أشنع الأعمال و أقبحها و ربطوا دوابهم بالمسجد الجامع وندم الذين أعانوهم شر الندم [2] ، وكان تغلبهم على القيروان نحو سنة و شهرين [3] .

بعدها سار عاصم إلى قابس لقتال حبيب بن عبد الرحمن الفهري ، هذا الأخير فر إلى الأوراس عند أخوال أبيه طلبا للنصرة ، فلحقهم عاصم ، لكنه قتل هو وأكثر أصحابه [4] ، لتغيب أخبار الصفرية بالزاب وأعمال قبيلة ورفجومة من المصادر التاريخية إلى غاية عام 141 هـ / 759م ، حيث يورد الرقيق نصا عن إخراج ورفجومة من القيروان من طرف إباضية جبل نفوسة قال فيه : " أن رجلا من الإباضية دخل القيروان ، فرأى ناسا من الورفجوميين قد أخذوا امرأة وكابروها على نفسها وهو ينظر و الناس ينظرون ، فترك حاجته التي أتى فيها وخرج حتى أتى أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فأعلمه الذي رأى ، فخرج وهو يقول اللهم لبيك ..." [5] ، ثم سار إلى حرب ورفجومة يريد القيروان حي التقى معهم و قاتلهم قاتلهم " ثم هزمهم و تبعهم يقتلهم ، ثم انصرف إلى القيروان ، فولى عليها عبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت بعد ذلك " [6] .

وفي محاولة من الوالي عمر بن حفص لتقريب قبيلة ورفجومة من أعين عماله ، قام بإسكان هذه القبيلة بمدينة طبنة عام 151 هـ/767م بعد إعادة ترميم و تحصين المدينة[7] ، لكن أمر الصفرية بإقليم الزاب لم ينتهي عند ورفجومة ، حيث تبنى بنو يفرن المذهب الصفري في غرب الأوراس ، وأسهموا في حصار مدينة طبنة و الوالي عمر بن حفص عام 153هـ/770م في جيش قوامه أربعين ألفا يقودهم أبو قرة اليفرني [8] ، واشتد الحصار على مدينة طبنة باتحاد جيوش الخوارج عليها لولا أن الوالي عمر بن حفص لجأ إلى الحيلة و

---

[1]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 103.
[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 135.
[3]- النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص 39.
[4]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 103 .
[5]- نفس المصدر ، ص 103 ، 104 .
[6]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، 71.
[7]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 151 .
[8]- النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 43.

المكيدة عندما بذل المال بسخاء لزعماء بني يفرن الذين كانوا أكثر جمعا و أصلب شوكة ، فارتحل بنو يفرن عن طبنة [1] .

لكن بعد مقتل عمر بن حفص عام 154هـ/771م هزت إفريقية فتنة أخرى أغرت نفزاوة المقيمة حول الزاب و جبل الأوراس على الثورة ضد الوالي الجديد يزيد بن حاتم ، فأرسل جيشا لقمع الثورة و إخمادها عام 157هـ/774م [2] ، وانتهى أمر قبيلة ورفجومة و توزع أهلها بين القبائل ، ثم تنكرت قبيلة نفزاوة للصفرية و دعت للإباضية [3] ، ومما لا شك فيه أن تحول قبيلة نفزاوة إلى المذهب الإباضي يكون الدافع ورائه تلك الممارسات المنافية لتعاليم الإسلام التي ارتكبتها قبيلة ورفجومة عند دخولها للقيروان و أفسدت أشد الإفساد ، فتضائل حجم التأييد الشعبي للمذهب الصفري المتطرف ودفع أكثرية أتباعه إلى التحول إلى المذهب الإباضي[4] وربما أن قبيلة ورفجومة كان إسلامها سطحيا يومئذ ، فهم لم يراعوا للدماء و الأموال و و الأنفس و الأعراض حرمة ، و لا لبيوت الله قداسة ، بل أطلقوا العنان لشهواتهم ونزواتهم دون رقيب و لا حسيب يدفعهم ذلك كرههم إلى العرب بسبب التعاليم التي اعتنقوها من دعاة الصفرية [5]، وليس من المستبعد أن يكون إسلام ورفجومة قد بقيت به بعض الرواسب من المعتقدات القديمة خاصة أن زعيمها كان كاهنا متنبئا [6] .

يقول الأستاذ حسين مؤنس معبرا عن نهاية قبيلة ورفجومة : " كانت سيادة هذه القبيلة شرا خالصا على إفريقية و أهلها، لأن كراهيتهم للعرب بلغت مبلغا جعلتهم يستبيحون كل محرم ، وكانت دعوة

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 132 .
[2]- موسى رحماني ، المرجع السابق ، ص 98.
[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج06 ، ص 151.
[4]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 50.
[5]- موسى رحماني ، المرجع السابق ، ص 99 .
[6]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 48.

الصفرية قد أتتهم ولم يتمكن الإسلام من نفوسهم بعد فأضلتهم و أخرجتهم من الإسلام جملة "[1].

2 – المذهب الإباضي :

تورد المصادر الإباضية أن أول من دخل بلاد المغرب يدعو للإباضية هو سلمة بن سعد[2] ، وقد نجحت جهود الداعية في انتشار هذا المذهب وتوجيه طلبة أو حملة لعلم المغاربة نحو البصرة للتفقه و التعمق في تعاليم المذهب أكثر ، وانتشرت أتباع المذهب الإباضي عبر ربوع بلاد المغرب و نشهد حضورا لهم في إقليم الزاب أيام الثورات ضد ولاة الدولة الأموية ، وكان حصار مدينة طبنة من طرف الفرق المتحالفة على رأسها الإباضية متمثلة في شخصيات عاصم السدراتي ، المسور الزناتي ، أبو حاتم الإباضي و عبد الرحمن بن رستم ، لكن هذا التحالف لا يثبت لنا انتشار الجماعات الإباضية في الزاب .

و أول ظهور لطوبونيم الجماعات الإباضية في إقليم الزاب كان مابين بسكرة و طولقة ، حيث ظهرت مدينة مليلي و عرفت في العصر الوسيط كذلك باسم مليلة التي هي فرع من هوارة ، ويمكن أن يكون ذلك شاهدا على بداية انتشار الجماعات الإباضية بإقليم الزاب [3] ، و أول صورة حول وضعية الإباضية بإقليم الزاب تظهر مع الجغرافي اليعقوبي (ت 284هـ/897م) الذي زار بلاد المغرب منتصف القرن الثالث

---

[1]– حسين مؤنس ، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711–756م) ، الدار السعودية ، ط 02 ، جدة ، 1985 ، ص 184.

[2]– هو سلمة بن سعد الحضرمي اليمني ، كان حيا عام 135 هـ ، صنفه الدرجيني في طبقة تابعي التابعين. أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد وعن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعن ضمام بن السائب وغيرهم، هو أول من جاء من البصرة بمذهب الإباضية، ليدعو إليه في بلاد المغرب الإسلامي ، كان يقول مع نفسه قبل ذلك :"وددت أن لو ظهر الأمر من أول النهار إلى آخره فلا أبالي إن مت بعد ذلك" ، أنظر ، أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ،ج01، حققه : إبراهيم طلاي، مطبعة البعث ، قسنطينة 1974، ص 10.

[3]– علاوة عمارة ، بين الأوراس و الواحات : ظهور و وانتشار و اختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق02–03هـ/08–09م)، تر: أ–عبد القادر لمباركية ، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات ، الوادي ، العدد09 ، ص 252.

هجري ، وظهر مصطلح ديني جديد أسماه " بالشراة"[1] ويسميهم بدقة بالإباضية ، حيث يصف مدينة هاز التي تقع غرب المسيلة : " ثم إلى قوم يقال لهم بني دمر من زناتة في بلد واسع وهم شراة كلهم عليهم رئيس منهم يقال له مصادف بن جرتيل ..." [2] ، إن الحضور الإباضي في الزاب يطبعه حضور ملحوظ من قبل هوارة وبني زنداج و بني برزال الذي حدد اليعقوبي مناطق انتشارهم في جبل الأوراس و نواحيه الغربية [3] ، ثم انتشرت الإباضية شمال جبل الأوراس في نص أورده القاضي النعمان على أن" بني عفنيت فرع من كتامة هم إباضية من القدم " [4] ، وكانت أغلبية زناتة المنتشرة في إقليم الزاب إباضية المذهب تحت حكم قائدهم مُحَمَّد بن خزر الذي حاول الخليفة الفاطمي المهدي القضاء على حركته ونجح في إبعاد حركته من الزاب و جبل الأوراس إلى الصحراء [5] ، ثم سار في حملة قادها شخصيا لتهدئة بني برزال و التجمعات الإباضية بالزاب الغربي ، ولضمان هدوء قبائل مزاتة وهوارة و صدينة وعجيسة الإباضية قام برهن أعيانها وثبتهم بالمهدية[6] ، وفي لقسم الغربي من الأوراس من باب الانتقام قام بمعاقبة إباضية بني كملان و مزاتة وكيانة بتحطيم حصنهم قلعة عقار [7] ، ونظرا لصعوبة مراقبة هذا المجال قرر الخليفة القائم بناء مدينة المحمدية (المسيلة) على إقليم بني برزال وبني كملان الإباضيين و بهدف إعاقة تقدم زناتة [8] هذه الحملة كانت لها نتيجة بنفي زناتة الإباضية نحو الواحات ، لكن بعد أربع سنوات تقريبا سنة 317هـ/929م تمكن القائد مُحَمَّد بن خزر الزناتي وبدعم من أموي قرطبة من السيطرة على جزء واسع من إقليم الزاب لعدة

---

[1] – **االشراة** ، تستعملها النصوص للإشارة إلى الخوارج ، وهي أحد المراحل السياسية التي عرفها الإباضية و هي الشراء وتعني التضحية (بيع النفس) التي لابد أن يتحلى بها أنصار الحركة للدفاع عن المؤمنين ضد الحكم الظالم ، أنظر ، الدرجيني ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 364.

[2] – اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 191 .

[3] – علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 254.

[4] – القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، المصدر السابق ، ص 111.

[5] – بكر ابن حماد ، المصدر السابق ، ص 23.

[6] – علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 256.

[7] – الداعي إدريس ، المصدر السابق ، ص 51،52.

[8] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 190.

أشهر [1] لكن هذه الجماعات تعرضت لهزائم متعددة من طرف الجيش الفاطمي حول بسكرة ، فتسببت هذه الهزيمة في نزوح زناتة نحو المغرب الأوسط و عبور مجموعات أخرى إلى الأندلس[2] .

- **انتشار المذهب الإباضي النكاري بإقليم الزاب :**

أول ما ظهرت الإباضية النكارية في إقليم الزاب كان مع ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (332-336هـ/943- 947 م) ، حيث بعد تحريره في أول معركة تم استقباله من طرف قبيلة بني كملان الفرع الأقوى من هوارة وهذا يدل على انتشار المذهب غرب الأوراس في الجهة المطلة على مدينة طبنة ، و كانت القبائل الإباضية المشاركة في ثورته تمتد من ناحية تبسة إلى غرب المسيلة [3] متمثلة في هوارة حول باغاي ، لواتة و مزاتة حول بسكرة ، ومكناسة في شرق بسكرة ، و في الزاب الغربي مستاوة و بني كملان و وهوارة ،وبين المسيلة ومدينة الغدير سكنت

بنو برزال و عجيسة بجبل سالات [4] وفي سهل الزاب الغربي تنتجع قبائل زناتة التي لم يعرف مذهبها بالتحديد[5]

إن إباضية الزاب الغربي من زناتة ليست من النكار ، بل كان قائدها مُحَمَّد بن خزر المغراوي الذي قاتل الفاطميين و استمر ابنه في مقاتلة الخليفة الفاطمي المنصور في واحات بنطيوس أين تقيم قبيلة سدراتة التي تعرضت إلى مذابح من قبل الخليفة المنصور ندما تقدم في متابعة أبي يزيد [6] و على إثر هزيمة أبي يزيد

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق ، ج01 ، ص 194 .
[2]- علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 256.
[3]- نفس المرجع ، ص 257.
[4]- الداعي إدريس ، المصدر السابق ، ص 207،208.
[5]- نفس المصدر ، ص 80 .
[6]- بكر ابن حماد ، المصدر السابق ، ص 41.

كانت هذه النتيجة مميتة بالنسبة للتجمعات الإباضية حول الزاب التي تعرضت لحملات عقابية فاطمية شردتها بين النواحي [1] .

وبعد انتقال الفاطميين إلى مصر وتأسيس الدولتين الحمادية و الزيرية ، تراجع المذهب الإباضي و انتشر المذهب المالكي بعد حدوث القطيعة المذهبية من طرف الدولتين ، إضافة إلى أن الدولة الحمادية تعتبر أول دولة تتأسس في إقليم الزاب و ظهرت معها مجموعة مدن مثل القلعة ، فوجدت الجماعات الإباضية نفسها في مواجهة وضعية جديدة خاصة السياستين الاقتصادية و الاجتماعية ، و طاردت الحملات الحمادية و الزيرية بقايا الإباضية بالزاب و الجريد ، حيث قضى الحماديون على الإباضية ببغاي ثم قبيلة مزاتة في مدينة تامرينت [2] و أتبع ذلك دخول قبائل بني هلال العربية التي ذابت فيها كل العناصر السابقة مع بطون بني هلال مثل زغبة و رياح وبني مزني .

3 – المذهب الشيعي :

كان التغلغل الشيعي ببلاد المغرب منذ زمن مبكر قبل قدوم الداعي الشيعي ، حيث أن القائم بالدعوة الشيعية باليمن قال للصنعاني : " إن أرض كتامة موطأة ممهدة لك "[3]فقدم إلى المغرب في " سنة خمس وأربعين ومائة رجلان من المشرق، قيل إنّ أبا عبد الله جعفر بن مُحَمَّد (ص) (يقصد الإمام جعفر الصادق) بعث بهما وأمرهما أنّ يبسطا ظاهر علم الأئمّة من آل مُحَمَّد، صلوات الله عليهم، وينشرا فضلهم. وأمرهما أنّ يتجاوزا إفريقية على حدود البربر، ثم أنّ يفترقا فينزل كلّ واحد منهما ناحية. فلمّا صارا إلى مرماجنّة ، نزل أحدهما وكان يعرف بأبي سفيان، بها موضع يقال له تالا ، فابتنى مسجدا وتزوج امرأة واشترى أمة وعبدا ، وكان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما قد اشتهر به ذكره. وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت، صلوات الله عليهم، منه، ويأخذونها عنه. فمن قبله تشيّع من تشيّع من أهل

---

[1] – علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 258 .

[2] – الدرجيني ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 413.

[3] – تقي الدين المقريزي ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخِطط ، ج01 ،وضع حواشيه : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، لبنان ، 1998 ، ص 20.

مرماجنّة، وهي دار شيعة، وهو كان سبب تشيّعهم ، وأمّا الثاني فكان يعرف بالحلواني، وأنّه تقدّم حتى وصل إلى سوجمار فنزل موضعا منه يقال له الناظور (قرب بجاية)، فبنى مسجدا وتزوج امرأة واشترى عبدا وأمة. وكان في العبادة والفضل والعلم علما في موضعه، وتشيّع كثير من النّاس على يديه من كتامة ونفزة وسماتة ، وكان يقول لهم: "بعثت أنا وأبو سفيان فقيل لنا: اذهبا إلى المغرب فإنما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها واكرباها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلّلة فيبذر حبّه فيها "[1] ، فكان بين دخولهما المغرب ودخول صاحب البذر – وهو أبو عبد الله – مائة وخمس وثلاثون سنة" [2] .

ولكن طول المدة التي كانت بين قدوم الصنعاني و أبي سفيان و أبي عبد الله الداعي توحي بأمرين : الأول تركيز الإسماعيليين على المشرق و الثاني قد يكون عدم ثقتهم الكاملة بنجاح الأمر لما خبروه من أهل البلاد [3] ، إضافة إلى انتشار المذاهب بالبلاد مثل الصفرية و الإباضية و المالكية وتقريبا كلها مذاهب معتدلة على عكس المذهب الشيعي الإسماعيلي المغالي .

ورغم ذلك فربما عمل سنوات أتى بأكله ، حيث كان رجل يتنقل بين نفطة و مرماجنة و باغاية بغرض التجارة [4]، يمكن أن يكون هنالك تناقل أخبار أبو سفيان و الحلواني و ما يدعوان إليه ، وهو ما ظهر بشكل جلي عند التقاء وفد كتامة بأبي عبد الله بمكة ، حيث لاقى منهم الحفاوة و الإقبال الكبيرين و التمسك بصحبته [5] وكان من بينهم من تشيع على يد الحلواني [6] .

لكن القاضي النعمان يصور أن أهل كتامة كانوا يتبعون أبي عبد الله و يسيرون خلف الدعوة الإسماعيلية من غير هدى [7] ، كما أن طبيعة الأسئلة التي كان يطرحها أبو عبد الله عليهم أثناء الرحلة عن عددهم و

---

[1]– القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 54، 57.

[2]– نفس المصدر ، ص 58 .

[3]– صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 55.

[4]– القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 58.

[5]– المقريزي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 20 .

[6]– القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 63 .

[7]– نفس المصدر ، ص 58 .

عدتهم وعن علاقتهم بالإمارة الأغلبية ومناطق انتشارهم ... [1] ، لا يمكن أن تمر بشكل عابر هكذا ، بل أن زعماء كتامة كانوا يعلمون بما هو آت و أن الالتفاف حول الداعي والمبالغة في مدحه و حثهم على المسير معهم ليس افتتانا بعلمه و دينه بل لحاجتهم إلى دعوة يلتفون حولها لمجابهة قوة الزناتيين [2] ، و بالتالي فإن كلى الجانبين كان بحاجة للآخر لتحقيق هدف يسعى ورائه يمر عبر كسر شوكة زناتة [3] ، فقد احتاج الإسماعيليون إلى عصبية في حين بحث الكتاميون عن دعوة لإقامة ملكهم [4] .

وكان نزول أبي عبد الله في بلاد كتامة بإيكجان عند بني سكتان ، سنة 280هـ/893م ، وهناك أقبل الناس عليه وأعجبوا بتقواه وعلمه، فعرّفوه بالصنعاني وشهروه بالمشرقي، وسمّاهم إخوانا وجاهرهم بمذهبه قائلا: "أنا صاحب البذر الذي ذكر لكم أبو سفيان والحلواني"، فظلّ الكتاميون على إعجابهم به، بينما اتّهمه بعض الناس وجاءوه بالعلماء لمناظرته بنيّة تكفيره واستباحة دمه ، لكنّ الكتاميين حموه من موسى بن عبّاس صاحب ميلة وخاف من أن يعزله أمير إفريقية إبراهيم بن أحمد بن الأغلب المعروف بإبراهيم الثاني289 - 237) هـ/852هـ - 902م) فتحالف مع رؤساء القبائل على الكيد للدّاعي [5].

وتعدّدت المكائد دون النيل منه فخرج في جيش من كتامة ولهيصة يريد القيروان التي انشغل عنها إبراهيم الثاني بصقليّة سنة 289هـ/902م فمات فيها تاركا القيروان لابنه زيادة الله الثالث، وتواصلت غزوات أبي عبد الله للدّاعي رغم مواجهات أبي الأحول مُحَمَّد بن عبد الله بن إبراهيم قائد الجيش الأغلبي (ت 290هـ/903م) في ناحية تونس، وخلفه مدلج بن زكرياء (ت 293هـ/906م) في ناحية الأربس، وعاملها أبي المقارع حسن بن أحمد بن نافذ وصاحبيه شبيب بن أبي شدّاد القمودي وخفاجة العبسي، وهارون بن الطبني في باغاية [6]، ولم تنفع الأموال التي فرّقها زيادة الله الأغلبي بالصحاف لإغراء

---

[1] - نفس المصدر ، ص 64 ، 66

[2] - سنوسي يوسف ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 157.

[3] - عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ، ص 195 .

[4] - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 167 .

[5] - القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص 98.

[6] - موسى لقبال ، دور كتامة ، المرجع السابق ، ص 245.

الناس على التصدّي للدّاعي، فخرج بنفسه إلى الأربس أوّل سنة 295هـ/908م، لكنّه سرعان ما تراجع إلى رقادة في أهل بيته مقدّما إبراهيم بن أبي الأغلب عليه في قيادة الجيش ، وسقطت رقادة و الدولة الأغلبية ودخل المهدي القيروان في 20 ربيع الآخر عام 297 هـ /910م واستتب الأمر له وسيطر على بلاد المغرب [1] .

إن ما تعرض له أهل الزاب من تقتيل من الخلفاء الفاطميين كما ذكرنا سابقا تعدى المحدود ، خاصة أيام ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، حيث حاول الفاطميون بث المذهب الشيعي بالقوة و أثقلوا كواهل السكان بالضرائب و الإتاوات فكانت ثورة الإباضية الكبرى التي جمعت مختلف أطياف الإباضية من نكار و وهبية وخلفية و نفاثية ، وهي الثورة الوحيدة التي هددت و أوشكت على اقتلاعها من جذورها [2] بل سار أبو يزيد في الزاب محاولا استنفار أتباع كافة المذاهب و الفرق الناقمة على الشيعة و أعلن أنه خرج غضبا لله كما صرح بعد اعتقاله [3] حتى أن المالكية ساندوه في الثورة فقد لاحت فرصة الانتقام من الفاطميين [4] ، كما كانت الثورة فرصة لعودة المذهب المالكي وانتعاشه ليخلف المذهب الشيعي [5] .

كما أدرك العبيديون أيضا أن بلاد المغرب لم تصبح دار قرار مما جعلهم يعجلون في الرحيل إلى مصر في عهد المعز لدين الله تاركين و رائهم صنهاجة كقوة نامية تخلفهم في حكم بلاد المغرب بعدما أفل نجم زناتة الذي أصابها من جزاء الحروب التي شاركت فيها منذ الفتح الإسلامي إلى حروب الخوارج إلى الصراع مع كتامة و الفاطميين.

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 163،164.

[2] – محود اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 176 .

[3] – ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 235.

[4] – موسى لقبال ، الحلف بين أهل السنة و النكارية في القرن 04هـ/10م و أثره في تطور أوضاع مدن إفريقية و الزاب ، الحضنة و الأوراس ، المرجع السابق، ص 57.

[5] – مسعود مزهودي ، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/909-1058م) ، المطبعة العربية ، غرداية ، 1996 ، ص 102.

4 – المذاهب السنية :

خلال منتصف القرن الثاني الهجري انتشرت المذاهب السنية المالكية و الحنفية ببلاد المغرب و الزاب نظير جهود المغاربة العائدين من المشرق بهذه المذاهب .

- **المذهب الحنفي :**

يعرف المذهبُ الحنفي بمذهبَ أهل الرأي وهو أقدم المذاهب الأربعة، وصاحبه هو الإمام أبو حنيفة النعمان[1]، وتتمثل أهمية هذا المذهب في أنه ليس مجرد أقوال الإمام أبي حنيفة وحده، ولكنه أقواله وأقوال أصحابه، التي كونت مدرسة الحنفية، ويعتبر مذهب الحنفية من المذاهب التي كان لها فضل كبير على الفقه الإسلامي، من خلال تحرير مسائله، وترتيبها في أبواب ، حيث يعد الإمام أبو حنيفة أول من دون علم الشريعة ورتبه أبوابًا، ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب الموطأ، ولم يسبق أبا حنيفة في ذلك أحد، لأن الصحابة والتابعين لم يضعوا في علم الشريعة أبوابًا مبوبة، ولا كتبًا مرتبة، وإنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم، فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشرًا، خاف عليه الخلف السوء أن يضيعوه، فدونه وجعله أبوابا مبوبة، وكتبًا مرتبة، فبدأ بالطهارة ثم بالصلاة، ثم بسائر العبادات، ثم المعاملات، ثم ختم الكتاب بالمواريث " وهو الأمر الذي اعتمده الفقهاء من بعده.

[1]– ولد الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، في الكوفة عام 80 هجرية وتوفي ببغداد عام 150هجري ، نشأ أبو حنيفة بالكوفة وتربى فيها، وعاش أكثر حياته فيها، انضم الى حلقات العلم في سن مبكر، وكانت حلقات العلم في ذلك العصر ثلاثة أنواع: حلقات للمذاكرة في أصول العقائد، وهذا ما كان يخوض فيه أهل الفرق المختلفة، وحلقات لمذاكرة الأحاديث النبوية وروايتها، وحلقات لاستنباط الفقه من الكتاب والسنة، وقد ذكرت المصادر عدة روايات عن الإمام أبي حنيفة تدل على أنه عندما تفرغ لطلب العلم اتجه إلى الفقه بعد أن استعرض العلوم المعروفة في ذلك العصر، واختار أولاً علم الكلام والجدل مع الفرق، ثم انصرف عنه إلى الفقه ثم حفظ القرآن على قراءة عاصم، وعرف قدراً من الحديث، وقدراً من النحو والأدب والشعر، وجادل الفرق المختلفة في مسائل الاعتقاد وما يتصل به، وكان يرحل لهذه المناقشة إلى البصرة، وكان يمكث بها أحياناً سنةً لذلك الجدل، تعرض لمحنة مع الخليفة أبو جعفر المنصور ، أنظر : **مُحَمَّد أبو زهرة** ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دت ،ص329 ،335.

انتشر مذهب الإمام أبي حنيفة في إقليم الزاب ، حيث يذكر البكري أن مدينة تهوذة يقيم مجموعة تنتسب للقرشيين على مذهب أهل العراق [1].

- **المذهب المالكي :**

انتشر المذهب المالكي في بلاد المغرب نهاية القرن الثاني و بداية القرن الثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلادي) ، و يعود الفضل في انتشاره إلى جهود حملة العلم المغاربة الذين حملوا العلم من موطنه الأساسي من الإمام مالك و من تلامذته بالمدينة المنورة ، أما عن أسباب انتشاره في بلاد المغرب ، فيورد ابن خلدون نصا عن ذلك :

" وأما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه أهل المغرب (شمال إفريقيا) والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، بما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار علم ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة وشيخهم وإمامهم مالك وشيوخه من قبله، ولتلاميذه من بعده فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته ... وأيضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون (لم تكن لهم) الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة (تشابه الطباع البدوية بين أهل الحجاز و سكان المغرب من أمازيغ وعرب) ، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يأخذه تفسخ الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار مذهب الإمام مالك علما مخصوصا عند أهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذاهب إمامهم، وصار ذلك كله يحتاج إلى ملكة راسخة يقتد ربها على ذلك النوع من التنظير أو التفرقة وإتباع مذهب إمامهم فيهما ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه، لهذا العهد وأهل المغرب جميعا مقلدون لمالك رحمه الله" [2].

[1]- البكري ، لمصدر السابق ، ج02 ، ص 241.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السباق ، ج02 ، ص 190 ، 191 .

لقد انتشر المذهب المالكي بإقليم الزاب و الدليل على ذلك علماء المذهب من أهل المنطقة من طبنة و بسكرة و ملشون الذين حموا المذهب المالكي أيام المد الشيعي الفاطمي على بلاد المغرب ،

و هذا ما سنفصل فيه في الفصل المخصص بعلماء الزاب[1] ، وكان أهل بسكرة على مذهب أهل المدينة أي المذهب المالكي [2] ، وبعد القطيعة المذهبية بين الدولتين الزيرية و الحمادية مع الفاطميين أصبح المذهب المالكي هو مذهب أهل المغرب و أسهمت القبائل الهلالية في نشر هذا المذهب بين كل القبائل التي ذابت فيها.

[1]- أسامة الطيب جعيل ، معجم أعلام طبنة في العصر الوسيط دراسة تاريخية ، دارالأوطان للنشر و الطباعة و التوزيع ، سيدي موسى ، الجزائر ، 2018 ، ص 25 .

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 233 .

المبحث الثالث : أنماط المعيشة

1-المأكل و المشرب :

يعد الطعام و الشراب أهم الضروريات الأساسية في حياة الإنسان باعتبار أن هذين العنصرين مهمين في حياة الأفراد مما جعل سكان الزاب يبحثون عن تأمين ضروريات الحياة [1].

بالرغم من عدم توفر مصادر و مراجع خاصة تتحدث عن طبيعة المأكل و المشرب الخاص بسكان الزاب إضافة إلى اختلافها في فترات الشدة و الرخاء ، فسنحاول إبراز أهم الملامح العامة من خلال استقراء المصادر التاريخية و الجغرافية البلدانية .

إن أكبر غلاة إقليم الزاب النباتية تمثلت في الحبوب و الخضر و الفواكه ، حيث كانت جميع الحبوب غزيرة في مدينة طبنة [2] ، ومن غلات مدينة المسيلة الحنطة و الشعير [3] ، أما مدينة مقرة فتتوفر على مزارع و حبوب [4] ، ومدينة باغاي أكثر غلاتهم الحنطة و الشعير[5] ، وكان أهل بادس يزرعون الشعير مرتين في العام[6] ، هذه الإشارات المصدرية تدل على أن مستوى المعيشة كان جيدا في بعض المدن [7] .

---

[1]- نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، بلاد الزاب بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط – دراسة اجتماعية – ، رسالة مكملة لنيل شهادة ماستر 02 تخصص تاريخ المجتمع في العصر الوسيط ، جامعة سطيف 02 ، 2017-2018 ، ص 50 .

[2]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 ، مجهول ، المصدر السابق ، ص 172 ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 263.

[3]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

[4]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 263 .

[5]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 84.

[6]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 75.

[7]- عميروش مهير ، مجتمع المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلة و الجغرافيا من القرن السابع إلى القرن العاشر هجري (13-16 م) ، رسالة مكملة لنيل شهادة ماستر 02 تخصص تاريخ المجتمع في العصر الوسيط ، جامعة سطيف 02 ، 2014-2015 ، ص 49.

أما طعام أهل الزاب فمما ينتجون من المحاصيل الزراعية وما يكسبون من الحيوانات، فشاع خبز الحنطة و الشعير الذي كانت تنتجه طبنة بكميات كبيرة [1]، ويصف الإدريسي المسيلة فيقول أنها :" عامرة في بسيط من الأرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه و لأهلها سوائم خيل و أغنام و أبقار و جنات وعيون و فواكه و بقول و لحوم ومزارع قطن و قمح و شعير" [2]، كما اشتهرت بساتين باغاي و نقاوس بأشجار الزيتون، كل هذه المنتجات تدخل في إعداد الترید و الدشيش و العصيدة و البسيس و الإسفنج [3]، وكلها من نتاج الأرضية التي تستعمل في تحويل المنتجات و طحنها.[4]

و استعمل أهل الزاب اشتقاقات صناعة الزيتون كغذاء لهم وتعددت استخداماته فقاموا بتصبير حبه و اتخذوه طعاما لهم يؤكل بالخبز و يدخل زيته في تحضير الطعام [5]، وما توافر من ألبان الحيوانات و لحومها من المواشي و الأبقار و الإبل واستعماله في إعداد القديد[6] كنوع من الادخار و الاقتصاد، مقابل تجفيف الفواكه، وتخزين الحبوب و البقول و العسل في المطامر[7].

إن المصادر لم تعطنا إشارات عن طريقة تحضير الطعام ، لكن و لكون الإقليم غني بالمنتجات الزراعية كالحبوب و الحنطة ، و الحيوانية كاللحوم ، مع توفر الأرحية الخاصة بتحويل هذه المنتجات إلى مواد لتحضير أطعمة

شاع تناولها في كامل بلاد المغرب من بينها :

---

[1]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

[2]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 254.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع هجري (9-10 م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 ، ص 223، 224. .

[4]-البكري ، المغرب ... ، المصدر السابق ، ص 70 ، أنظر أيضا : الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 253.

[5]- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 46 ، 47.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص 68.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ج01 ،ص 260.

الخبز [1] والكسكس [2] والثريد [3] و البسيس [4] و العصيدة [5] و الإسفنج [6] .

وغالبا ما كانت هذه الأكلات و الأطباق تحتوي على اللحم و هو الأمر الذي أكسبها لذة ومذاقا طيبا ، حيث تورد المصادر الجغرافية حول غنى مدن الزاب بالثورة الحيوانية المتنوعة من ماشية و بقر و سائر الكراع ، فكانت هذه الكثرة سببا في انخفاض سعره و رخصه [7] ، إضافة إلى توفر السمك بمدينة المسيلة لم يُرى في المعمورة سمك مثله [8] بالإضافة إلى السمن الذي يدخل في تحضير الأطباق و هو أحد المنتجات الحيوانية [9] .

---

[1] – من الأطعمة التّي تناولها سكان المغرب الأوسط بما فيهم سكان الزاب ، و ذلك لأن مدن الزاب تنتج الحبوب خاصة القمح و الشعير بكميات كبيرة أما عن طريقة تحضيره فيبلل السميد بالماء قدر ما يرطب ، ويعرّك عركا جيدا ثم يوضع فيه الخمر ويعجن بالماء قليلا ثم يوضع على منديل و يترك حتى يخمر ، و علامة اختماره أن يرتفع و بعدها يطبخ على النار في التنور ، أنظر : **ابن رزين التجيبي** ، فضالة الخوّان في طيّبات الطعام و الألوان ، تحقيق: مُحَمَّد ابن شقرون ، مطبعة الرسالة ، الرباط ،1981 ، ص 07.

[2] – من الأطعمة الشعبية يهيء من سميد مفتول شاع تناوله في كل بلاد المغرب نظير أصله البربري ، يطبخ من السميد و يوضع في المعجنة ويرش بماء و ملح ويحرك بأطراف الأصابع حتى يلتئم بعضه ببعض ثم يحرك بين الكفين حتى يصير مثل رؤوس النمل ثم ينفض بالغربال حتى يذهب عنه ما بقي من الدقيق ، وبعد طهيه يدهن بالسمن حتى ينفصل بعضه عن بعض ثم يفرغ في مثرد ويسقى بمرق الحليب أو اللحم ، أنظر : **الحسين فقادي** ، من مظاهر التغذية في العصر الوسيط ، مجلة الأمل ، الدار البيضاء ، العدد16 ، 1999 ، ص 36 .

[3] – يحضر من الخبز المفتت في المرق ، أو يثرد في الزيت أو الزبد ، كما يثرد باللبن و يقدم بالتمر ، أنظر : جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق، ص 323.

[4] – يصنع بالشعير و القمح و الزيت و الماء ، وهو ما اصطنعته الكاهنة عند مؤاخاة ولديها مع خالد بن يزيد ،أنظر : موسى رحماني ، المرجع السابق ، ص 171 .

[5] –اشتهرت في البوادي خاصة المصنوعة من الشعير وهي طعام الفقراء وأهل الزهد و التصوف ، أما تقديمها فتوضع في طبق مجوف وفي وسطها حفرة تملأ بالزيت ، أنظر : يوسف بن يحي التادلي ، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي ، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، ط02 ، الرباط ، 1997 ، ص 308.

[6] – مصنوع من القمح المطحون و يدهن بعد طهيه بالعسل و الزيت ، أنظر : نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص 56.

[7] – البكري ، المسالك و الممالك ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 228 .

[8] – الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 263 .

[9] – البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 241 .

إن ما أضاف نكهة و لذة لهذه الأطباق أيضا هو إضافة بعض الخضر و التوابل التي كانت تُزرع بإقليم الزاب أو ترد مع التجار من المناطق المجاورة ، مثل الملح الذي عرف عن توفره ببسكرة [1] و القرنفل الذي كان يزرع بنقاوس في نص متأخر للوزان [2] ، كما تم استعمال زيت الزيتون في تحضير الطعام خاصة أن أغلب مدن وقرى إقليم الزاب توفرت على شجرة الزيتون مثل بسكرة[3] ، بنطيوس و قرية يكسم التي كان زيتها أطيب الزيوت [4] ، كما تم استعمال قصب السكر ذي النوعية الجيدة الذي وجد ببسكرة [5].

كما اشتهرت مدن الزاب بإنتاجها الوفير لمختلف الفواكه و منها ما صُدّر خارج حدود الإقليم ، و هذا ما سيتم تفصيله في الفصل القادم .

الملاحظ مما تقدم أن توفر الغذاء و الطعام يعود إلى الحالة السياسية و الأمنية ، فإذا توفر الأمن كان الإنتاج غزيرا و يسد الحاجة و يتحقق الاكتفاء الذاتي ، ومنه ما يتم تصديره خارج حدود الإقليم ، لكن في وقت الأزمات التي حلت بمجتمع إقليم الزاب أدى بعض الحالات إلى أكل مواد أخرى تسد الرمق مثلما حدث مع أهل بلزمة بتناولهم البهائم بجلودها و الكلاب عند محاصرتها من طرف الداعي الشيعي [6] فجابه سكان الزاب مثل هذه الأخطار الداهمة بالادخار في المطامير [7] و تخزين بعض الحبوب و المواد داخل المنازل .

أما مشرب أهل الزاب فقد كان التنوع الجغرافي للإقليم بين الجبال و السهول و الصحراء موفرا مصادر المياه بكثرة لسكان الإقليم ، حيث تنوعت مصادر تزويد السكان بين الأودية و الأنهار و العيون و الآبار

[1] – البكري، المصدر السابق ، ج02 ، ص 235.
[2] – الوزان ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 53 .
[3] – مجهول ، المصدر السابق ، ص 173.
[4] – البكري ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 348
[5] – الحموي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 422 .
[6] – القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، المصدر السابق ، ص 111.
[7] – الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 263 .

التي كان منبعها الرئيسي دوما من جبل الأوراس[1] ، كما عدت المياه الخارجة من باطن الأرض مثل الآبار و العيون و الجداول أجمعت المصادر على عذوبة مياهها و تواجدها بمختلف مدن الزاب ، ثم نجد أن أهل الزاب اصطنعوا مصادر جديدة للحفاظ على المياه في فترات الجفاف مثل الصهريج الذي توفر بمدينة طبنة [2] .

تنوعت استخدامات المياه لدى سكان الزاب ، فإضافة إلى الشرب و السقي استعمل الماء كوسيلة للدفاع في حالة الحرب مثلما كان في مدينة تهوذة التي لها نهر كبير ينصب إليها من جبل الأوراس ، فإذا كانت بينهم و بين من يجاورهم حرب وخاف السكان من مداهمة العدو أجروا ماء النهر في الخندق المحيط بالمدينة فامتنعوا به و شربوا منه [3] .

و مما نلحظه أيضا توفر مدن و قرى الزاب على المياه و هذا ما نستشفه من المدلول اللغوي لمصطلح الزاب الذي يرتبط بالمياه [4]

2-اللباس :

يشكل الملبس أحد المميزات التي تعبر عن شخصية الإنسان وحياته الاجتماعية بصفة عامة ، وعن لباس أهل الزاب فقد كان نافذة على المستوى المعيشي و العادات و التقاليد التي تميز بها أهل المنطقة ، ومنه يتم التعرف على أنواع البيئة الجغرافية من البادية و الحضر، ومصادر هذا اللباس النباتية و الحيوانية منها ، وعلى كل فقد ارتدى أهل الزاب ثيابا هي من نتاج أراضيهم خاصة مادتي من القطن والكتان وما يكسبون من الحيوانات من صوف ووبر و جلود، فذكرت لنا المصادر الجغرافية غنى إقليم الزاب بمحاصيل القطن و الكتان و توفر الماشية بمختلف أصنافها بكثرة ، أما أهم الملابس التي ارتداها أهل الزاب فهي كالآتي :

---

[1]- أغلب المصادر الجغرافية تؤكد ذلك : البكري ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 240 ، المقدسي ، المصدر السابق ، ص 227.

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

[3]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 241 .

[4]- هذا ما سنفصل فيه في الفصل القادم.

- **البُرنس :**

اشتهر البربر بلبس البرنس حيث كان العامة يلبسون البرانس المصنوعة من الصوف و أطلق اسم البرانس على بعضهم لارتدائهم لها[1].

وارتبط لبس البرنس بالمناطق الباردة من المغرب الأوسط مثل جبل أوراس الذي يقع عليه الثلج، فقال عنه اليعقوبي إنه كثير الثلج[2]،نقاوس الكثيرة البرد[3]، وعما يوضح الفروق الاجتماعية من فئة لأخرى من حيث اللباس يقول المقدسي:" إن البربر من أهل المغرب كانوا يرتدون البرانس السود، وأهل الرسانين (الأقاليم) بأكسرتي ، و السروقية (العامة) بالمناديل"[4]، وكان لوفرة مادة القطن و الصوف التي تشكل المادة الأولية لصناعة هذه الثياب السبب الأساسي لانتشار هذا اللباس بين أهل المغرب و الزاب ، ولكن خشونة ملمس الصوف تجعل البربري يرتدي تحته إزارا من كتان أو قطن [5].

- **العِمامة :**

وهي ما يُلفّ فوق الرأس ، وتعتبر لباسا مشرقي الأصل دخل بلاد المغرب مع الهجرات الهلالية[6] وما يدعم هذا الرأي أن ابن خلدون يقول أن البربر رؤوسهم في الغالب حاسرة[7] خاصة إذا علمنا أن إقليم الزاب صار مستقر الكثير من القبائل الهلالية فيما بعد .

- **اللِّثام :**

اشتهرت نساء العرب بارتداء اللثام، ويطلق عليه أيضا تسمية النقاب[1] .

---

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج06، ص 116.

[2]- اليعقوبي ، البلدان ، المصدر السابق، ص 141.

[3]- المقدسي، المصدر السابق، ص 227.

[4]- المصدر نفسه ، ص 239.

[1]- موسى رحماني، المرجع السابق، ص 172.

[6]- نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص 68 .

[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 06 ، 116.

- **اللِّحاف** :

في غالب الأحيان كان يصنع من الحرير ، و هو خاص بالنساء لأنه محكم التصنيع [2].

- **المِعجر** :

ثوب تشده المرأة على رأسها كالعمامة على الرأس [3].

- **الوِقاية** :

هي التي يُجمع بها شعر الرأس تكون من نسيج الكتان[4] ، فقد وجد السلطان المريني أبي عنان نساء بسكرة يرتدينها عند زيارته لها [5] .

إضافة إلى ما سبق من أنواع الألبسة ، يمكننا تمييز الجبة و السراويل ، فمخلد بن كيداد كان يلبس جبة صوف وعلى رأسه قلنسوة صوف أيضا [6]، أما فيما يخص لباس القدمين فقد كان السكان يلبسون القرق[7] ، حيث تكون الجزمة من جلد الخروف وهو مخاط بسيور من الجلد ، انتشر بين البدو و العرب الرحل [8] .

---

[1]- مُحَمَّد مقر ، اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي ، منشورات الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ط01 ، المملكة المغربية ، 2006 ، ص 121 .

[2]- النميري ، المصدر السابق ، ص 434 .

[3] - جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 332.

[4]- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، ج03 ، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور : مُحَمَّد حجي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب ،1981، ص 100 .

[5]- النميري ، المصدر السابق ، ص 434 .

[6]- ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 55.

[7]- نوع من أنواع الأحذية أو الخف للرجلين يصنع من الجلد.

[8]- عبد المالك بكاي ، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 07-10 هـ/ 13-16 م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ، 2013-2014 ، ص 133 .

أما أهل الذمة فكان لباسهم مغايرا عن رداء المسلمين ، حيث كانوا يلبسون الرّقاع على الأكتاف و شد الزنار من الوسط وهذا الأمر كان سائدا بسائر بلاد المغرب و حتى بإقليم الزاب[1] .

وعليه فقد لبس أهل الزاب و المغرب الأوسط عموما ما يتوافق مع مكانتهم الاجتماعية و طبيعة البيئة الجغرافية لديهم، وما حازوا عليه من المنتجات الحيوانية و النباتية.

3-المسكن و المرافق الاجتماعية :

عرف إقليم الزاب أنماطا مختلفة من المساكن تبعا لنمط المعيشة القائم على الترحال أو الاستقرار ، إضافة إلى تنوع البيئة الجغرافية فاختلفت المساكن و البيوت فيما بينها بين شكل البناء و المواد التي يُبنى بها .

أ - سكنى الخيام :

سكن إقليم الزاب الكثير من القبائل سواء البربرية أو العربية التي تمتهن الرعي و الرحال بحثا عن الكلأ و الماء ، فكانت معيشتهم داخل الخيام نضير طبيعة ترحالهم المستمر بين الفصول السنوية ، ولم يشكل المأوى مشكلة في عدم استقرارهم لأن الخيمة تحمل كل ما يتناسب مع طبيعة المنطقة المقصودة كما تتميز بسهولة حملها ونصبها، كما أن المواد التي تدخل في صنعها هي من إنتاج مواشيهم وطبيعتهم كالشعر و الوبر و الصوف و الجلود و الأخشاب، وتجدر الإشارة هنا إلى نوع من التنظيم الاجتماعي في انتشار الخيام كموضع خيمة شيخ القبيلة في مرتفع من الأرض و اتساعها دون سائر العشيرة لإشرافه على باقي الخيام[2].

ب - سكنى المستقرين :

من الراجح أن مساكن المستقرين قد اتبع سكان هذا الصنف البناء بالحجارة و الطين كما هو الحال لأغلب مدن إقليم الزاب القديمة البناء و التي تم تجديدها من طرف الفاتحين المسلمين ، فعرف من استقر في

[1] - نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص69.

[2] - جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 340.

المدن بأهل الحضر وأغلب هذه المدن كانت تحوي خارجها على أرباض واسعة و بساتين و حدائق غناء متميزة ، وبعد تأسيس الدولتين الفاطمية و الزيرية ثم الحمادية أسهم هذا في ظهور مدن جديدة على ساحة بلاد المغرب و إقليم الزاب مثل المسيلة و قلعة بني حماد و آشير وبجاية [1]، فيما بعد يظهر ملمح جديد للمدينة بإقليم الزاب و ظهور القصور التي تتعدد مواصفتها و أدوارها [2] .

- **المرافق العامة :**

أ – التحصينات العسكرية :

خصائصها الاقتصادية و تحصيناتها وما يتبعها من الأسوار و الأبواب أو المداخل، فذكر اليعقوبي أن طبنة و ميلة و أذنة و باغاية ومقرة ذات تحصينات[3]، فكانت مدن الزاب عليها أسوار مدعمة بخنادق لحمايتها عسكريا من الأخطار الداهمة ، واستخدم لبناء هذه الأسوار الحجارة و الطوب مثل طبنة و نقاوس و تهوذة [4] ولما تم تجديد مدينة طبنة كان سورها من تراب [5] حتى الأرباض خارج أسوار المدينة كانت مسورة[6] حيث كان لباغاية ربض مسور ، أما تهوذة فكان لها ربض يدور حول المدينة بجنبه خندق لحمايتها [7] .

و ما ميز هذه الأسوار أنها كانت تحوي بوابات و مداخل رئيسية للسيطرة على الحركة من و إلى داخل المدينة ، كما أسهمت هذه البوابات في التعريف باسم الجهة التي تنطلق إليها الحركة الرئيسية [8] ، حيث كان لمدينة طبنة خمس أبواب " باب خاقان مبني بالحجر عليه باب حديد و هو سري ، و باب الفتح

---

[1] – عيسى بن الذيب و آخرون ، الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007، ص 79.

[2] – النميري ، المصدر السابق ، 423.

[3] – البلدان، المصدر السابق ، ص 140 ،141.

[4] – ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 ، البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 227 ، 241.

[5] – البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

[6] – نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص73

[7] – الحميري ، المصدر السابق ، ص 76، 142 .

[8] – صلاح الدين هدوش ، المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 05 هـ/11م إلى القرن 14/08م ، مجلة علوم الإنسان و المجتمع ، بسكرة ، العدد 14 ، 2015 ، ص 119.

غربيّ باب حديد أيضا ... و باب تهوذا قبلي عليه باب حديد و هو سري أيضا ، و الباب الجديد ، وباب كتامة جوفي ... " [1] ، واحتوت مدينة بسكرة العديد من الأبواب مثل باب المقبرة و باب الحمام و باب المولدين [2] .

فكانت هذه التحصينات العسكرية هي التي أكسب لمدن الزاب مكانة لا تقل عن مدن بلاد المغرب قاطبة خاصة و أن أغلب هذه المعالم تعود إلى الفترة الرومانية و البيزنطية وربما هذا كان دافعا للدول التي تعاقبت على المنطقة مثل الأغالبة و الفاطميين لاتخاذ هذه المدن كقاعدة للإقليم [3]

ب – المرافق الدينية :

تضمنت المعالم الدينية العديد من المرافق أهمها :

- **المساجد :**

يعتبر المسجد أحد أبرز المعالم الدينية لكل مجتمع في العالم الإسلامي ، حيث أنه الخلية الأساسية في المجتمعات سواء الريفية أو الحضرية ، وانتشرت المساجد عبر مدن و قرى إقليم الزاب بعد الفتح الإسلامي مباشرة لما لعبته من دور تعبدي أو تعلمي فقد كان يعقد به إلى جانب الأمور التعبدية حلقات علمية و أخرى للذكر و الدروس [4] .

وعرفت مدن الزاب انتشار المساجد و دور العبادة ، حيث كان بمدينة طبنة مسجد ربما تعود فترة بنائه إلى الفاتح موسى بن نصير ثم أعيد ترميمه و تجديده على يد الوالي عمر بن حفص[5] كما كان لتهوذة جامع

---

[1]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

[2]– الحميري ، المصدر السابق ، ص 113،114.

[3]– مصطفى سالم ، الأطلس الأثري لإقليم الزاب من الفتح الإسلامي حتى نهاية الفترة العثمانية ، رسالة ماجستير ، تخصص آثار إسلامية ، جامعة الجزائر ، 2008،2009 ، ص 176.

[4]– الطيب بوسعد، دور علماء طبنة في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، العدد 03 ، 2012، ص 05.

[5]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 132 ، البكري ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 229 .

جليل و مساجد كثيرة ، و كذلك مدينة بنطيوس التي وجد بها ثلاث مساجد : اثنان لأهل السنة و الثالث لقوم الخوارج[1] ويقصد به هنا الإباضية .

ومن أقدم الجوامع الذي بني بالإقليم جامع سيدي عقبة الذي شُيد على الأغلب بين القرنين الأول و الثاني الهجري و يقع هذا المسجد جنوب موقع تهوذة و بجنبه ضريح الصحابة عقبة بن نافع ، وتم ترميم المسجد ممن طرف الفاطميين على يد الخليفة المنصور (334-341هـ/945-952م) حيث أثناء مطاردته لأبي يزيد الذي خرج من طبنة قاصدا بسكرة عام(335 هـ /946 م)[2]، ثم عرف المسجد إصلاحا ثانيا في عهد المعز بن باديس (406-454 هـ/ 1016-1062م) [3] ، وغير بعيد عن مسجد عقبة بن نافع يوجد مسجد يضاهيه في القدم و هو مسجد سيدي موسى الخذري ، ويعود بناء هذا المسجد إلى نهاية القرن الثاني و القرن الثالث هجري[4] .

ج- المعالم المدنية :

خضعت مدن الزاب لنفس شروط بناء المدن بالمغرب الأوسط من حيث توفر المرافق العامة كالأسواق والحمامات، و الفنادق و المقابر لحاجة الناس إليها [5] .

- **الأسواق :**

كانت الأسواق تقام حول التجمعات السكانية ، وفيها يقوم السكان بتبادل السلع ويتزودون بما يحتاجونه ، و قامت الأسواق أيضا على اشتهار منطقة ما بسلعة معينة فيحدث فائض في الإنتاج مما يستدعي إقامة سوق لصرف هذا الفائض فيقصدها الناس من قريب أو بعيد ، ولقيامه أيضا يجب توفير

---

[1]- البكري ، المصدر السابق ،ج 02 ، ص 230 ، 231 .

[2]- ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص 37.

[3]- نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص75.

[4]- شلوق فتيحة ، دراسة أثرية و معمارية لجامع سيدي موسى الخذري بسكرة ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، بسكرة ، العدد الرابع ، 2009 ، ص 32.

[5]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 77 ، أنظر أيضا : المقدسي ، المصدر السابق، ص 228 ، 229.

الأمن فكانت الأسواق تمثل المركز الاقتصادي للمدينة أو المنطقة فكان يجذب إليه مختلف الشرائح و الأصناف السكانية [1].

لقد توفر بإقليم الزاب و مدنه أسواق عامرة ، فكان "لمدينة المسيلة أسواق"[2]، أما مدينة طبنة بها سماط و أسواق حسب البكري " سماط يشق المدينة من الباب إلى الباب ... و بها أسواق كثيرة غير السماط المذكور "[3] ، و بمدينة الغدير أسواق عامرة [4]، أما مدينة نقاوس فكانت لها سوق قائمة و معايش كثيرة [5].

- **الحمامات :**

يعتبر الحمام من المنشآت الهامة في حياة الإنسان الزابي ، حيث حرص السكان على تشييدها فلا نكاد نجد مدينة من مدن الإقليم إلا واحتوت على هذا المنشأ نظرا للدور الذي يقدمه من استجمام و نظافة الجسد و عناية بالبشرة و الجلد وربما يلجأ الكثيرون للتطبيب ، ومن بين المدن التي احتوت على الحمامات نجد بسكرة التي لها حمامات و سمي أحد أبواب بباب الحمام [6] ، كما أشار البكري إلى توفر الحمامات بمدينة المسيلة [7] كما كشفت التنقيبات الأثرية التي قام بها الباحث قرنج بمدينة طبنة عن تواجد حمامين بالموقع الأثري أحدها يعود للحقبة الرومانية و الآخر للفترة الإسلامية [8] .

- **الفنادق :**

[1]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، 135 .
[2]- البكري ، المسالك و الممالك ،ج 02 ، المصدر السابق ، ص 240 .
[3]- نفس المصدر ، ص 229 .
[4]- نفس المصدر ، ص 241 .
[5]- نفس المصدر ، ص 230 .
[6]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 114.
[7]- البكري ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 239.
[8]- R.GRANGE. OPCIT.P 42.

بفضل الموقع الاستراتيجي للزاب وكثرة الطرق التجارية الرابطة بين مدن الإقليم و باقي مناطق بلاد المغرب كثرت حركة التجارة و السفر ، فكان لزاما بناء فنادق لقضاء حاجة المسافرين بالمبيت و الاستراحة ، وتعددت أدوار الفنادق حيث كان مركزا لإيواء المسافرين و الغرباء و الحجيج ، إضافة إلى عقد الصفقات التجارية خلال ممارسة النشاط التجاري [1]

أما عن تواجد الفنادق بالإقليم فيذكر ابن عذاري أن مدينة تهوذة بها فنادق كبار يسكنها قوم من البربر بنيانها من الحجارة [2] ، كما وجد الفندق بمدينة نقاوس مثلما أشار إليه الوزان " وللجماعة دار أعدوها ملجأ لإيواء الغرباء " [3] .

- **المقابر :**

احتوت مدن الزاب على مقابر لدفن الموتى وكانت عادة ما تكون خارج أسوار المدينة ، وتعتبر زيارة المقابر من أجل أخذ العبرة و العظة و ترقيقا للنفوس من جهة و من جهة أخرى كان الارتياد من أجل التبرك بقبور الأولياء الصالحين [4] ، فقد ذكر البكري أن مقبرة طبنة تقع شرق المدينة و في الطريق إلى بسكرة جبل في وسطه كهف فيه رجل لم يغيره الزمان وتفاقم الدهور ، فنقله أهل المنطقة ودفنوه بأبنيتهم تبركا به ، وسمي أحد أبواب مدينة بسكرة باسم باب المقبرة [5] ، كما يوجد قبر مادغوس المبني بالآجر و المعقود بالرصاص وقد صورت فيه جميع الصور من الإنسان و الطير و الوحوش وهو مدرج النواحي ويقال أن لهم طلاسم [6] ، كما وجد قبر عقبة بن نافع قرب تهوذة وهو مزار للتبرك[7].

---

[1] – أوليفيا ريمي كونستابل ، إسكان الغريب في العالم المتوسطي السكن و التجارة و الرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط ، تر:مُحَمَّد الطاهر منصوري ، دار المدار الإسلامي ، ط01 ، بيروت ، 2013 ، ص 81 .

[2] – ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 30 .

[3] – الوزان ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 53 .

[4] – نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص77.

[5] – البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229، 233.

[6] – الحميري ، المصدر السابق ، ص 76.

[7] – موسى لقبال ، عقبة بن نافع الفهري ، المرجع السابق ، ص42.

ويذكر المقدسي أن البربر لا يأخذون الميت إلا من رأسه و رجليه[1] عند تشييعه للمقبرة وهي العادة المستمرة إلى يومنا هذا في بعض مناطق الأوراس.

[1]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 192 .

المبحث الرابع : العادات و التقاليد

إن أي دراسة في البنية الاجتماعية تؤدي بالباحث إلى تأكيد العلاقة بين البيئة الجغرافية و الأنماط الحياتية للمجتمعات المخصوصة بالدراسة، وينطبق هذا القول على كل من النصوص التاريخية التي تضمنتها كتب الرحلة و الجغرافيا، والدراسات الأنثربولوجية الحديثة، وفي هذا الصدد يذكر الأستاذ حسين مؤنس:" إن البيئة الجغرافية التي ينشأ فيها شعب من الشعوب لها أكبر الأثر في الشكل الحضاري الذي ينشأ فيه ،لأن الإنسان يأخذ مادة حضارته مما حوله، والظروف الطبيعية التي تحيط به لها أعظم الأثر في حفز همته إلى العمل و الإنشاء و الابتكار، أو في تثبيط همته و حرمانه من كل تطلع إلى جديد.."[1]، وما سيتم عرضه في هذا المبحث هو دراسة موجزة عن تمظهرات الحياة الاجتماعية لساكنة الزاب على سبيل الذكر لا الحصر.

1 – الاحتفالات :

عند الحديث عن الاحتفالات في إقليم الزاب نلاحظ إشكالية غياب ذكرها بين طيات كتابات المؤرخين ، و أهم المصادر التي تحدثت عنها نجد كتب الرحلة و الجغرافيا و كتب النوازل الفقهية ، فكانت الاحتفالات متمثلة في الاحتفالات الدينية مثل:

أ – الاحتفالات الدينية :

- **يوم الجمعة :**

يعد يوم الجمعة يوما رمزيا و مقدسا لدى عامة المسلمين فهو عيدهم ، وكان أهل الزاب يميزون هذا اليوم بممارسة شعائرهم الدينية و الاغتسال و التطيب و الخروج للمساجد جماعات جماعات ، و يرد نص لدى النميري يذكر فيه : " ... ولما أطل يوم الجمعة و آن أن يثوب بالصلاة ويتعين السعي بالوقار و الأناة ، دعا بالمواكب الشريفة لدخول البلد المذكور – بسكرة – و أشعروا بركوب الخليفة أبي عنان إلى مسجده

[1]– حسين مؤنس ، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، منشورات عالم المعرفة ، الكويت ،1978 ، ص 27 .

المعمور لأداء الصلاة الجامعة و اغتنام أجورها المثابة ... و نظرا لجلل هذا الموكب حتى النساء خرجن للنظر إليه ... " [1] .

- **شهر رمضان :**

كان أهل لزاب كغيرهم من أهل العالم الإسلامي يستقبلون الشهر الفضيل وصيامه بغية الأجر لما تنزل من الذكر الحكيم بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه "[2] صدق الله العظيم ، ولم نجد بين ثنايا المصادر كيفية استعداد أهل الزاب لاستقبال الشهر المعظم ، غير أنه توجد إشارة إلى أن أهل الإقليم و نضير الحر الكبير في فصل الصيف يضطرون إلى الإفطار أحيانا خوفا من العطش و الموت ، لكن هذا لا ينفي وجود أن بعض السكان كانوا يكملون الصيام [3] .

- **عيد الفطر :**

يعد عيد الفطر أحد الشعائر الهامة عند المسلمين وكان أهل الزاب كغيرهم من أهل البلاد الإسلامية يحتفلون بها اليوم و الخروج إلى صلاة العيد ، لكن الإشارات الواردة عنها شحيحة ماعدا ما ذكره النميري أن السلطان أبي عنان لما دخل مدينة نقاوس صلّى بها صلاة العيد ، وعند الانتهاء من الصلاة عاد إلى مخيمه و قام بإطعام الناس [4] .

ب – الاحتفالات العائلية :

- **الزواج :**

[1] – النميري ، المصدر السابق ، ص 437 .
[2] – سورة البقرة ، الآية 185 .
[3] – النميري ، المصدر السابق ، ص 425 .
[4] – نفس المصدر ، ص 457 ، 458.

إن الزواج هو عقد شرعي يجمع بين الرجل و المرأة تترتب عليه حقوق و واجبات ، إذا فالهدف من الزواج هو تكوين أسرة ، ولم يلقى موضوع الزواج بإقليم الزاب رعاية أو كتابة المؤرخين ماعدا شذرات بسيطة .

وتذكر الروايات أن جهاز العروس كان على عاتق أهل العروس و إن كان أهلها معسرون، فقد قام رجل إلى ابن طالب الفقيه المالكي بالقيروان يشتكي عدم قدرته على تجهيز ابنته ، فجمع كل حلي وملابس ابنته ودفعها إلى الرجل الفقير ليجوزها [1]

أما مظاهر الاحتفال بالزواج فكانت تقام ولائم يدعى لها كل الجيران و الأقارب لأكل طعام هذا الفرح[2] ، أما ما ورد عن الزواج في إقليم الزاب لم نحضى بمعلومات وافية ماعدا الزواج ذي الطابع السياسي[3] الذي تم بعد الاتفاق بين المعز و حماد وجعل دولته على منطقة الزاب ، فتصاهر الطرفان أين زوّج المعز أخته أم العلو بعبد الله بن حماد في شهر رجب من عام 415هـ/1024 م[4] ، وأقيم احتفال كبير بهذه المناسبة لم يسبق أن أقام الملوك مثله ، وقد بُهر الخلق مما شاهدوه وعاينوه و حمل المهر في عشرة أحمال على البغال[5]

- **الختان :**

يشكل الختان مناسبة عائلية مميزة ، وكانت العائلات الزابية و على اختلاف طبقاتها تقوم بالاحتفال بإعداد وليمة توزع على الناس ، وعن ختان أهل الزاب نجد وصفا رائعا قدمه القاضي النعمان عندما أراد الخليفة المعز لدين الله أن يختن ابنيه عام 351 هـ/ 962 م حيث دعا إلى ختان جماعي مع منح عطايا للصبايا المختونين : " ... و الختانون في السرادقات على الكراسي و بين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان ،

[1] – القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 315.
[2] – حسين حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص 188.
[3] – نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص89.
[4] – مختار حساني ، تاريخ الجزائر الوسيط ، ج01 ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص 135.
[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 272،273.

و القوم يمسكونهم في حجورهم و يذرون الذرارات الممسكة للدم على ختاناتهم ويقفون في البخور وماء الورد على رؤوسهم ويرشونه على وجوههم لما يعتريه من الروع و السند بأصناف الملاعب ، قيام عليهم يلهونهم ، ويصبحون من طهر منهم يزفونه به إلى منزله"[1] .

2 – الأخلاق و الطبائع :

عرف مجتمع الزاب عديد الأخلاق والسلوكيات، و الطبائع و الذهنيات[2] ، يمكن تصنيفها مابين محمود و مذموم ، فيذكر ابن خلدون مجملا طبائع أهل المغرب قائلا :" ... تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة ، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف و الرفعة بين الأمم و مدعاة المدح و الثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعي الأذمة و الوسائل والوفاء بالقول و العهد ، و الصبر على المكاره ، و الثبات في الشدائد وحسن الملكة ، و الإغضاء عن العيوب و التجافي عن الانتقام ورحمة المسكين و بر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكَل ، وكسب المعدوم وقرى الضيف و الإعانة على النوائب وعلو الهمة و إباية الضيم و مشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه " [3] .

و ككل مجتمع لا يمكن أن يخلو من الصفات السيئة الغير محمودة ، فذكر ابن حوقل أن " في بعض نواحيهم التهور الشديد و الجنون العتيد وبذل السيف وبداد الطيش " [4] ويضيف الحموي نصا عن طباع المغاربة أنهم " أجفى خلق الله و أكثرهم طيشا و أسرعهم إلى الفتنة و أطوعهم لداعية الضلالة و أصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن و سفك الدماء قط ، و قد حسّن لهم الشيطان

[1] – القاضي النعمان ، المجالس و المسايرات ، المصدر السابق ، ص 556.
[2] – نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص91.
[3] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 207.
[4] – ابن حوقل ، المصدر السابق ، 95.

الغوايات و زيّن لهم الضلالات حتى صارت إلى الباطل مائلة ، فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا ، وكم زاعم فيهم أنه المهدي فأجابوه " [1] .

وعلى هذا الأساس قمنا بتصنيف الصفات التي امتاز بها أهل الزاب إلى صفات حميدة أو مذمومة.

أ – الصفات الحميدة :

- **الكرم و حسن الضيافة :**

من أهم الشيم التي تمتع بها سكان بلاد المغرب الكرم وحسن الضيافة ، حيث أن أكثر البربر " من سجلماسة إلى السوس[2]و اغمات[3] وفاس إلى نواحي تاهرت ، وإلى تنس والمسيلة و بسكرة و طبنة وباغاي .... يضيفون المارة و يطعمون الطعام ... " [4] ، و ظاهرة الكرم في البلاد ظاهرة عامة و ليست خاصة بل ومست حتى الفئة الحاكمة ، فعندما ارتحل الشاعر ابن هانئ الأندلسي إلى المسيلة عند جعفر وعلي ابن حمدون بالغا في إكرامه ، فطلبه المعز فبالغ في إكرامه [5] ، ويذكر ابن خلدون أنه تعرض لكرم شيخ مدينة بسكرة : " وقصدت بسكرة لصحابة بيني وبين شيخها أحمد بن يوسف بن مزني وبين أبيه فأكرم و برّ وساهم في الحادث بماله و جاهه " [6] .

- **إعداد الولائم :**

اعتاد أهل الزاب إعداد الولائم في مختلف مناسبات الفرح ، حي إذا رزق الرجل بمولود يقوم بذبح شاة

---

[1]– الحموي ، المصدر السابق، ج 02 ، ص 104.

[2]– هي كورة بالمغرب مدينتها طنجة ، وهناك السوس الأقصى ، ومن السوس الأدنى إلى الأقصى مسيرة شهرين ، أنظر : الحموي ، المصدر السابق ، ج03 ، ص 281 .

[3]– هي ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ،كثيرة الخيرات و الفواكه وهي للمصامدة ، أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 01 ، 255.

[4]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 91.

[5]– ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السابق ، ص 48 .

[6]– عبد الرحمن ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، ط 01 ، لبنان ، 2004 ، ص 96 .

في اليوم السابع و تُعطى القابلة ربعها ويُطعم باقيها للجيران [1] ، كما كان أهل المنطقة يحتفلون بمناسبات رمزية مرتبطة بموسم الحرث أو موسم جني المحصول أو تكاثر المواشي ، وكانوا يحتفلون برأس السنة الأمازيغية بتنظيف البيت و تغيير الأواني و إعداد المأكولات التقليدية .

وكان أهل الزاب يعدون الولائم للصبي في حال ختمه للقرآن تشجيعا له[2] ،كما تعد الولائم في الختان و الزواج و توزع على الأقارب و الجيران ، و يتم إعداد ولائم الطعام صدقة على المتوفي [3]بعد مرور أربعين يوما من الوفاة .

- **الوعدة أو النذر :**

عرف عن سكان الزاب أنهم يقيمون الوعدات أو النذر فيتوعدون بإقامة وليمة إذا تحقق ما يتمنون كعودة الغائب أو شفاء المريض [4] وتقام له وليمة ويقدم الطعام للجيران ، وعن الوعدة نجد نصا للدباغ بشأن رجل كان يقيم إلى جانب قبر في ابن لبالة في قابس فكان " يصح له من وعدات الناس ما يكفيه هو و عياله برفاهية " [5]، وكانت عادة الناس في هذه الولائم ضرب البوق و الكير (دف مزهر) أو ضرب عود عود أو طنبور وفي بعض الأحيان تقدم المشروبات [6] .

- **الفروسية و الإقدام :**

---

[1]- قراوي عبد النور ، المرجع السابق ، ص 181 .

[2]- الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 114.

[3]- القاضي النعمان ، الاقتصار ، تح :مُحَمَّد وحيد بيرزا ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، سوريا ،1957 ، ص 107.

[4]- كمال أبو مصطفى ، جوانب من حضارة المغرب المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 ، ص 45 .

[5]- الدباغ ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 13 .

[6]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 320 .

كانت الفروسية من القيم البارزة لدى سكان المغرب و إقليم الزاب فاشتهرت قبائل بحبها و تربيتها وامتطائها [1] وانتشرت تربية الخيل لدى سكان الزاب فمدينة المسيلة بها سوائم خيل [2] وتوفرت بطبنة أنواع الماشية وسائر الكراع ، و لما دخل عقبة بن نافع مدينة باغاي وهزم أهلها استطاع أن يأخذ منهم خيلا لم يرى المسلمون في مغازيهم أصلب منه [3] وكان البربر يورثون الفروسية لأبنائهم فيتربون عليها و يغرسون حب الخيل في نفوسهم ، فبلاد البربر مشهور بتربية الخيل لذي يمتاز بالسرعة والخفة ، فقبائل زناتة كان أكثرهم فرسانا يركبون الخيل [4]، وكان بنو برزال من مشاهير فرسان بلاد المغرب حتى أنهم نالوا إعجاب الحاكم الأموي المستنصر بالله ، فاستقدمهم إليه ووقف ينظر إلى فرسان البربر حين تحركوا للعب فأبدى إعجابه بهم قائلا لمن حوله : " أنظروا إلى انطباع هؤلاء القوم حول خيولهم "[5] .

ولبت القبائل الهلالية المنتشرة حول الزاب دعوة الخليفة الموحدي أبي يعقوب (578-595هـ/1172-1198م) للجهاد في الأندلس ، فلولا علم الخليفة بشجاعتهم و إقدامهم ما كان أرسل لهم قصيدة يمدحهم فيها بالشهامة و الشجاعة ، من أبياتها :

أقيموا صدور الخيل نحو المغاربِ *** لغزو الأعادي و اقتناء الرغائبِ [6]

- **رفض الخضوع للأجنبي :**

مما امتاز به أهل الزاب رفضهم للسيطرة الأجنبية الدخيلة على بلادهم و أرضهم ، و الدليل على ذلك ثوراتهم في العصر القديم ضد الاحتلال الثلاثي (الروماني ، الوندالي ، البيزنطي) وشكل الإقليم حجرة عر

---

[1]- سكينة عميور ، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6 هـ/11و12م – دراسة اقتصادية و اجتماعية - ، رسالة ماجستير تخصص تاريخ وسيط ، جامعة قسنطينة ، 2013-2014 ، ص 276.

[2]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 558.

[3]- النويري ، المصدر السابق ، ج 24 ، ص 14 .

[4]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 200.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ،ص 304.

[6]- ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عصر الموحدين ، تح:عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، ط03 ، بيروت ، 1987 ، ص 324 .

في قدم المحتل حتى أن سلطته لم تمتد إلى الإقليم ، و إبان الفتح الإسلامي ظهرت مقاومات محلية للفاتحين المسلمين ظنا من أهل المنطقة أن المسلمين كغيرهم ممن مروا على المنطقة و حطموا بنيانها الاجتماعي و نهبوا خيراتها ، لكن بعد فهمهم لرسالة الإسلام كانوا أول من أسهم في نشر الدين داخل وخارج البلاد .

و في العهد الفاطمي قام الثائر أبا يزيد مخلد بن كيداد بثورة عارمة رفقة سكان المنطقة كادت تنهي الفاطميين ببلاد المغرب [1] ، كما ثار سكان باغاي بقتل عامل بلكين على المدينة و خالفوا أمره [2] .

و نفس الأمر قام به أهل بسكرة حين امتنعوا عن أمره و نقضوا طاعته فنازلتهم جيوش صنهاجة [3] .

- **التحالف :**

من أهم المظاهر الاجتماعية التي تبرز أهمية الجماعة وتعاطفها ، لأن التحالف يبرز و يؤكد خوف هذه الجماعات و القبائل على مصالحها خصوصا أثناء حدوث النزاعات و الخلافات [4] ، ووجدت هذه الظاهرة غداة الفتح الإسلامي عندما تحالفت القبائل البترية الزناتية مع الكاهنة ضد الفاتحين بجبل الأوراس [5] ، وتحالف كسيلة مع البيزنطيين الروم ضد الفاتح عقبة بن نافع الفهري [6] ، وعند الصراع بين العرب و و المولدين بمدينة تهوذة يستنجد العرب بعرب بسكرة و يستنجد المولدون بأهل سطيف [7]،وعند دخول العرب الهلالية إقليم الزاب تحالفت الإثبج و رياح وغيرهم من العرب على عبد المؤمن بن علي الموحدي لما ملك بلاد حماد بالمال والرجال و الأهل [8].

---

[1] – ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 192.

[2] – ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 233.

[3] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 585.

[4] – سكينة عميور ، المرجع السابق ، ص 276.

[5] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 11.

[6] – نفس المصدر ، ج 06 ، ص 193 .

[7] – البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 240 .

[8] – ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 390.

- **المؤاخاة :**

من المظاهر الاجتماعية التي كانت في بلاد المغرب و الزاب ، فقد قامت الكاهنة بالمؤاخاة بين ابنيها و أحد الأسرى المسلمين و سمته بالرضاع : " نحن جماعة البربر لنا رضاع إذا فعلناه نتوارث به "[1]

استعمال البخور و الحناء :

كان استعمال البخور من طرف سكان بلاد المغرب والزاب إما تعطيرا للمنازل و المساجد حيث كان القاضي عياض يوصي الناس بتعطير و تبخير المساجد مرة كل سبعة أيام ، في حين اعتقدت فئة منهم أن البخور طارد للأرواح الشريرة فيبخرون منازلهم به [2] .

شاع استعمال الحناء و الكحل أيضا بين أهل المغرب سواء بين الرجال و النساء ، ويكون استعماله إما للفرح أو الزينة أو كانوا يستعملونه للعلاج ، حيث يتم تخضيب الكفين والقدمين و اللحية كعلاج يصيب الأطراف بالتشقق ، و ربما اقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم [3].

- **تقبيل اليد :**

من العادات التي شهدها إقليم الزاب و استمرت إلى يومنا هذا و تقوم على الترحيب بالشخص و تبادل تقبيل اليدين ، وربما هذه العادة سادت عند المجتمعات القبلية على وجه الخصوص ، في حين يذكر القاضي النعمان أن الشيعة كانوا إذا دعا أحدهم الآخر دون أن يعرف اسمه قال يا أخانا ، و إذا التقيا تصافحا وتعانقا وقبل كل واحد يد صاحبه لا يأنف ذلك شريفهم عن مشروفهم [4] .

- **الوشم :**

---

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 37.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف ، نقلا عن القاضي عياض ، المرجع السابق ، ص 321 .

[3]- نفس المرجع ، ص 322.

[4]- القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، المصدر السابق ، ص 126.

تعد ظاهرة الوشم من العادات التي دأب أهل المنطقة على استعمالها و ربما تم توارثها عن الديانات القديمة كالوثنية و المسيحية و الدوناتية ، و كانت هذه الأشكال و الرموز متوارثة عن الأجداد لكن يصعب تفسير تلك الرموز أو معرفة مدلولها ، هل هي تدل على شيء مقدس أم هي تعويذة تحمي الإنسان من العين و الأرواح الشريرة ، أم هي مجرد أشكال و رموز ابتدعتها أنامل البربري مثل إنسان الطاسيلي .[1]

ب – الصفات المذمومة :

- **العصبية :**

من أهم الظواهر الاجتماعية التي سادت مجتمع بلاد المغرب و الزاب خاصة في مجالها القبلي بظاهرة العصبية ، فسكان قبيلة مزاتة عندما تخاصم رجلين من هذه القبيلة بسبب قراض ، قامت عشيرة كل واحد متعصبة وتأمروا على القتال و توافق الفريقان وأشرفوا على أن يتفانوا [2] ، كما كان يتعصب الفرد لقبيلته الأم فنجد تعصب قبيلة زناتة بإقليم الزاب ومساندة زيري بن عطية[3] في حربه مع عبد الملك بن المنصور[4] ، لكن هذه العصبية في بعض الأحيان تعود على المجتمع بآثار سلبية وتؤدي إلى الثأر ، هذا الأخير يؤدي إلى اندلاع الحروب .

- **الثأر :**

كما ذكرنا سابقا أن العصبية تؤدي إلى الثأر ، لكن الثأر يظهر في الغالب تماسك المجتمع من خلال سعي جماعة

[1] – موسى رحماني ، المرجع السابق ، ص 176.

[2] – جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 294.

[3] – هو زيري بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر ، أمير آل خزر في وقته ووارث ملكهم البدوي ، وهو الذي مهد الدولة بفاس و المغرب الأقصى و أورثها لبنيه ، أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 39.

[4] – هو عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر قاد حربا ضد زيري بن عطية بعد فسدت العلاقة بينهما ، أنظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 44.

القتيل إلى أخذ ثأرها من المتسبب في القتل [1] ، فدم القتيل هي من حق أوليائه الأولين على مشهور المذهب

المالكي [2] ، أي أنها تكون إثر غزوة أو منازعات أو إقتتالات لأنها ظاهرة اجتماعية قديمة في حياة الشعوب [3] ، وقد قامت جماعة من زناتة بقتل رسل الداعي الشيعي إلى سجلماسة لتحرير المهدي قرب مدينة طبنة ثأرا منهم بعد استيلائهم على تيهرت[4] ، وعندما أقدم الزناتيون على قتل زيري بن مناد بتحريض من جعفر بن علي ، قال لهم ابنه بلكين أنه لا يترك ثأر أبيه ولا يرضى بمن قتل منكم [5] ، أما أهل بسكرة لما قتل بلكين مقدمهم جعفر بن أبي رمان خلعوا طاعة آل حماد ، واستبدوا بأمر بلدهم ، و كذلك طالبت القبائل البربرية بمنطقة الزاب مثل مغراوة بدم قتيلها أبي سعيد اليفرني ، والذي قتل على يد القبائل الهلالية بمنطقة الزاب ، فأعلنت بذلك الحرب و المواجهة ضدهم [6] .

- **الغزو :**

كان لامتياز أهل الزاب بالفروسية و الشجاعة أثر في بروز ظاهرة اجتماعية أخرى و هي الغزو ، أين كان الإقليم أحيانا يتعرض للغزو ، وفي بعض الأحيان يقوم أهله بغزو غيرهم .

ونتيجة تعرض مدينة طبنة لغزوات مفاجئة شنتها القبائل البدوية قم الوالي عمر بن حفص بترميم المدينة و بناء سور عليها [7] ، أما أهل باغاية فقد شن عليهم حماد الغارات المتتالية [1] ، وكذلك قام يوسف ابن

---

[1]- مُحَمَّد عبده محجوب ، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج و تطبيق) ، وكالة المطبوعات ، ط02 ، الكويت ، 2015 ، ص 153.

[2]- الشيخ عيسى بن علي الحسني العلمي ، نوازل العلمي ، ج03 ، تح : المجلس العلمي بفاس ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1989 ، ص 118.

[3]- إدريس عزام و آخرون ، المجتمع الريفي و الحضاري و البدوي ، الشركة الوطنية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة ، 2010 ، ص 37.

[4]- موسى لقبال ، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة و الفاطميين ، المرجع السابق ، ص43 .

[5]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 07 ، 334.

[6]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 230.

[7]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 229 .

زيري بقصد المسيلة وقتل أهلها و سبي نسائها وغنم أولادها ، حتى أنه أمر أن تجعل القدور على رأسهم ثم تولى أمر هذه المدينة و أعمالها [2] .

- **اللصوصية :**

عرفت هذه الظاهرة انتشارا في إقليم الزاب ، أين قامت جماعة من أهل الدوسن بالتفرق وفض الجموع و انتهبوا معسكر السلطان أبي حمو بأمواله و أمتعته ، وسلكوا على قصور بني عامر بالصحراء و قاموا بانتهابها وتخريبها [3] كما كان بعض الأعراب بمدينة المسيلة يسلبون مداخيل أهل المدينة حتى أصبحوا يرتدون لباسا رديئا [4] .

- **السحر و الكهانة :**

من الظواهر الاجتماعية التي تعبر عادة عن المشاكل الاجتماعية التي يمر بها السكان ، و هو الإيمان بالسحر و الكهانة ، هذه الظاهرة سادت خلال العصر الوسيط ببلاد المغرب و الزاب بحكم أنه قطعة لا تنفصل عنه .

ومن مدن الزاب التي اشتهرت بالسحر مدينة تهوذة التي قال عنها البكري بانها مدينة السحر [5] وكان لأهل زناتة معرفة بارعة وحذق لا سيما بعلم الكف [6] .

وانتشرت الكهانة بين أهل الزاب و الأوراس ، حيث كانت الكاهنة الملكة البربرية التي تكهنت بحملة الفاتحين : " فخرجت ناشرة شعرها فقالت : يا بني ، أنظروا ماذا ترون في السماء ؟ ، فقالوا : نرى شيئا

---

[1]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 77 .

[2]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج07 ، ص 334 .

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 177.

[4]- الوزان ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 52.

[5]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 241 .

[6]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 200.

مرّ سحاب أحمر ، فقالت لا و إلهي إنما هو رجح خيل العرب أقبلت إليكم " ، كما أنها تنبأت بمقتلها[1]

.التبرك بالأضرحة :

تعتبر ظاهرة التبرك بالأضرحة من بين الظواهر التي حضيت بالتقدير و التبجيل من قبل بعض ساكنة بلاد المغرب عامة و نجد حضورا لها في إقليم الزاب ، وهذا الحضور عائد إلى اعتقاد الساكنة ببركة وصلاح من يتبركون بهم[2]

ومن بين الأضرحة التي كانت تشكل قبلة ومزارا ضريح الصحابي عقبة بن نافع الفهري الذي قتل بمدينة تهوذة و أصبح الناس يتبركون بقبره [3] ، كما أن بعض أهل بسكرة قاموا بنقل الرجل المقتول في الكهف الذي لم يغيره الزمان ودفنوه بأفنيتهم تبركا به [4] .

- **المرأة في المجتمع الزابي :**

إن البحث في تاريخ المرأة الزابية و دورها بالمجتمع يكتنفه الغموض نضير تغييبها من الكتابة التاريخية التي ركزت على الحياة السياسية للإقليم ، ومن جهة أخرى يمكن القول أن المرأة ساهمت في هذا الغياب لأنها لم تؤرخ لنفسها وهذا راجع إلى :

- كثرة مشاغلها المنزلية من طبخ ، غسيل ، نسيج و أيضا الرعي ، وممارسة الزراعة [5]مما جعل المرأة تبتعد عن حقل التعليم و التعلم ، وهذا الأمر شمل كل نساء بلاد المغرب وليس نساء الزاب فقط .
- كما أن المرأة حتى ولو تعلمت لن يتجاوز تعليمها العلوم الدينية .

---

[1]- الدباغ ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 65.

[2]- نزيهة منصوري و فاطمة ملول ، المرجع السابق ، ص98.

[3]- الدباغ ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 166.

[4]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 233 .

[5]- نبيلة عبد الشكور ، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع للهجرة ، الثاني عشر الخامس عشر ميلادي ، أطروحة دكتوراه ، تاريخ وسيط ، جامعة الجزائر ،2007-2008 ، ص 280.

ساقت لنا المصادر التاريخية نموذجا عن المرأة الزابية الأوراسية ألا و هي شخصية الكاهنة التي قادت المقاومة ضد الجيش الإسلامي بقيادة حسّان بن النعمان ، وكانت الكاهنة من أعظم ملوك بلاد المغرب [1] و أثناء مقاومتها ساد التخريب بلاد الزاب حيث تعرضت مدينة باغاي إلى الهدم و إفراغها من ساكنتها [2].

وامتازت المرأة الزابية باعتنائها بجمالها و استعمالها لمواد الزينة مثل الكحل و الحناء [3]، وكانت ترتدي مختلف أنواع الزينة من ذهب و فضة وترتدي القلائد و الخلخال [4] .

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص35 .

[2]- الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 24.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 322.

[4]- النميري ، المصدر السابق ، ص 430.

الفصل الرابع : الحياة الاقتصادية في إقليم الزاب

المبحث الأول : الموقع الاستراتيجي لإقليم الزاب.

- **شبكة الطرق و المواصلات .**
- **حساب المسافات من قبل الجغرافيين .**
- **الطرق الداخلية.**
- **الطرق الدولية.**

المبحث الثاني:الزراعة أساليبها و وسائلها.

- **المياه .**
- **التربة .**
- **المحاصيل الزراعية.**

المبحث الثالث:الصناعة و المهن.

- **الصناعة الزراعية.**
- **الصناعة الغذائية.**
- **الصناعة المعدنية.**
- **صناعة المنتجات الحيوانية.**
- **الصناعة الطبية .**

المبحث الرابع :التجارة الداخلية والخارجية.

- **الأسواق .**
- **التبادل السلعي.**
- **الأسعار .**
- **الأوزان و المكاييل .**

المبحث الأول : الموقع الإستراتيجي لإقليم الزاب.

حضي إقليم الزاب بموضع استراتيجي هام على خارطة بلاد المغرب ، و شهدت مختلف مدنه حركة دءوبة و نشيطة على مختلف المستويات سواء سياسيا ، اقتصاديا و اجتماعيا مع حركة تنقلات القبائل بالجهة أو الاستيطان البشري القادم مع كل احتلال خلال الفترة القديمة .

فالإقليم كان ثغرا مهما منذ بداية الفتوحات وهو مكتسب مهم لقاعدة اقتصادية بسبب موقعه المطل على كل البلاد [1] ، جعلها ذلك لتكون همزة وصل مابين المغرب الأدنى (إفريقية) و المغرب الأوسط و المغرب الأقصى إلى غاية الأندلس ، أو العكس فهي تربط المغرب الأقصى و الأندلس بالمشرق الإسلامي ، و تتصل بطرق التجارة التي تؤدي إلى إفريقيا جنوب الصحراء و سجلماسة و بلاد السودان .[2]

لقد سجل لنا الرحالة بالتدقيق المسافات الرابطة بين الزاب و مختلف المدن و المناطق البعيدة ، فهي تبعد عن القيروان بعشرة مراحل [3]، و عن سجلماسة بثلاثين مرحلة في البرية و خمسين مرحلة في العمارة حسب المقدسي [4]، وتبعد عن المدن الساحلية مثل بجاية بستة مراحل انطلاقا من مدينة طبنة[5] ، و بين المسيلة و تيهرت مسيرة ثمانية أيام و منها إلى فاس[6] ، وتبعد عن غانا اثنتين و أربعين مرحلة [7] .

وعلى مر العصر الوسيط اختلفت الحالة السياسية والسلطة الحاكمة بالمنطقة ، فبعد الفتح الإسلامي خضع الإقليم لسلطة الأغالبة ثم الفاطميين ثم الحماديين حتى دخول قبائل بني هلال للمنطقة و عرفت المنطقة أيضا تمرد القبائل على السلطات الحاكمة فاستقلوا بمناطق نفوذهم ، هذه الوضعية كانت لها تبعات وخيمة حيث كانت الحالة متأرجحة بين الهدوء و الاستقرار و مابين الفوضى و الحروب و الصراعات ، إلا

---

[1]- هشام جعيط ، المرجع السابق ، ص 112 .

[2]- الحبيب الجنحاني ، العلاقات السياسية و الاقتصادية بين إفريقية و المغرب الأوسط فيما بين القرنين الثاني و الخامس للهجرة – الثامن و الحادي عشر ميلادي ، الأصالة ، باتنة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر 1978 ، ص 347 .

[3]- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 190 .

[4]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 246 .

[5]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 260 .

[6]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 247

[7]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 296 .

أنه وفي ظل هذه الوضعيات المختلفة حافظت مدن الزاب كغيرها على الحركة التجارية الاقتصادية حتى في ظل سيطرة بعض القبائل على الطرق و المسالك [1] .

و من إفرازات هذا الوضع السياسي ظهور مدن جديدة على الساحة و التي غالبا ما تكون على حساب مدن أخرى فقدت أهميتها الاقتصادية لأسباب سياسية[2] ، فجاء تأسيس مدينة المسيلة من طرف الفاطميين لتخلف مدينة طبنة في الدور السياسي و الاقتصادي التي كانت تلعبه وانتقل مركز ثقل إقليم الزاب إليها ، واستفادت من تدهور حالة مدينة تيهرت بعد سقوطها ، فالملاحظ أن تأسيس مدينة المسيلة قام على عامل اقتصادي وذلك لتأمين المسلك التجاري الذي يربط سجلماسة بالقيروان لأن المسلك الشمالي مهدد من طرف أمويي الأندلس و المسلك الصحراوي الجنوبي تحت سيطرة قبائل زناتة[3] ، و كذلك كان إنشائها لعامل سياسي و هو حماية الدولة من هجومات القبائل الزناتية من جهة الغرب التي لقيت مساندة من أمويي الأندلس [4] .

***شبكة الطرق و المواصلات :**

اعتبر الباحثون و الدارسون على أن القرنين الثالث و الرابع هجري / التاسع و العاشر ميلادي ، هما القرنين الذين تأسست فيهما جغرافية المسالك و الممالك في العالم الإسلامي [5]، و يرى الباحث أندري

---

[1]- هاشم العلوي القاسمي ، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري – منتصف القرن العاشر ميلادي ، ج01 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1995 ، ص 360 .

[2]- الطاهر طويل ، المرجع السابق ، ص 248 .

[3]- **زناتة** ، هم من ولد جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضري بن رحيك بن مادغيس بن بربر ، وتختلف الروايات حول نسب القبيلة ، تنتشر القبيلة في كل مواطن البربر سواء بالمغرب أو بإفريقية و توجد كذلك بجبل الأوراس ، و أكثرهم متواجد بالمغرب الأوسط حتى يقال وطن زناتة ، أنظر: ابن خلدون ، ديوان العبر ... ج 07 ، المصدر السابق ، ص-ص 03-04 .

[4]- الحبيب الجنحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت ،1980 ، ص81.

[5]- أغناطيوس كراتشوسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج01، نقله للعربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، ط02 ، لبنان ، 1989 ، ص 153 ، 197 .

ميكيل في دراسته عن الأدب الجغرافي العربي أن " القرن الرابع هجري قرن الجغرافية العربية العظيم ، و قرن هيمنة المواصلات القوافلية و البحرية على مجتمعات دار الإسلام الكبرى"[1].

و الطرق الرابطة بين مدن الزاب نجدها متعددة ، هذه الطرق التي أنشأها الرومان تدعمت بمنافذ جديدة إزاء الطرق القديمة و هذا مع نمو المدن و حركة التجارة الكبرى .

كيفية حساب المسافات من قبل الجغرافيين :

***الفرسخ :**

يستعمل الفرسخ لقياس الطرق ، و يحدد المقدسي طوله بقوله : " الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع "[2]، والذراع يساوي 48 سم أي : 12000 ×48 = 57600 سم أي 5.760 كم ، و يرى الحموي بأنه يساوي ثلاثة أميال [3].

***الميل :**

استعمل الميل كوحدة قياس من قبل الجغرافيين ، و يحدد المقدسي الميل بأنه يساوي " ثلث فرسخ "[4]، كما يحدده القاضي النعمان بقوله : " الميل ثلاثة آلاف ذراع "[5] ، فيساوي إذن3000 × 48 = 144000 144000 سم ، أي 1.440 كم .

***المرحلة :**

هي الغالبة في كتابات الرحلة و الجغرافيين في تحديدهم للمسافات بين المدن ، فالمرحلة هي مسيرة يوم مشيا على الأقدام و قد تختلف من شخص لآخر نظرا لوعورة الطريق أو صعوبته الطبيعية ، أو كبر سن الشخص

[1]- أندري ميكيل ، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر ، تر: ابراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1953 ، القسم الثاني ، ص 68 .

[2]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 65 .

[3]- الحموي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 35 .

[4]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص66 .

[5]- القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ج01 ، المصدر السابق ، ص 277 .

أو مرضه و ما إلى ذلك ، فحدد المقدسي طول المرحلة بقوله : " لقد جعلنا المراحل ستة فراسخ أو سبعة "[1]، و نفهم من حديثه أن المرحلة تساوي ما بين 33 و 38 كم إذا جعلنا الفرسخ يساوي5.760 كم

أما القياسات الأخرى التي وردت في كتب الرحلة فاستعملت لقياس المساحات و الأراضي مثل : الخطوة ، الباع ، الذراع ، الشبر ، الفتر[2] ، القبضة ، الإصبع ، البريد ، وغيرها[3] .

1-الطرق الداخلية :

تتغير المعطيات الجغرافية في وصف الطرق على زمن كل رحالة ، فابن حوقل **يصف الشبكة المواصلاتية بين مدن الزاب** : " ومن مجانة إلى تيجس خمس مراحل ... ومنها إلى مدينة باغاية ، وجبل أوراس منها على أميال ، و لباغاي طريق يأخذ الآخذ على بلزمة إلى نقاوس إلى طبنة ، و يتصل هذا الطريق بطريق مجانة إلى تيجس ، و من أحب فيه من تيجس إلى القسطنطينية إلى ميلة إلى سطيف إلى المسيلة وصل إليها "[4]، وهذا الطريق الذي يصفه هو الطريق الشمالي .

ثم **يورد طريقا ثانيا** :" ومن باغاي إلى دوفانة ومنها إلى دار ملول و منها إلى طبنة مرحلة ، ومن طبنة إلى مقرة مرحلة ، و من مقرة إلى المسيلة مرحلة ، ومنها إلى تاهرت"[5].

ثم **يصف الطريق الجنوبي الصحراوي** :" ومن المسيلة إلى إفريقية طريق ثالث يأخذ من المسيلة إلى مقرة و منها إلى طبنة ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتين ، ومن بسكرة إلى تهوذا مرحلة ، و منها إلى بادس مرحلة ، ومن بادس إلى تامديت مرحلة ....." [6] ، ليكمل وصفه إلى غاية وصوله إلى القيروان .

---

[1]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 106 .

[2]-الفِتر ، هو المسافة بين رأس الإبهام و السبابة في أقصى انفراج لها .

[3]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص ـ ص 73-74 .

[4]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ـ ص 84 – 85 .

[5]- نفس المصدر ، ص 85 .

[6]- نفس المصدر ، ص 87 .

أما البكري فيصف هذه الطرق :" ... ومنها إلى مدينة باغاية ... و على مقربة منها جبل أوراس ... ومنها إلى قبر مادغوس .... و تسير من هناك إلى بلزمة لمزاتة و بشرقيها مدينة اللوز ، و تسير من نقاوس إلى مدينة طبنة ، ومن مدينة طبنة إلى مدينة مقرة و منها إلى قلعة أبي الطويل "[1].

ثم يضيف وصفا للطريق الجنوبي :" ومن باغاية إلى بلد بسكرة أربعة أيام ، و من مدنها مدينة جمونة و مدينة طولقة ومدينة مليلي و مدينة بنطيوس"[2].

ونجد أن الإدريسي يذكر منافذ جديدة للطريق حيث يقول :" ومن بجاية إلى ايكجان يوم و بعض يوم ومن بجاية إلى بلزمة مرحلتان و بعض .... ، و بين بجاية و طبنة سبعة مراحل"[3]، ثم يضيف في موضع آخر :" و بين المسيلة و القلعة ثمانية عشر ميلا ... و من المسيلة إلى طبنة مرحلتان و من المسيلة إلى مقرة مرحلة ، و من مقرة إلى طبنة مرحلة و بين طبنة و مدينة بجاية ست مراحل ، و كذلك من طبنة إلى باغاي أربع مراحل ، و من طبنة شرقا إلى دار ملول مرحلة كبيرة و بين دار ملول و نقاوس ثلاث مراحل..." [4].

"[4].

ثم يصف الطريق الجنوبي :" ومن مدينة طبنة إلى نقاوس مرحلتان ، ومن نقاوس إلى المسيلة أربع مراحل وقيل ثلاث ، و من مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان... "[5].

ومن خلال وصف الإدريسي لشبكة الطرق نجد أنه غير ملم بها في بعض المرات ، فمثلا يذكر من المسيلة إلى نقاوس أربع مراحل وقيل ثلاث ، و بين طبنة و نقاوس مرحلتان و الأصح هو مرحلة واحدة .

2- الطرق الدولية :

[1]- قلعة أبي الطويل تعددت تسمياتها و هي قلعة بني حماد ، أنظر :البكري ، المغرب في ذكر بلاد المغرب و إفريقية ، المصدر السابق ، ص ــ ص 50 – 51 .

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ص ــ ص 51 – 52 .

[3]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 260 .

[4]- نفس المصدر ، ج 01 ، ص ـ ص 261 – 264 .

[5]- نفس المصدر ، ج 01 ، ص 264 .

و نقصد من هذا العنوان أن الزاب و لموقعه الإستراتيجي الذي يربط الشرق بالغرب و الشمال بالجنوب ، ما بين القيروان شرقا إلى فاس غربا ، و إلى الأندلس شمالا ، و إلى سجلماسة و بلاد السودان جنوبا [1].

فالزاب يبعد عن القيروان بعشرة مراحل [2]، و تبعد عن سجلماسة بثلاثين مرحلة في البرية و خمسين مرحلة في العمارة [3]، و تبعد عن المدن الساحلية مابين ستة و ثمانية مراحل ، حيث يذكر الإدريسي أن الطريق ما بين طبنة و بجاية ستة مراحل [4]، أما من مدينة المسيلة إلى تيهرت مسيرة ثمانية أيام [5]، ويذكر ابن خرداذبة أن الطريق مابين القيروان و تيهرت يستغرق شهرا على الإبل[6] ، بينما يحدده البكري بتسعة عشر مرحلة [7]، و يذكره ابن حوقل على أنه " ينطلق من القيروان إلى غاية تيهرت و منها إلى فاس و طنجة "[8]، أما الطريق ما بين القيروان و سجلماسة فيذكر ابن حوقل أن " القوافل التجارية بين سجلماسة سجلماسة و القيروان عبر هذا الطريق حوالي شهرين "[9] .

فالطريق الرابط ما بين بلاد الزاب و القيروان يبتدأ من القيروان ليمر على سبيبة و منها إلى مرماجنة و منها يتفرع إلى قسمين : أحدهما شمالي غربي باتجاه تيجس ، و الآخر باتجاه الغرب ناحية مسكيانة و باغاية[10]، والطريق المنطلق من باغاية ينشطر إلى قسمين أيضا ، حيث يمر الفرع الأول عبر بلزمة ثم نقاوس ثم طبنة ، و يلتقي هذا الطريق مع الطريق المنطلق من تيجس و الذي يمر عبر قسنطينة ثم ميلة ثم سطيف فالمسيلة ثم

1- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 247 ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص ـ ص 260 – 265 .
2- اليعقوبي ،المصدر السابق ، ص 190 .
3- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 246 .
4- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 260 .
5- المقدسي ،المصدر السابق ، ص 247 .
6- ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص 88 .
7- البكري ، المصدر السابق ، ص 79 .
8- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 84 .
9- نفس المصدر ، ص 84 .
10- نفس المصدر ، ص 84 .

إلى مدينة آشير ، أما الفرع الثاني فيبدأ من باغاي ناحية دوفانة ثم دار ملول ليصل إلى طبنة ومنها إلى مقرة فالمسيلة لينتهي عند تيهرت[1] .

ثم نجد الطريق الجنوبي الذي يربط المسيلة بالقيروان ، حيث يذكر ابن حوقل أنه يبدأ من :

" المسيلة إلى مقرة و منها إلى طبنة ثم بسكرة ، تهوذا ، ثم إلى بادس ، ومنها إلى تامديت ثم مدالة فنفطة ثم إلى قسطيلية و منها إلى قفصة "[2].

أما الطريق الصحراوي فنجد أن الرحالة أهملوه في كتاباتهم و هذا نظرا لصعوبة الطريق ، حيث يصف ابن حوقل هذا الطريق : " ما بين بلاد المغرب و بلد السودان مفاوز و براري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي لا تسلك إلا في الشتاء ..." [3]، و يكون هذا الطريق يربط مابين تيهرت و القيروان عبر مدينة ورقلة ، فكان المسافر يخرج من تيهرت إلى وارجلان و منها إلى بسكرة ثم إلى القيروان ، و هذا الطريق كان مستعملا فيما مضى و إن أهمله الرحالة و هو نفس الطريق الذي سلكه الإمام يعقوب الرستمي عند مغادرته تيهرت فارا من أمام أبي عبد الله الشيعي[4] .

و يذكر الإدريسي المسافات بين بلاد الزاب و بلاد السودان : " ومن مدينة المسيلة إلى وارقلان اثنتا عشر مرحلة كبار .... ومن وارقلان إلى غانة ثلاثون مرحلة ، ومن وارقلان إلى كوغة نحو من شهر و نصف ... "[5]، و بشبكة الطرق هذه تحرك التجار بقوافلهم المحملة بمختلف السلع إلى أسواق إقليم الزاب ومنها إلى المدن المجاورة .

[1]- نفس المصدر ، ص ـ ص 84 -87 ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص ـ ص 260 – 262.

[2]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 87 .

[3]- نفس المصدر ، ص 100 .

[4]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 207 .

[5]- الإدريسي، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 296 .

المبحث الثاني : الزراعة أساليبها ووسائلها .

تعترض الباحث في علم الزراعة والغراسة صعوبات عديدة ترتبط أساسا بشح المادة التاريخية المتعلقة بكل الحقبة ، وسبب ذلك ندرة كتب الفلاحة الخاصة بتاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط وتناثر المعطيات في المصادر التاريخية و الجغرافية ، فحاولنا الاعتماد على كتب الرحلة و الجغرافيا في وصف خصوبة تربة الزاب و إنتاجها للمحاصيل الزراعية المتنوعة ، لكن الأوضاع الاقتصادية تتأثر مباشرة بالأحوال السياسية السائدة ، ولا يخفى أن المنطقة عاشت الكثير من الحروب و الصراعات مما يكون قد أثر على عمران و اقتصاد المنطقة ، و هذا ما دفع ببعض الباحثين إلى التشكيك فيما ورد من وصف لمدن و خيرات إقليم الزاب من قبل الجغرافيين و المؤرخين [1] الذين وصفوا خيرات مدن الزاب خلال فترة زيارتهم للبلاد.

و من أهم العوامل المؤثرة في نجاح الزراعة: توفر المياه ، نوعية التربة ، و المناخ الملائم.

أ–المياه :

عرف إقليم الزاب بغناه بمصادر المياه المتنوعة ، سواء الأنهار أو الأودية أو العيون أو الآبار و غيرها ... ، ومن المرجح أن بلاد الزاب استفادت من شبكة المياه التي أنشأها الرومان قديما مثل بنائهم للخزانات و السدود وحفرللآبار[2]، فالملاحظ أن معظم مدن الزاب ذات مناخ صحراوي جاف قليل التساقط المطري

[1]– نريمان عبد الكريم ، مجتمع إفريقية في عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،2000 ، ص204 .

[2]– محمد البشير شنيتي ، التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري و آثاره الاقتصادية و الاجتماعية ، مجلة الأصالة ، الجزائر ،العدد 41 ، 1978 ، ص 15 .

فبهذه الشبكة استطاع السكان توفير المياه الكافية في حياتهم اليومية ، وعن هذه الشبكة القديمة نجد أن الأغلبة بعد استقرار ملكهم بالمنطقة قاموا باستصلاح المزارع و تعمير قنوات الري المتضررة .[1]

فمساحة الزاب الكبيرة أنتجت تباينا في التساقط المطري ، فالمدن الواقعة شمالا ذات الطبيعة الجبلية غزيرة التساقط عكس المدن الجنوبية و المتاخمة للحدود الصحراوية فتتأثر بالمناخ الصحراوي الجاف القليل التساقط ، مما جعل مزارعي المنطقة يعمدون إلى حفر الآبار و الاستفادة من مياه الأودية و الينابيع .[2]

فتأتي مياه الأنهار و الأودية في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مياه الأمطار ، فمياه الأنهار جارية لكنها قد تفسد التربة بتدفقها و تؤثر في خصوبتها ، فيقوم الفلاح بتعويض ذلك بالسماد الطبيعي[3] .

أما عن الوسائل التي استعملها الفلاحون لسقاية أراضيهم والتي ربما تكون قد استخدمت أيضا بإقليم الزاب نجد :

***الدولاب :**

و هو عجلة صغيرة تعمل بحيوان واحد و تحمل الماء مباشرة من الصهريج[4]، و ذكر البكري أن الماء في المهدية :" يرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب ... " .[5]

***الناعورة :**

[1]- ممدوح حسين ، إفريقية في عصر الأمير ابراهيم الثاني الأغلبي – قراءة جديد تكشف افتراءات الفاطميين – ، دار عمار ، ط01 ، الأردن ، 1997 ، ص 44 .

[2]- نريمان عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ـ ص 204-205 .

[3]- ابن بصال ، كتاب الفلاحة ، نشر و ترجمة و تعليق : خوسي ماريه مياس بيكورسا ومُحَمَّد عزيمان ، د.د.ط ، تطوان ، المغرب ، 1955 ، ص 40 .

[4]- جودت عبد الكريم يوسف ،المرجع السابق ، ص 63 .

[5]- البكري ، السالك و الممالك ، ج02 ، المصدر السابق ، ص 199 .

أكبر من الدولاب و هي عجلة أو دولاب مثبت على قضيب يرتكز على قائمتين و تعمل بواسطة الحيوانات أو تيار النهر أحيانا [1]، و يذكر صاحب الاستبصار أن نهر بجاية " صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر ...".[2]

***الدالية :**

هي السانية و تدور عليها الدلاء الصغيرة ، وذكر ابن حوقل أن سوق كران له " مزارع و سوان " .[3]

***الشادوف :**

دلو مثل دلاء الدالية يحتاج لأربعة عمال لتشغيله .[4]

***الدلو :**

كان يستعمل لرفع الماء من البئر و يقوم برفعه إما الإنسان أو عن طريق الحيوان أو الإستعانةبالبكرة ، و عرفت هذه العملية بالنواضح [5]، و نجد البكري يذكر أن لأهل ودّان " زرع يسير يسقونه بالنضح ".[6]

***الجرة :**

حيث يقوم الرجل بوضع عصا على كتفيه يتدلى منها حبلان في كل منهما جرة لري الحدائق و البساتين[7] ، ووجدت آثارها بقلعة بني حمّاد .[8]

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 63 .

[2]- مجهول ، المصدر السابق ، ص 130 .

[3]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 89 .

[4]- عادل أبو النصر ، تاريخ الزراعة القديمة ، د.د.ط ، العراق ،1960 ، ص 98 .

[5]- القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، تح : آصف بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، القاهرة ،1963 ، ص 265 .

[6]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 176 .

[7]- عادل أبو النصر ، المرجع السابق ، ص 98 .

[8]- رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 281 .

فنجد أن الرحالة و الجغرافيين أطنبوا في وصفهم لغنى بلاد الزاب بمصادر المياه ، فمدينة طبنة بها صهريج كبير يقع في نهرها ومنه تسقى بساتينها ، ويشق المدينة جداول المياه وهي على نهر يعرف بنهر بيطام[1] ، ويشق مدينة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس [2]، وتحتوي على آبار داخلها ترتوي و تسقى منها [3]، أما جبل أوراس فهو غزير المياه [4]، ويصب في مدينة تهوذة نهر ينبع من جبل أوراس[5] ، وبلزمة مياهها مياهها جارية و آبارها غدقة [6]، ومدينة نقاوس كثيرة الأنهار[7] ، و تعرف مدينة مقرة بكثرة أنهارها[8] ، ، وأذنة كثيرة الأنهار و العيون العذبة[9] ، و مدينة المسيلة لها وادي سهر المعروف بغزارة مياهه [10]، و جداول المياه العذبة تشق المدينة .[11]

صدر المياه	المدن التي تتوفر بها	الكمية
الأنهار .	المسيلة ، طبنة ، نقاوس ، أذنة، بسكرة تهوذة ، باغاي ، بلزمة .	**كثيرة و متدفقة .**
الآبار	بلزمة ، باغاي ، بسكرة ، تهوذة .	**كثيرة .**
العيون	المسيلة ، بادس .	**متدفقة .**
الأودية	**باغاي ، المسيلة .**	**قليلة .**
جداول الماء	**طبنة ، المسيلة**	**قليلة .**

جدول رقم (02) : يمثل مصادر مياه مدن إقليم الزاب حلال العصر الوسيط

[1]- البكري ، المصدر السابق، ج02 ، ص – ص 229 – 230 .
[2]- مجهول ، المصدر السابق ، ص 173 .
[3]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 230 .
[4]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .
[5]- مجهول ، المصدر السابق ، ص 174 .
[6]- الإدريسي ، المصدر السابق ، مج 01 ، ص 270 .
[7]- البكري ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 228 .
[8]- نفس المصدر ، ص 230 .
[9]- البكري ، المصدر السابق، ج02 ، ص 348 .
[10]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 86 .
[11]- مجهول ، المصدر السابق ، ص 172 .

ب– التربة :

عرف إقليم الزاب توفر عوامل ظهور زراعة ناجحة من استقرار بشري و تنوع في التربة و المناخ ، فنوعية التربة هي المتحكم في إنتاج المحاصيل الزراعية و امتازت باختلافها مابين شمال الإقليم إلى شرقه و غربه إلى جنوبه ، فكان لهذا التنوع اختصاص كل منطقة بمحاصيل تختلف عن المناطق الأخرى ، وقسم المختصون الأرض إلى :

***الأرض والتربة الحمراء :**

تنتج الأراضي ذات التربة الحمراء محاصيل متنوعة مثل : التفاح ، الإجاص ، التوت ، اللوز ، الورد ، ومن مزروعاتها أيضا الخرشف و إلى ما غير ذلك.[1]

*** الأرض الحرشا :**

هي تربة يابسة و باردة يمكن استصلاحها وتنتج من الثمار : الفستق ، الجوز ، اللوز ، التين ، إضافة إلى الخضر مثل الباذنجان ، القرع ، السفرجل ، الخوخ ، الرمان و الصنوبر.[2]

***الأرض الرملة :**

هي تربة تبرد مع برودة الهواء ، و تسخن في فصل الخريف ومن منتجاتها النخيل و التين الشوكي ....[3]

***الأرض الجبلية :**

أرض مائلة إلى الحروشة وهي باردة ويابسة لا يصلح فيها كل الثمر ، ومن محاصيلها البلوط ، القسطل ، التين ، اللوز و الفستق .[1]

---

[1]– **ابن بصال** ، المصدر السابق ، ص 47 .

[2]– نفس المصدر، ص 47 .

[3]– نفس المصدر ، ص 43 .

***الأرض السوداء المحترقة الوجه :**

و هي أرض يابسة و مالحة ، لكن في الشتاء تقل ملوحتها و تصلح فيها المحاصيل التالية : الكتان ، الفول ، الخردل و جميع الخضر في وقت البرد .[2]

- **عناصر العمل الزراعي :**

يعتمد حرث الأراضي و زراعتها العديد من الوسائل و التقنيات لضمان محصول وفير وجيد :

أ/ الأرض : دقق المشرع في أحكام الأرض سواء كانت أرضا خاصة أو إقطاعا أو حبسا أو مشاعا [3].

ب/ المحراث : يتكون من أجزاء خشبية و أخرى من حديد وهي السكة ، ويستعمل لتقليب الأرض وحرثها وإلى جانبه يحتاج الفلاح إلى أداة الحرث أو ما يعرف بالماعون وتتكون من عناصر عدة من بينها : المضمد على الزوج و القرن بالحبال والرسن و القتب والشكال[4] .

ج/ الزوج : عادة ما تكون من البقر و تستعمل أيضا للحرث وجرف الأرض [5].

د/ البذور : و يطلق عليها محليا أيضا الزريعة ، وتشمل لحبوب و القطاني و الفواكه ، و قد يتولى البذر عامل بدل الذي يحرث الأرض [1].

---

[1]- نفس المصدر ، ص 42 .

[2]- نفس المصدر ، ص 48-49 .

[3]-محمد حسن ، أصناف الإنتاج الزراعي بإفريقية من القرن 6هـ / 12م إلى القرن 9 هـ/15 م ، ضمن كتاب : الفلاحة و التقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط ، إشراف : حسن حافظي علوي ،منشورات عكاظ ، الدار البيضاء ، 2011 ، ص 268.

[4]- محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 268.

[5]- يوسف النكادي ، أساليب الزراعة و الغراسة و التناوب بين الاستغلال و الاستراحة في الأندلس خلال لقرن الخامس هجري ، ضمن كتاب : الفلاحة و التقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط ، إشراف : حسن حافظي علوي ،منشورات عكاظ ، الدار البيضاء ، 2011 ، ص 247.

هـ/ العمل : يشترك فيه الرقيق و الأجير و الخماس والمالك للعقار وكذلك المرأة و الرجل على حد سواء ، وتمر زراعة الحبوب و البقول بمراحل متعددة قبل البذر لخصها الفرسطائي بقوله : " فقلّبها و انزع منها الحطب و أصلحه بالسماد وهيئ مساقيها ومصارفها " [2].

2/ تقنيات الغراسة [3] :

يطلق على عمارة الأشجار الغرّاس أو الغراس مثل النخيل و التين و الزيتون و الرمان وغيرها، و تنقسم أنواع الغرس إلى ثلاثة :

أ/ الترقيد : وهو وضع غصن من النباتة في الأرض مثل الياسمين .

ب/ الفسل : وهي غراسة جذع وغصن من الشجرة مثل الكرم و الزيتون ، وكان الزيتون يغرس نقله و أوتاده.

ج/ التركيب أو التطعيم : وهي أن تزرع نوى أو أعراف من الشجرة ثم يقع التركيب بصنف جيد .

- **المحاصيل الزراعية بإقليم الزاب :**

أشار المسعودي إلى أنواع المحاصيل الزراعية بقوله : " إن آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها ومعه صرة من الحنطة وثلاثون قضيبا من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمار منها : عشرة مما لها قشر وهي : الجوز و اللوز والجلوز[4] وهو البندق ،و الفستق و الخشخاش[1] والشاه بلوط[2] ، و الرانج[3] و الرمان والموز و

---

[1]- مُحَمَّد حسن ، المرجع السابق ، ص 269 .

[2]- أبو العباس الفرسطائي ، القسمة و أصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية ،تحقيق : بكير بن مُحَمَّد الشيخ بلحاج و مُحَمَّد صالح ناصر ، جمعية التراث القرارة ، ط02 ، غرداية ، 1997 ، ص 278.

[3]- مُحَمَّد حسن ، المرجع السابق ، ص 270 ، 271 .

[4]- **الجلوز** من جنس الشجر العظام ، ورقه كورق التوت البستاني ، أوراقه تميل إلى الاصفرار وهي لينة مشرقة الجوانب لا زهر لها ، أنظر : أبو الخير الإشبيلي ، عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب ، تحقيق : مُحَمَّد العربي الخطابي ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1990 ، ص 169.

البلوط ، ومنها عشرة ذات نوى وهي : الخوخ و المشمش و الإجاص و الرطب والغبيراء[4] و النبق و الزعرور و العناب و المقل و الشاهلوج (هذا اسم فارسي تفسيره ملك الإجاص) ، ومنها عشرة مما لا قشر لها ولا حجاب عن مطعمها ولا نوى داخلها و هي : التفاح و السفرجل والعنب و الكمثري والتين و التوت و الأُترج و القثاء و الخيار و الخروب "[5] ، فكانت محاصيل إقليم الزاب كالتالي :

أ/الحبوب :

اعتبر القمح و الشعير و الحنطة أهم المزروعات في إقليم الزاب نظرا لأهميته و ارتباطه بمعيشة السكان ، فطبنة كبيرة البساتين و الزروع و القطن و الحنطة و جميع الحبوب فيها غزيرة [6] ، و من غلات مدينة المسيلة الحنطة و الشعير[7] ، أما مدينة مقرة فتتوفر على مزارع و حبوب [8] ، ومدينة باغاي أكثر غلاتهم الحنطة و الشعير[9] ، وكان أهل بادس يزدرعون الشعير مرتين في العام[10] .

ب/الأشجار المثمرة :

---

[1]- **الخشخاش** وهو أنواع عديدة و كثيرة فمنه البري و منه البستاني و سمي بالخشخاش من الخشخشة ، أنظر ، أبو الخير الإشبيلي ، نفس المصدر ، ص 278.

[2]- الشاه اسم فارسي و البلوط شجر له حمل يؤكل ويغتذى بثمره ويدبغ بقشره ، أنظر : مُحَّد حسين آل ياسين ، معجم النباتات و الزراعة ،ج01، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ، 2000 ، ص 486.

[3]- ويعرف أيضا باسم النارجيل ، وهو جوز الهند وينبت بعمان ، أنظر : نفس المرجع ، ص156.

[4]- شجرة مشهورة ، خشبها اصبر خشب على الماء ويبقى طويلا به ولا يتعفن ، لذلك تتخذ أبواب بيوت الحمامات منها ، أنظر : ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في الحيوان و النبات و المعادن ، ج20 ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 2000 ، ص 255.

[5]- أبو الحسن علي المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج01 ، تحقيق : مُحَّد السويدي ، موفم للطباعة و النشر ، الجزائر ، 1989 ، ص 28.

[6]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 ، مجهول ، المصدر السابق ، ص 172 ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 263.

[7]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85

[8]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 263 .

[9]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 84.

[10]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 75.

*** أشجار النخيل :**

توفرت أشجار النخيل بكثرة في مدن إقليم الزاب وأنتجت مختف أنواع التمور الجيدة ، فطبنة كثيرة النخيل و التمر بها كثير [1]، وبسكرة كثيرة النخيل و بها التمور بعدة أنواع مثل الكسبا و اللباري الأبيض الأملس [2] ، وبمدينة تهوذة تكثر النخيل [3] .

*** أشجار الزيتون :**

توفر شجرة الزيتون بإقليم الزاب منذ أيام الرومان الذين عمدوا على غرسه ليكون من أهم المصادر الاقتصادية للدولة [4]، و توفر الزيتون بكثرة في العديد من المدن ، فبسكرة "كثيرة النخيل و الزيتون " [5]و [5]و مدينة أذنة لها قرية يكسم" زيتها أطيب الزيوت" [6].

*** أشجار الجوز و اللوز :**

عُرفت مدينة نقاوس بكثرة جنان اللوز والجوز ، حيث يصفها الإدريسي : " ... كثيرة الشجر و البساتين و أكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار ... " [7]، وتقع بشرقها مدينة اللوز[8].

اللوز[8].

*** الكروم :**

[1]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص172 ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ،ص 263.

[2]- الاستبصار، المصدر السابق ، ص173 ، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق ، ص 126 .

[3]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 259 .

[4]- مُحَمَّد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة ، المرجع السابق ، ص109.

[5]- الاستبصار ، المصدر السابق ، ص 173 .

[6]- البكري ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 348 .

[7]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 264 .

[8]- **مدينة اللوز**، هي مدينة لمبريدي حاليا ، أنظر : الطاهر طويل ، المرجع السابق ، ص 145 .

ذكرت المصادر الجغرافية عن توفر أشجار العنب بالعديد من مناطق الزاب ، فالمسيلة لها كروم و أجنة كبيرة [1] و نقاوس لها جنان تحتوي على فواكه اللوز و الكروم[2].

*** التين و الرمان :**

توفرت ثمار التين و الرمان بكل من مدينتي بسكرة و نقاوس [3]، وأشاد الوزان بتين نقاوس الذي عده أشهر تين بالبلاد و يحمل منه الكثير إلى قسنطينة[4].

*** السفرجل :**

عرف السفرجل كإنتاج وفير بمدينة المسيلة الذي يحمل منه الكثير إلى مدينة بجاية [5].

*** القطن و الكتان :**

كان القطن و الكتان أحد أهم المحاصيل الزراعية في مدينة طبنة[6] ، أما سكان مدينة مقرة فكانوا يزرعون يزرعون الكتان و هو عندهم كثير[7] ، ومن غلات مدينة المسيلة القطن [8].

ج/ الثروة الحيوانية :

ومن البديهي أن يهتم الإنسان بتربية و تدجين الحيوانات ، فهي تساعده في بعض الأحيان في الحرث ونقل المحاصيل أو لتكون مكملا غذائيا له أو حتى في المنتجات الصناعية مثل الألبسة ، لذلك نجد أن بلاد الزاب اشتهرت بتربية الحيوانات و غزارة إنتاجها الحيواني المختلف ، فتذكر كتب الرحلة عن مدن الإقليم أن

[1]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85.
[2]- الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 172.
[3]- ابن الحاج النميري ،المصدر السابق ، ص 440.
[4]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 53.
[5]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .
[6]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 228 .
[7]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 263.
[8]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85.

مدينة طبنة وافرة الماشية من البقر و الغنم و سائر الكراع و النعم[1] ، ويدخل في هذا الوصف الدواجن و حتى الإبل الذي يستطيع التأقلم مع مناخ المدينة .

أما مدينة المسيلة أيضا فهي كثيرة المواشي من الدواب و الأنعام و البقر [2]ويصفها البكري على أنها كثيرة اللحم [3]، و جبل أوراس وافر الماشية من سائر النعم و الكراع [4]، و كلمة النعم و الكراع تشير إلى إلى البقر و الغنم و الماعز و أنواع الطيور الداجنة و الخيل و البغال .

فهذه الثروة الحيوانية الهامة استعملت في حياة الإنسان الزابي إما مكملا غذائيا أو مساعدا له في أعماله اليومية ، إلا أن الحيوانات أيضا كانت تستعمل للركوب و التنقل و المشاركة بها في الحروب مثل الخيول و البغال أو الحمير لقوة تحملها [5]، و خير مثال هو ثورة أبو يزيد الذي اشتهر بحماره الذي يتنقل عليه .[6]

المبحث الثالث : الصناعة و المهن .

تختلف الصناعة من مجتمع إلى آخر باختلاف درجة التطور التي لحقها المجتمع ، فصنائع المجتمع البدوي تختلف عنها في المجتمع الحضري ، فترتكز الصناعة عند البدو حول توفير الطعام و الملبس و الخيام و بعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن ، إذا فالمجال الصناعي في المجتمع البدوي ضيق[7] ، يقول ابن خلدون خلدون عن ذلك : " العمران البدوي لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات :

[1]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .
[2]- نفس المصدر ، ص 85 .
[3]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 240 .
[4]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .
[5]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 65 .
[6]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 217 .
[7]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 77 .

من نجار أو حداد أو خياط أو حائك "[1] ، فإذا كبر المجتمع وتحضر دعت أمور الترف إلى استعمال صنائع أخرى .[2]

أما المجتمع الحضري فيختلف عن البدوي ، حيث يستبحر فيه العمران و يكثر السكان و يتطلعون إلى أكثر من ماهو ضروري أي الكماليات ، فيذكر ابن خلدون عن هذا الجانب : "إذا بحر العمران و طلبت فيه الكماليات كان من جملتها التأنق في الصنائع و استجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدات صنائع أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف و أحواله من جزار و دباغ و خراز[3] و صائغ و أمثال ذلك " .[4]

فإذا عظم العمران وزاد اتساعه ظهرت صناعات أخرى مثل :" الدهان و الصفار[5] و الحمامي[6] و الطباخ الطباخ و الشماع [7]و الهرّاس [8]ومعلم الغناء و الرقص وقرع الطبول على التوقيع " .[9]

فابن خلدون هنا يربط بين اتساع العمران باتساع ميدان الصناعة ، فيذكر أنه : " إذا عظم عمران المدينة و كثر ساكنها ، كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ و كثر الصناع إلى أن تبلغ غايتها من ذلك ... فإذا تراجع عمرانها قلت الصنائع لأجل ذلك " .[10]

ومما لاشك فيه أن حواضر و مدن بلاد الزاب شهدت حركة صناعية متنوعة ، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى النمو الزراعي وتعدد المحاصيل و كثرة الثروة الحيوانية إضافة إلى وقوعها في مفترق التجارية الداخلية و الخارجية مما أنعش حركة الصناعة بها ، و تظهر عدة عوائق في ترويج الصنائع لعدة أسباب أهمها

---

[1]- ابن خلدون ، المقدمة ج02 ، المصدر السابق ، ص 91 .

[2]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 78 .

[3]- الخراز ، هو صانع الأحذية ، و الخرازة حرفته .

[4]- ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 91 .

[5]- **الصفار** ، وهو الذي يشتغل بصناعة الصفر وهو نوع من النحاس .

[6]- **الحمامي** ، الذي يتعهد الحمامات ويزاول صناعتها .

[7]- **الشماع** ، الذي يبيع الشمع أو يشعله .

[8]- **الهرّاس**، يطحن الحبوب و غيرها .

[9]- ابن خلدون ، المقدمة ، ج02 ، المصدر السابق ، ص 91 .

[10]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 96 .

: التشابه الصناعي بين مختلف مدن الزاب حيث كانت صناعة المنطقة قائمة بشكل أساسي على الإنتاج الفلاحي و الحيواني فهي تشمل معالجة الحبوب بالطحن و العجن ، و الصناعات النسيجية و الصوفية و الصناعات الجلدية ، و هذا ماهو متوفر في سائر المنطقة مما يدخل الصناعة في حالة ركود لقلة الطلب .[1]

ولذلك تغلب الصناعة الحرفية على صناعة بلاد الزاب ، لكن هذا الأمر لم يكن عائقا أمام تطور تلك الصناعة وزيادة الإنتاج و التي سمحت بتغطية الطلب المحلي و تمويل الأسواق الخارجية[2]، و من خلال ما تقدم يمكننا تقسيم صناعة بلاد الزاب إلى :

أ–الصناعة الزراعية : تعتمد هذه الصناعة على الإنتاج النباتي و الحيواني ، وتنقسم إلى :

1–صناعة النسيج :

كانت صناعة النسيج أحد أهم الصناعات في العصور الوسطى ، فالنسيج تصنع منه الملابس أو الأثاث المنزلي أو لصناعة الخيام ، فعن صناعة النسيج لاستعماله بالمنازل نجد الحموي يذكر عن مدينة تبسة : " بها بسط جليلة محكمة النسيج يقيم البساط منها مدة طويلة ".[3]

فكان إقليم الزاب غنيا بالمادة الأولية لصناعة النسيج ، فطبنة حسب الإدريسي" بها صنائع و هي كثيرة القطن "[4] ، وأهل مقرة " يزرعون الكتان و هو عندهم كثير "[5]، و مدينة المسيلة " من أكثر غلاتها القطن " .[6]

و يصف البكري لباس البربر على أنهم يرتدون برانس سود حصينة لا ينفذها الماء ، و صنعوا أيضا الأردية ومنها القلانس المصبغة و القمصان و السراويل و المناديل و غيرها .[1]

---

[1]– جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص ـ ص 86–87 .

[2]– صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 85 .

[3]– الحموي ، المصدر السابق ، ج 03 ، ص 363 .

[4]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 263 .

[5]– نفس المصدر ، ج 01 ، ص 263 .

[6]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

2- صناعة الصوف :

تعتمد هذه الصناعة بالدرجة الأولى على صوف الأنعام ، وهذا ماكان متوفرا بكثرة ببلاد الزاب ، حيث كانت مدينة المسيلة " كثيرة المواشي من الدواب و الأنعام و البقر "[2]، و مدينة طبنة" وافرة الماشية من البقر و الغنم و سائر الكراع و النعم "[3] ، وجبل أوراس " وافر الماشية من سائر النعم و الكراع "[4]، و مدينة بلزمة كذلك ... ، إن هذه الثروة الحيوانية ساهمت في نشوء صناعة محلية سرعان ما انتقلت مع القوافل التجارية باتجاه المدن المختلفة مثلما ورد عن ابن الصغير عن وجود أكسية الصوف في تيهرت .[5]

3- صناعة الكتان :

كان نسيج الكتان يستعمل في صناعة الثياب و غيرها[6] ، فتحدث الرحالة عن غنى بعض مدن الزاب بمحاصيل الكتان مثل مدينة طبنة التي عرفت زراعة الكتان[7] ، و مدينة مقرة التي زراعة الكتان بها كثيرة [8].

4- صناعة القطن :

كان محصول القطن من بين أهم محاصيل بلاد الزاب ، و كانت زراعة القطن متوفرة بمدينتي طبنة و المسيلة ، و ساهم هذا المنتوج في ظهور الصناعة القطنية مثل الملابس القطنية ، واستعمل أيضا في مجال التداوي ، و يذكر الحموي عن خداع الصناع أنهم " كانوا يحفظونه في مناطق ندية فيزيد وزنه" . [1]

---

[1]- البكري ، المغرب ... ، المصدر السابق ، ص 147 .

[2]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

[3]- نفس المصدر ، ص 85 .

[4]- نفس المصدر ، ص85 .

[5]- **ابن الصغير المالكي** ، أخبار الأئمة الرستميين ، تح: مُحَّد ناصر وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص 377 .

[6]-حيان بن خلف **ابن حيان** ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تح: محمود علي مكي ، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1978 ، ص 40

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85 .

[8]- الإدريسي ، المصدر السابق، ج01 ، ص 263 .

5- الصباغة :

عرفت بلاد الزاب صباغة الأقمشة و الملابس و غيرها ، و كانت أغلب الأصباغ نباتية ومن بين الأصباغ الحناء لكنها اقتصرت على ملابس النساء دون الرجال [2]، و تشير المصادر على أن اليهود و النصارى هم من احتكروا هذه المهنة .[3]

ب- الصناعة الغذائية :

عمل إنسان الزاب كغيره على توفير لقمة عيشه بيده ، فتعددت الصناعات الغذائية و أهمها :

1-عصر الزيتون :

عرفت بلاد الزاب توفر شجرة الزيتون منذ أيام الرومان الذين عمدوا على غرسه ليكون من أهم المصادر الإقتصادية للدولة [4] ، و نجد عند الرحالة أوصافا حول توفر بلاد الزاب على الزيتون ، فمدينة بسكرة " **كثيرة النخيل و الزيتون** [5]" ، و مدينة أذنة لها قرية يكسم" **زيتها أطيب الزيوت** "[6].

و من اشتقاقات صناعة الزيتون نجد تصبير حبه و يستعمل طعاما ، أما زيته فيدخل في عدة استعمالات سواء في تحضير الطعام أو يؤكل بالخبز أو يستعمل للإضاءة أو للعلاج ، و كان عصر الزيتون يتم بطريقة بدائية و هي متبعة إلى الآن فحبوب الزيتون تهرس بواسطة عجلة يديرها حيوان ، ثم يمر الزيت المهروس إلى المعصرة ثم تأتي المرحلة الثانية حيث يتم غلي الزيتون و عجنه ثم يترك في أحواض فيطفو الزيت ، ثم يحفظ في قلال أو زقاق من جلود الأغنام .[7]

---

[1]- الحموي، المصدر السابق، ج02، ص 257.

[2]- القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 305 .

[3]- القاضي عياض، تراجم أغلبية ، نشر : مُحَمَّد طالبي ، نشر الجامعة التونسية ، تونس ،1968 ، ص 106 .

[4]- مُحَمَّد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 109 .

[5]- مجهول، المصدر السابق، ص 173 .

[6]- البكري ، المسالك و الممالك ، ج.02 ، المصدر السابق ، ص 348 .

[7]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ـ ص 46-47.

2- الأرحية :

بما أن بلاد الزاب اشتهرت بغناها بشتى محاصيل الحبوب ، فكان الغذاء الأساسي للسكان يتكون من محاصيل القمح و الشعير و الحنطة ، فكانت الحنطة تدخل في صناعة الخبز و بعض أنواع الطعام و الحلويات وساعد على ذلك قابلية تخزينها ، فيذكر الإدريسي على أن الحنطة تختزن في قلعة بني حماد "فيبقى العام و العامين لا يدخلها الفساد و لا يعتريها التغيير " .[1]

فكانت الأرحية توضع على أفواه الأنهار فإذا خرج الماء أدارها ، و هناك بعض الأرحية التي كانت تدار بواسطة الحيوان [2]، و إلى جانب هذه الأرحية كانت هناك أرحية أخرى متنقلة تدار باليد في المنازل[3] .

3- الخبّاز :

كانت طريقة تحضير الخبز تقوم على طريقتين : إحداها بالمنزل و الأخرى في الفرن ، و كانت الأفران بنوعيها متوفرة في كل مكان ، فكان بعض الرجال يبيعون الخبز المصنوع في المنزل في الأسواق ، و كان تحضير الخبز في الفرن أو شراؤه من السوق هو الغالب على أهل المدن .[4]

4- تجفيف الفواكه :

من الأرجح أن سكان بلاد الزاب قد قاموا بتجفيف الفواكه المنتجة بأراضيهم ، فإذا توفر المحصول بكثرة يستعمل الفائض منه في التجفيف أو البيع ، فعرفت مدن بلاد الزاب محاصيل الفواكه التي من الممكن استعمالها في التجفيف مثل مدينتي نقاوس و المسيلة التي توجد بها فاكهة السفرجل بكثرة ، وقام السكان أيضا بصنع معجون الفواكه و الرب مثل معجون و رب السفرجل ، و التي ذكر بخصوصها صاحب كتاب الاستبصار أن جيجل " تحمل منها الفواكه و العنب و الرب إلى مدينة بجاية " .[5]

---

[1]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 261 .

[2]- المقدسي، المصدر السابق، ص 125.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 108.

[4]- نفس المرجع، ص ـ ص 109-110 .

[5]- الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 128 .

5- بعض الصناعات و المهن الغذائية :

لقد تعددت الصناعات و المهن المرتبطة بالغذاء لدى إنسان الزاب مثله مثل غيره خاصة بعد التطور العمراني ، فظهرت مهن متعددة مثل : الطباخ و صانع العطور و ربما صنع الخمر بالزاب لتوفرها على منتوج الكروم .[1]

وامتهن الإنسان الزابي أيضا صناعة الحصر و التي تُعمل من الحلفاء أو القصب أو حتى من سعف النخل و كل هذه المواد متوفرة ببلاد الزاب ، و عرفت المنطقة كذلك صناعة الغرابيل و التي هي ملازمة للحبوب المتوفرة بالمنطقة ، فربما شهدت جل مدن بلاد الزاب هذه الصناعة[2] ، و امتهن سكان بلاد الزاب أيضا مهنة استخراج الملح ، والذي كان متوفرا بمدينة بسكرة [3] .

ج- الصناعة المعدنية :

كانت هذه الصناعة تعتمد على مصدرين هامين و هما المعدن و الخشب ، فالخشب بالزاب متوفر لكثرة الغابات و الجبال ، أما المعادن فكانت غائبة بالإقليم، ومن الممكن أنها استوردت مع القوافل التجارية ، ومن الصناعات المعدنية صناعة السلاح التي تقل المعلومات حول صناعته بالزاب ، فنجد أن مدينة الغدير بالقرب من المسيلة اشتهرت بصناعة الدروع حتى أصبحت تعرف بغدير الدروع .[4]

ويرد نص عن القاضي النعمان مفاده أن الداعي الشيعي لما حاصر مدينة بلزمة "كان فيهم رجل من أهل مجانة يصنع لهم المجانيق و العرادات آلات الحروب "[5] ،و حين تم إلقاء القبض على أبي يزيد صاحب الحمار" جُعل في قفص من حديد "[6].

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق ، ص ـ ص 110-114 .

[2]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق ، ص ـ ص 110-111 .

[3]- البكري ، المسالك و الممالك ج02 ، المصدر السابق ، ص 231 .

[4]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 121 .

[5]- القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، المصدر السابق ، ص178.

[6]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 220 .

كما صنع من الحديد بعض الأدوات المنزلية مثل الأبواب و السكاكين و المقص و الإبرة و الملاعق و الكلاليب و أمواس الحلاقة و المواقد ، إضافة إلى جذوات الخيول و بعض أدوات الفلاحة كالمحراث و الفؤوس و غيرها ، و صنعت أيضا السلاسل الحديدية و الأقفاص [1].

أما صناعة النقود فيمكن القول من اختصت بالدولة فقط و هي من ضربت السكة [2]، أما الذهب و الفضة كانتا غير متوفرتين بالزاب ، و يمكن الإشارة إلى توفر مادة النحاس بجبل كتامة[3] ، و منه تصنع بعض الأواني المنزلية مثل المهارس و الطناجر النحاسية و الكؤوس [4].

د– صناعة المنتجات الحيوانية :

نظرا لتوفر بلاد الزاب على الماشية و مختلف النعم ، ظهرت عدة صناعات و مهن مصاحبة لهذه الثروة الحيوانية من بينها مهنة الجزّار و القصّاب ، و قد حمل صاحب المهنة لقب الجزّار مثل : أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم بن الجزّار[5] ، و ظهرت أيضا مهنة متعلقة باللحم مثل الشوائين [6].

ومن بين المهن أيضا مهنة الدباغة و التي عرفت ببلاد الزاب نظرا لتوفر المواشي و يستعمل في صناعتها قشور الرمان و القرظ و الشب و السماغ ، فيذكر ابن حوقل أن مدينة قابس بها " جلود تدبغ بالقرظ "[7]، و كانت هذه الصناعة تقام خارج المدينة لأن رائحتها كريهة ، ويرتبط بهذه الصناعة صناعات جلدية أخرى مثل صنع الطبول و الدفوف و القِرَبْ و الأحذية [8].

هـ – الصناعة الطبية :

[1]– جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 121 .
[2]– نريمان عبد الكريم ، المرجع السابق ، 210 .
[3]– البكري ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 83 .
[4]– جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق ، ص 103 .
[5]– ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 400 .
[6]– جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق ، ص 115 .
[7]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 72 .
[8]– جودت عبد الكريم يوسف ،المرجع السابق ، ص 116 .

إن طبيعة بلاد الزاب الجغرافية وتنوع النباتات التي استعملها الإنسان في التداوي مثل القطن ، و نبات الشيح و غيرهما من النباتات ، ويصور لنا الإدريسي صعوبة الحياة بقلعة بني حمّاد زمن الصيف لكثرة العقارب فيقول عن ذلك : " و بهذه المدينة عقارب كثيرة سود و تقتل في الحال و أهل القلعة" يتحرزون منها و يتحصنون من ضررها و يشربون لها نبات الفوليون الحراني و يزعمون أنه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل "[1].

و– الصناعات البنائية :

كان البناء من أهم المهن الأساسية للإنسان الزابي و هذا تماشيا مع حركة الإعمار بالمنطقة سواء لبناء بيوت أو قصور أو حصون أو أسوار[2] ، ووجدت آثار بقلعة بني حماد تحتوي على الخزف المعماري من قرميد و آجر[3] ، وخير دليل على إتقان إنسان الزاب لمهنة البناء هو قيام زيري بن مناد عند بنائه لمدينة أشير قام باستقدام البنائين من طبنة و المسيلة و سوق حمزة[4] ، كذلك صنع سكان الزاب الفخار لاستعماله في المنازل مثل القلال و الجرات و الأطباق و الكؤوس و غيرها[5] ،كما يمكن أن سكان الإقليم عرفوا الصناعة الخشبية و هذا راجع لتوفر المنطقة على الأخشاب فصنعت الكراسي و الأسرة و السهام و الأقواس[6] .

ي – الصيد :

يعتبر من المهن التي احترفها أهل الزاب سواء في صيد الحيوانات البرية أو الطيور أو الأسماك ، حيث كان سكان المسيلة يصطادون السمك من نهر سهر ومنه يحمل إلى قلعة بني حماد [7].

---

[1]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 255 .

[2]– ممدوح حسين ، المرجع السابق ، ص 50 .

[3]– رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 118 .

[4]– الهادي روجي إدريس ،المرجع السابق ، ج01 ، ص 44 .

[5]– جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 118 .

[6]– نفس المرجع ، ص 117 .

[7]– الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 254 .

المبحث الرابع : التجارة الداخلية و الخارجية .

يرى ابن خلدون أن الإنسان المدني بالطبع يحتاج إلى الفلاح و الحداد و النجار من أجل بسط حاجاته الغذائية [1]، فبذلك خرج الإنسان من قوقعته و حاول كسب قوت يومه من التجارة .

لقد كان موقع بلاد الزاب الإستراتيجي و ما يحيط به من شبكة مواصلات سواء القديمة منها و التي أنشأها الرومان أو الطرق الجديدة المتفرعة من الطريق القديم سبيل هام في تحرك القوافل التجارية ، و الملاحظ أن هذه القوافل كانت تسير على الطرق المأهولة حيث أن بين المدينة و الأخرى إما مرحلة أو مرحلتين [2].

كما لا يخفى علينا أن نجاح التجارة مرهون بالحالة السياسية للبلاد ، فإذا كان الوضع آمنا تحركت القوافل أما إذا كان العكس فتتوقف عن المسير ، و بلاد الزاب عرفت استقرارا كبيرا و رفاهية في الحياة أيام حكم الأغالبة لتسوء الحالة و تظهر الصراعات مع حكم الدولة الفاطمية للمنطقة بينها وما بين نظرائها من زناتة ، الذين استقلوا بكثير من المناطق و سيطروا على المنافذ و الطرق و فرضوا الضرائب على القوافل التجارية [3].

و على العكس من ذلك أفرزت هذه الحالة السياسية ظهور مدن جديدة مثل مدينة المسيلة التي أنشأها الفاطميون كمركز سياسي لحماية الدولة من الأخطار القادمة من الغرب ،كما لعبت دورا اقتصاديا هاما فهي تقوم بتأمين الطريق التجاري الممتد ما بين سجلماسة و القيروان ، حيث أن الطريق التجاري الشمالي

[1]- ابن خلدون، المقدمة ،ج01 ، المصدر السابق ، ص 137 .

[2]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص206 .

[3]- الحبيب الجنحاني ، العلاقات السياسية ... ، المرجع السابق ، ص344 .

مهدد من قبل أمويي الأندلس ، و الطريق الجنوبي الصحراوي تسيطر عليه قبائل زناتة[1] ، فانتقل مركز بلاد الزاب إليها في العهد الفاطمي [2].

و باستثناء بعض الحالات، كان تنقل القوافل و البضائع عبر مختلف المناطق عاديا و لم تتأثر التجارة بالعوامل السياسية حتى في ظل سيطرة القبائل على الطرق، حيث كانت تدفع ضريبة معينة للمرور[3] .

***الأسواق:**

كانت الأسواق تقام حول التجمعات السكانية ، وفيها يقوم السكان بتبادل السلع ويتزودون بما يحتاجونه ، و قامت الأسواق أيضا على اشتهار منطقة ما بسلعة معينة فيحدث فائض في الإنتاج مما يستدعي إقامة سوق لصرف هذا الفائض فيقصدها الناس من قريب أو بعيد ، ولقيامه أيضا يجب توفير الأمن فكانت الأسواق تمثل المركز الاقتصادي للمدينة أو المنطقة فكان يجذب إليه مختلف الشرائح و الأصناف السكانية [4].

وتختلف وظائف السوق فهو ليس مقتصرا على البيع و الشراء فقط بل تتعدها إلى وظائف أخرى سواء اجتماعية أو ثقافية أو تربوية و غيرها ، فنجد الإدريسي يتحدث عن سوق ريغة حيث " يباع بها و يشترى و يقضى منها حوائج أخرى "[5] ، ومن بين هذه الحوائج أنه كان مكانا للتشهير بالناس حيث يذكر الخشني أن سليمان بن عمران طلب من غلامه أن يذهب إلى صاحب سوق الجمال و أن يطلب منه أن يبعث له بأربعة جمال " حتى أطوّف عليها رجالا شهدوا عندي زورا "[6].

---

[1]- الحبيب الجنحاني ، دراسات في التاريخ .... ، المرجع السابق، ص 81.

[2]- الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 248 .

[3]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ـ ص 72- 74 .

[4]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، 135 .

[5]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 254 .

[6]- الخشني القروي ، قضاة قرطبة و علماء إفريقية ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب ، ط02، القاهرة ، 1989 ، ص 238 .

كما كان السوق ملجأ للفارين و ميدانا للبحث عنهم ، و ينقل عبد الواحد المراكشي قول ابن عمار (ت 479 هـ / 1091 م) :

أصبحت في السوق يُنادى على *** رأسي بأنواع من المال

و اللّه ما جار على ماله *** من ضمّني بالثمن الغالي [1]

كما كان للسوق وظيفة ثقافية وهي المناظرة العلمية ، حيث جرت مناظرة بين أبي عمران الفاسي و فقهاء القيروان حول مسألة الكفار : هل يعرفون الله تعالى أولا ،" وعظمت حتى كثر الجدال بها في الأسواق "[2]، و إلى غيرها من وظائف السوق .

لقد عرفت بلاد الزاب و مدنها أسواقا عامرة ، فكان "لمدينة المسيلة أسواق"[3]، أما مدينة طبنة بها سماط و أسواق حسب البكري : " سماط يشق المدينة من الباب إلى الباب ... و بها أسواق كثيرة غير السماط **المذكور** "[4] ، و بمدينة الغدير أسواق عامرة [5]، أما مدينة نقاوس فكانت لها سوق قائمة و معايش كثيرة كثيرة [6].

و حسب كتابات الرحالة تنقسم الأسواق إلى ثلاثة أنواع :

-الأسواق اليومية :

[1]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران منصور ، دار الكتب العلمية ، ط02، لبنان ، 2005 ، ص 88.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 137 .

[3]- البكري ، المسالك و الممالك ،ج 02 ، المصدر السابق ، ص 240 .

[4]- نفس المصدر ، ص 229 .

[5]- نفس المصدر ، ص 241 .

[6]- نفس المصدر ، ص 230 .

و هي التي كانت تقام بصفة يومية و تتواجد في كل المدن ، فيذكر الإدريسي عن سوق حصن تأكلات الذي يقع على الطريق بين بجاية و قلعة بني حماد : " به سوق دائمة ..." [1] .

-الأسواق المؤقتة :

كانت تعقد في أيام معلومة من الأسبوع، مثل سوق الأحد أو سوق الخميس[2] أو سوق الجمعة [3]وهنالك أسواق لم تضبط أيامها مثل سوق أشير حيث كان " لها سوق في يوم معروف "[4].

-الأسواق الموسمية :

كانت تقام في يوم معلوم من السنة ، حيث يذكر البكري عن سوق مدينة أصيلة بالمغرب : " وكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة، و ذلك في شهر رمضان و في عشر ذي الحجة و في عاشوراء "[5].

***التبادل السلعي:**

مثلت المنتجات المحلية عصب التجارة ، حيث تسوق مختلف المنتجات سواء الزراعية أو الحيوانية أو الصناعية محليا ، و إذا وجد فائض في الإنتاج يوجه إلى الأسواق الخارجية مثل أسواق القيروان أو تيهرت و غيرهما من الأسواق .

و كان من جملة ما تصدره مدن الزاب من فائض إنتاجها : حمل السفرجل المعنق من المسيلة إلى القيروان[6] القيروان[6] ، و كان جوز مدينة نقاوس يزود أسواق المغرب كافة [7]، و عرفت بسكرة بإنتاجها لأنواع

---

[1]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 264 ، أنظر أيضا : كريم عاتي الخزاعي ، أسواق بلاد المغرب من لقرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، الدار العربية للموسوعات ، ط01 ، لبنان ، 2011 ، ص 30.

[2]- الحموي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 239 .

[3]- مجهول ، المصدر السابق ، ص 206 .

[4]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 254 .

[5]- البكري ، المسالك و الممالك ج 02 ، المصدر السابق ، ص ـ ص 308 – 309 .

[6]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

[7]- مجهول ، المصدر السابق ، ص 172 .

التمور المتعددة و التي نقلت إلى أسواق بجاية و تونس[1] ، كما اشتهرت أيضا بجبل الملح [2]، و الذي ربما حمل إلى مدن جنوب الصحراء و بلاد السودان التي تفتقد لهذه المادة المستعملة في النشاط اليومي ، كما حمل سمك المسيلة الصغير بكميات كبيرة إلى قلعة بني حماد [3].

كما كان لوفرة الأنعام و سائر الحيوانات و رخص أسعارها الداعي إلى بيعها فذكر البكري أن " القيروان يردها كل يوم من الدواب و الإبل العدد العظيم الألف و أكثر "[4] ،كما تم تبادل المنتجات الصناعية الحيوانية التي عرفت تبادلا بين سائر مدن بلاد المغرب مثل المنتجات الجلدية و النسيجية سواء القطنية أو الصوفية إضافة للأحذية [5].

أما عن صادرات بلاد الزاب باتجاه المشرق الإسلامي فيذكر ابن حوقل :" الجواري و العبيد و الأكسية الصوفية الرفيعة و الدنية ، و جباب الصوف و الخيل النفيسة "[6].

كما تصدر بلاد الزاب منتجاتها إلى الأندلس عبر ميناء بجاية أو غيرها من الموانئ ، فتوجهت منتجات الحنطة و التين و الفستق و الزيوت المختلفة إليها[7] ، كما تعاملت بلاد الزاب مع المراكز التجارية لبلاد السودان ، حيث صدرت إليها الحبوب و الملح و الفواكه و التمر و الزبيب و الخزف ، و يذكر الإدريسي أنه " ليس ببلاد السودان شيء من الفواكه إلا ما يجلب إليها من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب"[8].

أما واردات بلاد الزاب من السلع المختلفة فتقوم أساسا على المنتجات الغير المتوفرة بالمنطقة و التي تستعمل في حياة الإنسان اليومية مثل السكر الذي يجلب من السوس الأقصى ومن مدينة سبتة[9] ، و بعض التوابل

---

[1]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 231 .
[2]- نفس المصدر ، ص 231 .
[3]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 254 .
[4]- البكري ، المغرب .... ، المصدر السابق ، ص 56 .
[5]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 311 .
[6]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 95 .
[7]- نريمان عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 219 .
[8]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 20 .
[9]- نفس المصدر ، ج 01 ، ص 528 .

التوابل مثل القنب و الكراويا و الكمون التي تنتجه تونس و تصدره إلى سائر البلاد[1] كما جلبت التوابل من سجلماسة أيضا [2]، و جلبت الحناء من مدينة درعة التي اشتهرت بإنتاجها لها [3]، أما المعادن التي كانت مفقودة ببلاد الزاب فيتم جلبها من المدن القريبة ، حيث يجلب الحديد من مدينة بونة [4]، و يجلب النحاس من ميناء جيجل[5] ، كما يجلب معدن النيل الدرعي و النحاس المصبوغ من السوس الأقصى[6] ، ، كما جلبت حجارة المطاحن التي تستعمل في صناعة الأرحية من مدينة مجانة[7] ، كما يرد من بلاد السودان الذهب و الرقيق الأسود [8].

***الأسعار:**

السعر هو المظهر الملموس للقيمة في النظام الاقتصادي القائم على السوق أو التبادل النقدي ، و الأسعار بصفة عامة تخضع لعدة عوامل تؤثر فيها ومنها سياسة الدولة الاقتصادية مثل احتكار السلعة ، مثل ما قام به المهدي الفاطمي حين أمر عامل المحمدية (المسيلة) " أن يكثر من الطعام ويخزنه و يحتفظ به ففعل ذلك "[9].

ويذكر ابن خلدون " أن المصر كثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه و أسعار حاجاته "[10]، و تدخل الظروف الطبيعية و النكبات في ارتفاع الأسعار ، حيث شهدت مثلا القيروان سيلا عرما أفسد المزروعات سنة 247 هـ/859 م ، وفي سنة 260 هـ/872 م أصاب بلاد المسلمين مجاعة و طاعون ، و في سنة 266 هـ / 878 م أصاب غلاء و قحط مفرط بإفريقية ، و ضرب زلزال بإفريقية سنة 299 هـ / 911 م

---

[1]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 75 ، 90 .

[2]- الإدريسي، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 227 .

[3]- نفس المصدر، ج 01 ، ص 226 .

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77.

[5]- البكري ، المسالك و الممالك ، ج02 ، المصدر السابق ، ص 274 .

[6]- مُحَمَّد بن أبي بكر الزهري ، الجغرافية ، تح : مُحَمَّد الحاج الصادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت ، ص117 .

[7]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 84 .

[8]- الإدريسي، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 20 ، 296 .

[9]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 08، ص 179.

[10]- ابن خلدون، المقدمة، ج02، المصدر السابق، ص 71.

، أما سنة 317 هـ/ 929 م عرفت إفريقية و أعمالها و باء و غلاء في الأسعار فبلغ قفيز القمح مثقال ذهب بالكيل القرطبي[1] ، ولا ندري إن كانت بلاد الزاب قد تأثرت بهذه النكبات الطبيعية ، ماعدا أنها قد قد تكون استفادت أسواقها من حركة نشيطة أيام النكبات التي ضربت إفريقية و القيروان ، بالمقابل من ذلك جاءت سنوات عمّ فيها الرخاء و نزلت الأمطار فرخصت الأسعار ، حيث شهدت القيروان سنة 318 هـ/930 م نزول أمطار رخصت بسببها الأسعار [2].

و كان لوفرة المنتجات إلى حد الفائض فيها أثر في نزول الأسعار ، حيث يذكر البكري أن مدينة المسيلة " كثيرة اللحم رخيصة السعر "[3]، و مدينة الغدير" رخيصة الطعام و اللحم و جميع الثمار ، قنطار عنب فيها بدرهم "[4]، كما كانت مدينة سطيف " كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار"[5] ، كما نجد ابن حوقل يذكر سعر الملح الوارد إلى بلاد السودان من إقليم الزاب و غيرها ما بين مائتين و ثلاثمائة دينار للحمل الواحد [6]، غير أنه لا يذكر سعره بالزاب و الذي يستخرج من مدينة بسكرة .

أما عن النقود المستعملة في عملية البيع و الشراء ، فكان سكان بلاد الزاب و بلاد المغرب عموما لا يعرفون التعامل بالنقود التي لم تكن متوفرة في تلك الحقبة أي قبل الحكم الأغلبي ، و بدل ذلك كانت عملية البيع و الشراء تتم بإدخال بعض السلع في البيع و التجارة فاستعملوا المواشي بأنواعها ، و نجد الإدريسي يصف سكان جزائر بني مزغنة " أن أكثر أموالهم المواشي من البقر و الغنم "[7] ، و تعامل سكان سكان مدينة البصرة بالمغرب الأقصى بالكتان في بيعهم[8] .

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص ص 113 ، 193 .
[2]- نفس المصدر ، ج 01 ، ص 195 .
[3]- البكري ، المسالك و الممالك ، ج 02 ، ص 240 .
[4]- نفس المصدر ، ج 02 ، ص 241 .
[5]- نفس المصدر ، ج 02 ، ص 262 .
[6]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 98 .
[7]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 258 .
[8]- نفس المصدر ، ج 01 ، ص 531 .

بعدها قام سكان الإقليم بالتعامل بالدينار و الدرهم الأغلبي أيام حكم الأغالبة للمنطقة ، حيث وفي سنة 196 هـ / 808 م قام الأمراء الأغالبة بنقش أسمائهم على السكة[1] ، و في سنة 275 هـ / 887 م قامت ثورة الدراهم و التي جاءت ردا على إصلاحات إبراهيم بن أحمد الأغلبي و ذلك بعد سحبه للدراهم الفضية و القطع من الأسواق ، وسك بدلها الدراهم العاشرية بحيث تعادل كل عشرة دراهم دينارا ذهبيا واحدا[2].

وبعد سيطرة الدولة الفاطمية على المنطقة استعمل في التعاملات الاقتصادية النقود الفاطمية حتى سنة 441 هـ/1053 م حينما قام المعز بن باديس بقطع العلاقة مع الفاطميين و أمر بتغيير السكة [3]، و سبك الأموال التي تحمل أسماء بني عبيد و ضرب منها دنانير كثيرة ، فكانت منها أموال عظيمة [4].

***الأوزان و المكاييل :**

إن الأوزان ضرورية لتسهيل التعامل بين الناس في الحالات التي لا يصلح فيها الكيل و العد و الأوزان المستعملة في بلاد الزاب وغيرها من المناطق هي :

-الرطل :

يختلف وزنه من منطقة إلى أخرى حيث نجد أن الرحالة سجلوا اسم الرطل ووزنه حسب المنطقة المستعمل فيها مثل رطل القيروان أو رطل تيهرت و غيرها ، و تختلف الأرطال بحسب المادة التي توزن بها فيقال رطل فلفلي أو رطل لحم و غيرها[5] .

[1]- صالح بن قربة ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص ـ ص 177 – 178 .

[2]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص ـ ص 120 – 121 .

[3]- نفس المصدر، ج 01 ، ص 278 .

[4]- ابن خلدون ، ديوان العبر .... ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 325 .

[5]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 178 .

فيذكر المقدسي عن أرطال بلاد المغرب أنها "كانت بغدادية في الإقليم كله إلا الذي يوزن به الفلفل "[1]، ويسجل ابن حوقل وزنه بأنه يساوي " خمس عشرة أوقية بالبغدادي "[2] ،وهو يساوي إذن : 478.125 غرام [3].

كما استعمل رطل خاص باللحم حيث يذكر البكري أن أهل تيهرت" رطل اللحم عندهم خمسة أرطال "[4]، وهذا بالأرطال القرطبية و يساوي الرطل الواحد 23 كغ .

كما نجد من الموازين المستعملة و الخاصة بالرطل، نصف الرطل الذي كان يساوي أيام الفاطميين 206.205 غرام ، كما كان يوزن بربع الرطل أيضا[5] .

-الأوقية :

يذكر ابن حوقل أنها تساوي 31.86 غرام ، بينما يحددها المقدسي ب 31.728 غرام [6].

-المثقال :

يساوي 5.30 غرام[7] .

-الدرهم :

ذكر البكري درهم تنس[8] وهو يساوي 1.888 غرام .

-القنطار :

1- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 240 .
2- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 264 .
3- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 179 .
4- البكري ، المصدر السابق ،ج02، ص 253 .
5- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ص 98 .
6- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 181 .
7- نفس المرجع ، ص 181 .
8- البكري ، المسالك و الممالك ج 02 ، المصدر السابق ، ص 253 .

كان التعامل بالقنطار في سائر مدن بلاد المغرب الإسلامي ، فيذكر البكري عن قنطار الزيت بتيهرت هو " قنطاران غير ثلث "[1]بوزن قرطبة ، وهو يساوي بذلك حوالي 82 كغ [2]، كما ذكر أن قنطار الفلفل في تيهرت هو " قنطار عدل "[3]وهو يساوي 49 كغ .

كما استعملت عدة موازين أخرى ببلاد المغرب عامة وهي : الدرهم[4] ، الخروبة [5]، القيراط[6] ، المن[7] .

المن[7] .

أما المكاييل المستعملة فهي كالتالي :

– المُدّ:

يختلف المدّ من منطقة إلى أخرى ، فنجد مدّ تيهرت ، و مدّ القيروان ، ومدّ سجلماسة و غيرها ، ويصف البكري مدّ أهل تيهرت الذي يكتالون به " **خمسة أقفزة ونصف قرطبية**"[8]فمدّ تيهرت يساوي 419.386 كغ [9].

–المَدْيُ :

يساوي 672 رطلا [10].

–القفيز :

---

[1]– نفس المصدر ، ج 02 ، ص 253 .

[2]– جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 182 .

[3]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 253.

[4]– **الدرهم** ، يساوي 2.975 غرام .

[5]– **الخروبة** ، تساوي وزن أربعة حبات و هي 0.236 غرام .

[6]– **القيراط** ، يساوي 1.77 غرام .

[7]– **المن** ، يساوي 773.5 غرام .

[8]– البكري، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 253 .

[9]– جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 183 .

[10]– نفس المرجع ، ص 185 .

كان القفيز ببلاد المغرب هو نفسه المستعمل بسائر مدن المنطقة فلا يوجد فيه اختلاف ، و كان القفيز يستعمل لكيال السوائل مثل الزيت ، و الحبوب ، و يؤكد البكري أن القفيز كان مستعملا بالقيروان و أعمالها [1]، و هو يساوي حسب المقدسي اثنان و ثلاثون ثمنا ، و الثمن ستة أمداد بمدّ النبي (صلى الله عليه و سلم)[2] ، فهو يساوي 204 مدّا نبويا .

أما قفيز الزيت فيساوي عند أهل القيروان " ثلاثة أرطال فلفلية "[3]، أي 1.23 كغ ، و للقفيز أجزاء أخرى مثل ، نصف القفيز[4] و ربع القفيز[5] و ربع النصف [6].

–الربع :

يحدده المقدسي بقوله :" الربع ثمانية عشر رطلا "[7]، ويساوي 6.854 كغ .

–الثمن :

ذكره البكري باسم الثمنة ، و مساويا" **ستة أمداد بمد أوغى من مد النبي** "[8]و هو يساوي 11 كغ تقريبا

تقريبا

–الصاع :

استعمل كأداة للكيل وهو يساوي أربعة أمداد أو خمسة أرطال و ثلث رطل عراقي[9] .

–القلبة :

[1]– البكري ، المصدر السابق ، ج02، ص 185 .
[2]– المقدسي ، المصدر السابق ، ص 240 .
[3]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 185 .
[4]– نصف القفيز ، يساوي 0.611 غرام .
[5]– ربع القفيز ، يساوي 88.383 غرام .
[6]– ربع النصف ، يساوي 44.181 غرام .
[7]– المقدسي ، المصدر السابق ، ص 240 .
[8]– البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 185 .
[9]– جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 187 .

هي ثمن الصاع ، وهي عبارة عن أربعة أرباع و كل ربع يساوي نحو أربعة كيلوغرامات بحسب الوزن الحديث [1].

-الويبة :

يذكرها المقدسي باسم الدوار[2] وهي تستعمل لكيل الحبوب ، جعلها البكري أربعة أثمان أي 25.5 مدّا نبويا ، و كانت مستعملة في سائر بلاد المغرب ماعدا باغاية التي ذكر البكري أنها تساوي هناك أربع و ستون مدّا نبويا [3].

-الوسق :

يساوي مائة و ثلاثين كيلوغراما[4].

-الصحفة :

ذكر البكري أن أهل تنس " كيلهم يسمى بالصحفة "[5]، فهي تساوي 144 مدا نبويا .

-القادوس :

ذكر البكري وجوده بتنس و هو يساوي ثلاثة أمداد بمد النبي (ﷺ).[6]

-الكر :

هو مكيال لكيل الحبوب ويساوي ستين قفيزا أو اثنا عشر وسقا [7].

---

[1]- موسى لقبال ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1971 ، ص 77.

[2]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 240 .

[3]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 234 .

[4]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 188 .

[5]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 243 .

[6]- نفس المصدر ، ج 02 ، ص 185 .

[7]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 189 .

-القسط :

يستعمل كمكيال للسوائل قال عنه القاضي عياض " ... **و بيده قسط زيت** ... "[1].

-المطر أو المطيرة :

يحدد البكري كيله " **بأنه كيل يسع خمسة أقفزة من الزبيب** "[2] ،وهو يساوي ستة عشر رطلا فلفليا .

-القلة :

تساوي ثلاثة أمطار أي خمسة و أربعين رطلا فلفليا [3].

-الحفنة و القبضة :

الحفنة هي مِلْئُ كفّي رجل معتدل وُضِعتا جنبا إلى جنب ، أما القبضة فهي مِلْئُ كف واحدة مضمومة [4].

[4].

هذه جملة من الأوزان و المكاييل التي عرفتها بلاد الزاب و بلاد المغرب عموما خلال العصر الوسيط .

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ص 16 .

[2]- البكري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 185 .

[3]- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 189 .

[4]- نفس المرجع ، ص 189.

الفصل الخامس : الحياة الثقافية و العلمية بإقليم الزاب

المبحث الأول : العلم ومؤسساته في إقليم الزاب.

- **انتشار العلوم في إقليم الزاب .**
- **حلقات العلم .**
- **حلقات الدرس في المساجد و الجوامع .**
- **الكتاتيب .**
- **المجالس والمناظرات.**

المبحث الثاني : علماء إقليم الزاب مابين القرن 02 –05 هـ/ 08–11م .

- **علماء مدينة طبنة .**
- **علماء مدينة بسكرة .**
- **علماء مدينة المسيلة .**
- **علماء مدينة قلعة بني حماد .**
- **علماء مدينة باغاي .**

المبحث الثالث : الموقع الأثري طبنة.

- **الأعمال التنقيبية حول الموقع الأثري.**
- **المعالم الأثرية لطبنة الرومانية .**
- **المعالم الأثرية لطبنة البيزنطية.**

المبحث الأول : العلم ومؤسساته في إقليم الزاب

عرف إقليم الزاب بظهور الإسلام ودخول العرب المسلمين فاتحين لمدنه عهدا جديدا في ميدان الثقافة و العلوم، فكان أه ل الزاب وبخاصة الطبنيين يزاولون تعليمهم الأولي بمسقط ر أسهم ثم يذهبون إلى القيروان للاستزادة، ومنها يرتحلون إلى المشرق قصد التعمق في الدراسة على يد أعلامه في مختلف العلوم العقلية (كالطب، و الفلسفة، والرياضيات ، والكيمياء، و الفلك)، والنقلية (التفسير، و الحديث، واللغة، والأدب وغيرها)، ثم يقفلون راجعين إلى أوطانهم ليتصدروا بعد ذلك للتدريس في مدينتهم أو إحدى حواضر الدولة الأغلبية[1].

وتزامنا مع احتدام النزعات المذهبية ظهرت حركة علمية نشطة في إفريقية و المغرب الأوسط، وأمام كثرة الآراء التي بدأت تنتشر في بلاد المغرب اضطر الرعيل الأول من العلماء الذين تخرجوا على يد بعثة عمر بن عبد العزيز إلى الرحلة نحو المشرق، وقد كان لهم الحظ أن يصقلوا معارفهم ويزيدوها عمقا و توسعا على أيدي من تبقى من صحابة رسول الله – ﷺ– [2] .

ولما شجع الأغالبة العلماء و ساعدوهم على تلقي العلوم وبثها بالت أليف و التدريس و الهجرة إلى المراكز الثقافية بالمشرق للاستزادة في طلب العلم و التخصص في شتى فروعه، ازدهرت الثقافة العربية و الإسلامية في مختلف مدن وقرى الزاب وشهدت الجوامع قيام حلقات التدريس و غصت الرباطات بالعلماء و الزهاد، وكان لتأسيس" دار الحكمة" برقادة على غرار نظيرتها العباسية ببغداد دورا في تقدم العلوم العقلية من رياضيات و فلك و طب وجغرافية ،واستقدم إليها أ مراء بني الأغلب الأساتذة من المشرق فتخرج منهم الرياضيون، و الأطباء، و الجغرافيون وغيرهم من أبناء المنطقة، ولم تكن شهرتهم أقل شأنا من علماء المشرق[3].

---

[1]- الطيب بوسعد، المرجع السابق ، ص 05.

[2]- صورية مديازة ، المرجع السابق، ص 118.

[3]- الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 05.

هذا وقد لعبت الرحلة العلمية دورا هاما في تغذية و تعزيز الحركة العلمية بالزاب و التي شملت جميع الأقطار الإسلامية، فسهل الاجتماع بالعلماء في المساجد ، هذا فضلا على الرحلات التجارية و قوافل الحج التي عززت مجتمعة التواصل الثقافي بين علماء العالم الإسلامي جملة[1].

وكنتيجة لتعزز ونشاط الحركة العلمية بإ قليم الزاب تعددت أنماط المؤسسات التعليمية فتركزت الحلقات العلمية، وحلق الذكر و الدروس في المساجد و تعليم الصبية وانصب الاهتمام بالعلوم الدينية وتزايد عدد الفقهاء[2]، ساعدهم في ذلك شغف حكام بني الأغلب بالعلوم و اهتمامهم بمصاحبة العلماء[3].

وتقتضب المصادر المحلية و المشرقية في ذكر علماء الزاب في العهد الأغلبي، لكنها تذكر لنا ثلة منهم ممن تعلم وعلم وهاجر إلى القيروان أو حل برقادة، أو سافر إلى المشرق و الأندلس على ر أسهم " إبراهيم بن الطبني" و الذي كان شريكا " لسحنون بن السعيد"(240 هـ/ 854هـ) في قضاء القيروان بأمر من الأمير أبي العباس مُحَمَّد بن الأغلب بن ابراهيم (226 -242 هـ/ 840 – 856 م)، ولم يكن إبراهيم بن الطبني لينال هذه الحظوة لو لم يكن فقيها مقتدرا، ثم أن إشراكه في القضاء مع عالم جليل بحجم سحنون موطد المذهب المالكي و صاحب المدونة الكبرى في الفقه قد مكنه بلا شك من الاستفادة من علمه وخبرته القانونية[4].

ثم إن تعدد المذاهب الفقهية لم يكن عائقا أمام تلقي العلوم ونشرها إذا ا تخل البيت الأغلبي المذهب الحنفي باعتباره مذهب الدولة العباسية وساد المذهب المالكي لدى العامة [5]، وأشار القاضي عياض في مداركه إلى أحد تلامذة سحنون المالكي الطبنيين في مجال الفقه الإسلامي ألا وهو عبد الله بن الطبنة

---

[1]- نجيب بن خيرة، الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشرق (خراسان و بلاد ما وراء النهر) بين القرنين الثالث و الخامس الهجري من 205هـ – 432هـ / 820م – 1040 م، دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 1424هـ – 1425 هـ/ 2003-2004 م، ص 134- 137.

[2]- أبو القاسم مُحَمَّد كرو، عصر القيروان، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط2، دمشق، 1989 م، ص 29.

[3]- ممدوح حسين،المرجع السابق ، ص 66.

[4]- الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 06.

[5]- عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تقديم : علي الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس1975 ، ص 65.

(ت260 هـ – 873م) الفقيه على المذهب المالكي و يعد من أصحاب سحنون ومناصريه في نصرة مذهب أهل المدينة ، ولا شك أن أمثالهما- إبراهيم و عبد الله الطبنيين- كثيرون و إن انغمرت أخبارهم في المصادر [1].

ونبغ في العصرين الفاطمي و الصنهاجي، طائفة من أعلام طبنة في الحديث و الفقه و التفسير والقراءات و اللغة و الأدب، ارتفع بعلمهم لواء المذهب المالكي الذي بقي سائدا في إقليم الزاب، حتى في عهد الشيعة الفاطميين الذين حاولوا بعد توطيد نفوذهم السياسي و العسكري في المنطقة اجتثاثه من جذوره وإضعاف تأثيره على الجماهير السنية، وذلك بواسطة المناظرات المذهبية، أو عن طريق الإغراء بالمال، أو حمل الناس على اعتناق المذهب الشيعي عنوة[2].

وظلت مدينة طبنة مركز إشعاع حضاري و قرارة العلم والثقافة وعاصمة لإقليم الزاب إلى غاية انتقالها الى مدينة المسيلة في العهد الفاطمي، ولا يستبعد أن يكون ما مس علماء الزاب من قمع زمن الشيعة الفاطميين وما بعده من الخراب و الاضطهاد الذي تلا الزحف الهلالي، هو سبب هجرتهم إلى المشرق العربي كمصر وبغداد و الحجاز أو بلاد الأندلس ، فهاجر العلماء بعد خراب و فراغ المدن من سكانها إلى حواضر العلمية المشعة و المزدهرة آنذاك مثل بجاية أو تلمسان[3] .

انتشار العلوم في إقليم الزاب :

أ-الحلقات العلمية :

بعد انتشار الحركة الخارجية و المذاهب الإسلامية في بلاد المغرب، نشطت الحركة الفكرية خاصة بين الخوارج و

[1]- الطيب بوسعد ، المرجع السابق ، ص 06 ، و للاستزادة كثيرا أنظر: القاضي عياض :ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج02، تح:أحمد بكير، دار مكتبة الحياة،(دط)، لبنان، دار الفكر طرابلس، ليبيا، 1967، ص 119، 127.

[2]-الطيب بوسعد ، المرجع السابق ، ص 06.

[3]-الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12و13 الميلاديين ، نشأته ، تياراته ، دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2004 ، ص 93.

السنة المالكية و المعتزلة ثم الشيعة [1]، فاتبع العامة المذهب المالكي بينما كان المذهب الحنفي مذهب الدولة الأغلبية على اعتبار تبعيتهم للعباسيين ، ثم قيام الفاطميين بمحاولات لنشر المذهب الشيعي بشتى الطرق تراوحت بين الدعاية و القوة [2]، فامتدت آثار هذه الحركة الدينية و العلمية لتشمل كل بلاد المغرب و تنتقل إلى إقليم الزاب متجسدة في الحلقات العلمية التي عقدت بطرق مختلفة منها :

1-حلقات الدرس في المساجد و الجوامع :

يعد تركيز الفاتحين في تعليم البربر اللغة العربية وأمور الدين و وخاصة الأمور الفقهية ، هذا التركيز جعل أعداد الفقهاء في تزايد ، فكان المسجد هو المنبر الذي نشّطوا من خلاله الحركة العلمية وبعثوا الحياة الثقافية [3] ، ولما كانت طبنة حاضرة إقليم الزاب منذ أواخر القرن الثاني الهجري وحيث يقيم العامل و القاضي و قائد الحامية [4] ، فمن المرجح أنها كانت محط اجتماع الفقهاء و العلماء الذين عملوا على نشر الدين الإسلامي انطلاقا من مساجدها ، فبقدر أهمية المدينة تكثر المساجد بمعنى كثرة المعلمين و المتعلمين[5] .

2- الكتاتيب :

اتخذت الكتاتيب في مختلف البلاد بعد أن ضاقت المساجد بطلبة العلم ، و انتقل المعلمون إلى تعليم الصبية أيضا[6]، وهذه الفئة لا يمكنها أن تحضر مجالس العلم في المساجد لعد تحرزها من النجاسات [7]، ومن المرجع أن إقليم الزاب شهد انتشار الكتاتيب لأن الحركة العلمية كانت نشيطة بدليل ظهور المعلمين و العلماء المنسوبين للإقليم .

3- المجالس و المناظرات :

---

[1]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 122.

[2]- أبو القاسم محمد كرو ، المرجع السابق ، ص 29 .

[3]- نفس المرجع ، ص 32.

[4]- موسى لقبال ، طبنة مدينة الزاب و الأوراس في العصور الوسطى ، المرجع السابق ، ص97.

[5]- نجيب بن خيرة ، المرجع السابق ، ص 162.

[6]- صورية مديازة ، المرجع السابق، ص 123.

[7]- نجيب بن خيرة ، المرجع السابق ، ص 165.

عرفت المناظرة على أنها محاججة عقلية يتهيأ لها المتناظرون ، يعود سبب انتشارها في العالم الإسلامي خاصة في

عصر الدولة العباسية إلى ظهور الفرق الكلامية التي تبحث في العقائد بالأدلة العقلية و الرد على المخالفين[1]، وبعدما أصبحت بلاد المغرب مركزا جديدا لانتشار المذهب المالكي ، بدأت تظهر في إقليم الزاب تلك التفاعلات التي عرفها المشرق بين مختلف المذاهب ، فزخرت كتب الطبقات بالعديد من نماذج المناظرات التي كانت تقام للبحث في المسائل الكلامية و الفقهية و التشريعية بين فقهاء المالكية و نظرائهم من المذاهب السائدة في الإقليم [2]، ومما لا شك فيه أن علماء الزاب المالكية و خاصة الطبنيين أسهموا في الرد عن أصحاب المذاهب الأخرى عبر المناظرات العلمية .

[1]- نجيب بن خيرة ، المرجع السابق ، ص 221.

[2]- صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص 123.

المبحث الثاني : علماء إقليم الزاب مابين القرنين 02-05هـ/08-11م :

علماء مدينة طبنة :

أولا : في العهد الأغلبي :

تقتضب المصادر المحلية و المشرقية في ذكر علماء مدينة طبنة في العهد الأغلبي، لكنها تذكر لنا ثلة منهم ممن تعلم وعلم وهاجر إلى القيروان أو حل برقادة أو سافر إلى المشرق و الأندلس على رأسهم :

1- أبو جابر يحي بن خالد السهمي الطبني (ت 245 هـ/859م) :

فقيه مالكي وقاض ، من مواليد طبنة و بها نشأ و تعلم و تولى قضائها ، توفي بها عام 245 هـ [1] .

2- يزيد بن خالد السهمي الطبني :

لم نعثر على ترجمة له و عن حياته ، نقل عنه ابن خلدون و صاحب مؤلف مفاخر البربر قصيدة يمدح فيها البربر و ينسبهم إلى قيس:

أيها السائل عن أصولنا *** قيس غيلان بني العز الأول

نحن ما نحن بني برّ الندى *** طرّادُ الأزمان نحّار الإبل

و بنو برٍّ بن غيلان الذي عرفَ *** المجد و في المجد وجِل

و ارتدى سيف المجد هلا *** و برودا و اكتسى منها حُللُ

و ابتنى المجد و أورى زنْدَه *** وكفى كل ذي خطب جلل

إن قيسا تعتزي بربها *** و ببر تعزي قيس أجل

[1] - السمعاني أبي سعد عبد الكريم بن مُحَمَّد ابن منصور التميمي ، الأنساب ، ج04 ، تقديم و تعليق : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1988 ، ص 50 ، أنظر أيضا : عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، ط02 ، بيروت ، 1980 ، ص 204.

ولنا الفخر بقيس أنه *** جدنا الأكبر فكاك الإبل

إن قيسا قيس غيلان هم *** معدن الحق على الخير دلل

حسبك البربر قومي أنهم *** ملكوا الأرض بأطراف الأسل

وبيض تحمل السهام بها *** بأيدي من كان على الحق نكل

أبلغوا البربر عني مدحا *** حيك من جوهر شعر منتحل [1]

3- إبراهيم بن الطبني:

كان شريكا " لسحنون بن السعيد"(ت 240 هـ/ 854هـ) في قضاء القيروان بأمر من الأمير أبي العباس مُحَمَّد بن الأغلب بن ابراهيم(226 -242 هـ/ 840 – 856 م)، ولم يكن ابراهيم بن الطبني لينال هذه الحظوة لو لم يكن فقيها مقتدرا، ثم أن اشراكه في القضاء مع عالم جليل بحجم سحنون موطد المذهب المالكي و صاحب المدونة الكبرى في الفقه قد مكنه بلا شك من الاستفادة من علمه وخبرته القانونية[2].

ثم إن تعدد المذاهب الفقهية لم يكن عائقا أمام تلقي العلوم ونشرها إذا انتحل البيت الأغلبي المذهب الحنفي باعتباره مذهب الدولة العباسية وساد المذهب المالكي لدى العامة[3].

4- عبد الله بن الطبنة (ت 260هـ/873 م):

أشار القاضي عياض في مداركه إلى أحد تلامذة سحنون المالكي الطبنيين في مجال الفقه الإسلامي ألا وهو عبد الله بن الطبنة (ت260 هـ – 873م) الفقيه على المذهب المالكي و يعد من أصحاب سحنون ومناصريه في نصرة مذهب أهل المدينة [1].

[1]- صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي ، المصدر السابق ، ص 228-229.

[2]- الطيب بوسعد ، المرجع السابق، ص 06.

[3]- عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق ، ص 65.

5- هارون الطبني (ت هـ907/294 م) :

لم يقع بين أيدينا ترجمة وافية له ، و كل ما دونته كتب التاريخ أنه كان من رجال الجيش الأغلبي ، عين عاملا على مدينة باغاي وواجه اجتياح جيش الداعي للمدينة .[2]

ثانيا: في العصرين الفاطمي و الحمادي :

نبغت طائفة من أعلام طبنة في الحديث و الفقه و التفسير والقراءات و اللغة و الأدب، ارتفع بعلمهم لواء المذهب المالكي الذي بقي سائدا في إقليم الزاب، حتى في عهد الشيعة الفاطميين الذين حاولوا بعد توطيد نفوذهم السياسي و العسكري في المنطقة اجتثاثه من جذوره وإضعاف تأثيره على الجماهير السنية، وذلك بواسطة المناظرات المذهبية، أو عن طريق الإغراء بالمال، أو حمل الناس على اعتناق المذهب الشيعي عنوة[3].

وظلت مدينة طبنة مركز إشعاع حضاري و قرارة العلم والثقافة وعاصمة لإقليم الزاب إلى غاية انتقالها الى مدينة المسيلة في العهد الفاطمي، ولا يستبعد أن يكون ما مس علماء الزاب من قمع زمن الشيعة الفاطميين وما تبعه من الخراب و الاضطهاد الذي تلا الزحف الهلالي، هو سبب هجرتهم إلى المشرق العربي كمصر وبغداد و الحجاز أو بلاد الأندلس ، فهاجر العلماء بعد خراب و فراغ المدن من سكانها إلى حواضر العلمية المشعة و المزدهرة آنذاك مثل بجاية أو تلمسان[4] .

1-أحمد بن فروخ الطبني (كان حيا خلال القرن الرابع هجري) :

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج02 ،ص 119، 127؛ أنظر أيضا : الطيب بوسعد ، المرجع السابق ، ص 06.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 03 ، 342.

[3]-الطيب بوسعد ، المرجع السابق ، ص 06.

[3]-الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص 93.

من فقهاء الدولة الأغلبية ،كان معاصرا للمد الشيعي على مدينة رقادة عاصمة الأغالبة [1].

2- أبو مضر مُحَمَّد بن الحسين الطبني (300-394 هـ ، 912-999 م):

هو مُحَمَّد بن الحسين بن مُحَمَّد بن أسد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك التميمي الحصاني الطبني الزابي ، من بيت أدب و شعر و جلالة و رياسة ، دخل الأندلس سنة 331هـ/ 942 م زمن الخليفة المستنصر ، فولي الشرطة و اشتهر أبناؤه بالأدب و الفضل[2] .

ويذكر ابن بشكوال أن تاريخ دخوله للأندلس كان سنة 325 هـ / 936 م [3] ، و اختلف المؤرخون في نسبه فذكر عنه ابن الفرضي : " أحمد بن الحسين بن مُحَمَّد بن أسد بن مُحَمَّد بن ابراهيم بن زياد بن كعب بن مالك التميمي الحماني من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم بن مر الطبني من أهل طبنة ، يكنى بأبي عمر سمع بقرطبة و ارتحل إلى المشرق سنة 342 هـ / 953 م و كتب عنه أحاديث ، توفي بقرطبة في 03 محرم 390 هـ/999م"[4]

أما ابن الأثير فقال عنه أيضا : " مُحَمَّد بن الحسين التميمي الزابي الطبني ، شاعر مكثر عاش أيام الحكم بن عبد الرحمن المستنصر ..." [5]

ويذكر الحموي نسبه على أنه : "....مُحَمَّد بن الحسين التميمي الزابي الطبني ، عاش أيام المستنصر .." [1] [1] ،و هو نفس النسب الذي ذكره السيوطي : " مُحَمَّد بن الحسن التميمي الزابي الطبني " [2].

---

[1]- أسامة الطيب جعيل ، الحركة العلمية في بلاد الزاب خلال العصر الوسيط من القرن02 هجري إلى الخامس هجري ، مقال في كتاب : بحوث و دراسات تاريخية أعمال مهداة للأستاذ : لعميد عبد العزيز ، إعداد و تنسيق : الدكتور قاصري مُحَمَّد السعيد ، مطبعة نواصري، ط01 ، المسيلة ، 2017 ، ص 218.

[2]- أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ج01 ، تح : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت – لبنان ، 1997 ، ص – ص 58-59 .

[3]-أبو القاسم ابن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم وفقهائهم و أدبائهم، مجلد02 ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، تونس ، 2010 ، ص 232.

[4]-أبو الوليد عبد الله بن مُحَمَّد بن يوسف ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تح ، روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1997 ، ص58-59.

[5]- ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج 02 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 51.

وكان مُحَمَّد بن الحسين من شعراء الخليفة المستنصر و لم يصل إلى الأندلس أشعر منه و كان واسع الأدب و المعرفة و كان له اتصال بآل عامر و له حظرة عندهم ، تولى الشرطة بعدهم و توفي سنة 394 هـ – 1003 م و شهد المظفر بن أبي عامر جنازته و صلى عليه القاضي عبد الرحمن بن فطيس[3] .

تميز أبو مضر بمجموعة من الصفات مكنته من أن يكون مقربا لدى خلفاء بني أمية والحاجب المنصور ، يذكر عن هذا الأمر ابن حيان: " كان أبو مضر نديم مُحَمَّد بن أبي عامر ، أمتع الناس حديثا و مشاهدة ، و أنصعهم ظرفا ، و أحذقهم بأبواب الشحذ و الملاطفة ، وآخذهم بقلوب بقلوب الملوك و الجلة ، و أنظمهم لشمل إفادة ونجعة ... له في كل ذلك أخبار بديعة من رجل رشيد الخلابة ، طريف الخلوة ، يُضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا ندر " [4] .

شعره :

ضاع الكثير من شعر أبي مضر ولم يعُرف أن له ديوانا من الشعر ، و كل أشعاره متناثرة بين مختلف كتب الأدب و التراجم وغيرها مثل : المقتبس لابن حيان ، و التشبيهات لابن الكتاني والجذوة للحميدي و المغرب لابن سعيد و غيرهم ، وبلغ عدد الأبيات المعروفة له سبعا وثمانين بيتا .[5]

من أشعاره في مدح الخليفة هشام بن الحكم :

حصّن به دين النبي مُحَمَّد *** و أقم به أود الزمان الأعوج

لهجت ببيعته النفوس فأخذها *** من واجب الأشياء لو لم تلهج

---

[1]-الحموي ، المصدر السابق ، ج03 ، ص192 .

[2]- جلال الدين السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب ،ج02 ، تح ، مُحَمَّد أحمد عبد العزيز و أشرف أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 1991 ، ص 88 .

[3]-عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 203 ، أنظر أيضا ، عبد الرحمن الجيلالي : شخصيات لامعة من الأوراس، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، العدد 60-61 ، 1978 ، ص 106 .

[4]- امُحَمَّد بن لخضر فورار ، من شعر الطبني مُحَمَّد بن الحسين تقديم و جمع (300هـ-394هـ) ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة مُحَمَّد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد الثامن ،2012 ، ص .256

[5]- نفس المرجع ، ص 257-258.

عود النبوة و الخلافة أصله *** فالفرع من تلك العروق الوشج

و إذا تبلج وجه صبح مقبل *** فالشمس تحت ضيائه المتبلج

هو زهرة الدنيا وباب سرورها *** فأعهد وسر به الأنام و أبهج

وارم المشارق باسمه فليفتحن *** مابين مصر إلى بلاد الرخج

يارب بلغه جميع رجائه *** لأبي الوليد و زده ما لم يرتج

ليدم سراج الله في هذا الورى *** فضياؤه من فضل نور المسرج [1]

وله شعر في وصف القصر :

عقدت أهلة بهوه فكأنها *** عُقدُ الشنوف على خدود الخردِ

من تحتها عُمدُ كأن فريدها *** من جوهر و لآلئ و زبرجد

تحكي الحسان قدودها لكنها *** في خلقها ليست بذات توأد

و كأنما قضبانه اللاتي سمت *** تبغي مناجاة النجوم الوقد [2]

و له شعر ألقاه في حضرة الخليفة الحكم في عيد الأضحى عام 360 هـ – 970 م :

نظر الإله إلى البريـــــة رحمـــــة *** فاختـــار أفضلهـــا لهـــا وتخيّـــــرا .

ملك أقام العدل في أسامه *** سوقا، فصار الحق فيه متجرا .

لـم يجـر طيـب ذكـره فـي مـجلس *** إلا حســبت بــه الــهواء تعطــرا .

مـلأ العبـاد سـناؤه وثنـاؤه عـدلا *** فـــأكسد مسكـــها والعنبـــرا .

[1]– ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 84.

[2]– أبو عبد الله مُحَمَّد ابن الكتاني ، التشبيهات من أشعر أهل الأندلس ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت ، ص 120.

لا يبتغـي الســاري دلـيلا نحوه *** فالبــدر مــن لألائــه قــد أســفرا .

يجلـو ظـلام الليـل نـور جبينـه *** فكــأن مرتــتق الدجنّــة فــجرا .

لا زالــت الأيـام أعــظم حظهــا *** فـي الـدهر أن تطـوى لـديك وتنشـرا .

قــرت عيــون المســلمين بــغرّة *** زهــراء تســلكهم ســبيلا أزهــرا.

أبصــارهم تجلــو ســرورا ظــاهرا *** وقلـوبهم تجنـي سـرورا مضمرا .

فلــو أن أركــان الســرير كواكــب *** يُشــرقن لاسْـتحققْت مـنهم أكثـرا .

غيـر النكيـر، وأنـت شـمس للهـدى *** أن تغتـدي شـمس الضـحى لـك منبـرا.[1]

ونجد شعرا آخر له في مدح الخليفة هشام المؤيد :

بخِلت بجوهرِ لفظها أن يلقطا *** لما رأته من الجواهر أبسطا

يا أيها الملك المتوج بالهدى *** نورا على غسق الظلام مسلّطا

صلْ عيدك البهيج السنا في غبطة *** وازدد من الأعياد ألفا مغبطا

أمل الفُضول ومنية الأعوام أن *** يطوى لديك مدى الزمان و يبسطا

عيد أتاك الغيث فيه مسلّما *** وفد السرور به فصحَّ و أفرطا

ولو أن ساقي الأرض جودك دونه *** أمِنْت مدى أيامها أن تقحطا

و أشدْ بذكر أبي الوليد فشِدْ به *** مجدا هشاميا وعزا أغبطا

ما فوق بيعته مدى أمنية *** ممن تسامى في المنى و تشططا

[1]–موسى لقبال و آخرون ، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى العهد العثماني ، ج03 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط01 ، الجزائر ، 1984 ، ص 188 .

نعم الذخيرة للعزائم تُنتضي *** دون الخلافة و المنابر تُمتطى

نظرت قريش في كريم نظامها *** فرأته منه في القلادة أوسطا

آباؤنا و الأمهات له الفدى *** ما أكرم المرجو منه و أغبطا

هي بيعة الرضوان تحيي كل من *** أصفى ويقتُل سيفها من خلّطا

أربط بها الأيدي فإن قلوبنا *** مكفية بودادها أن تربطا

شرطتْ محبته على أهل النهى *** ما لا يكاد موثّق أن يشرُطا [1]

وله شعر في وصف القلم :

بمُرهفٍ يستمدُ مُرهَفةً *** مُذلق الخدِّ ناحل الطّرفِ

ينشر سر الضمير عامله *** كالدمع يُبدي سرائر الكَلف

لولاه ما قُيدت ولا انطلقت *** على الليالي مآثر السلف

كأن أنقاسه بناصعها *** سواد شعرٍ في الخدِّ منعطف [2]

و في أبيات مقطوعة رثى بها حسن ابن عامر الوزير الذي تم قتله :

لا شك أن سجال الحرب مختلف *** فيما روى الناس مُذْ كانوا و مذْ عرفوا

هوّن عليك فنصر الله يعقبُه *** يا ربّ كره إلى المحبوب ينصرف

يا غرَّة السعد والميمونِ طائره *** لا تكترث فإليك النصر ينعطف

لو هلك الناس لا ينغصك هلكهم *** فأنت وحدك عنهم كلهم خلف[3]

[1]- ابن حيان ، المصدر السابق ، ص 94-95.

[2]- ابن الكتاني ، المصدر السابق ، ص 493 .

[3]-رابح بونار ، المغرب العربي – تاريخه و ثقافته - ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط02 ، الجزائر ، د.ت ، ص 292.

لله عنـدك عـادات سيكملـها *** فعـادة اللـه قسـم ليـس ينـحرف

كم رأينـا الذي لا يرتضي سببا *** إلـى رضـا بجميل الصنع يأتلف [1]

3- أبو عمر أحمد بن الحسين بن مُحَمَّد الطبني (ت 390 هـ):

محدث و فقيه ، من أهل طبنة رحل منها إلى الأندلس و استقر بقرطبة ، سمع عن قاسم بن أصبغ و ابن أبي ديلم ، حدّث عن أحمد بن عمر الورّاق المقرئ [2] روى عنه ابن الفرضي وتوفي بقرطبة .

4- أبو مضر زيادة الله بن علي بن الحسين بن محمد (336-415 هـ) :

شاعر رفيع الطبقة و أديب ،كان بقرطبة وهو أول من بنى بيت شرف للطبنيين بالأندلس كان نديما لمحمد بن أبي عامر [3] ، اشتهر برواية الحديث و تضلع في اللغة و الأدب و برع في قول الطرائف وقرض الشعر و نظمه [4] ، من مؤلفاته كتاب " الحمام " الذي قيل أنه ألفه للمنصور مُحَمَّد ابن عامر [5].

5- أبو الحسن عبد الرحمن بن زيادة الله بن علي بن الحسين الطبني (367-401 هـ) :

فقيه و محدث و أديب زاهد راوٍ للحديث ، ولد بقرطبةوتوفي بها .

6- أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني (396-457 هـ / 1006-1065 م) :

هو الابن الأكبر لأبي مضر زيادة الله الطبني ، و اسمه الكامل هو عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن حسين بن مُحَمَّد بن أسد التميمي الطبني ، و يكنى بأبي مروان ، وهو من بيت علم و أدب و خير و إصلاح ، وذكر ابن بسام أنه دخل الأندلس قبل افتراق الجماعة ، و هو أحد حماة سرح الكلام ومن حملة ألوية الأقلام ، وله رواية و سماع بالأندلس ثم رحل إلى المشرق و سمع عن جماعة من المحدثين بمصر و الحجاز

---

[1]- المُحَمَّد بن لخضر فورار ، المرجع السابق ، ص 263 .

[2]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 36 .

[3]- ابن حزم ، المصدر السابق ، ص221.

[4]- أبو القاسم مُحَمَّد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج 02 ، تقديم : مُحَمَّد رؤوف القاسمي الحسني ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1991 ،ص 64.

[5]- الضبي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 376 .

وحدث هناك عن ابراهيم بن مُحَمَّد بن زكرياء الزهري و النحوي، ثم قفل راجعا إلى الأندلس و مات مقتولا بقرطبة سنة457 هـ/1065 م .[1]

يعتبر من بين الذين اهتموا بعلم الفرائض و الحساب ، حيث يقال أنه روى كتاب الفرائض الذي ألفه أبو علي شقران بن علي القيرواني[2] ، وكان حافظا للشعر و الطرائف أيضا، إذ أرسل رسالة إلى أبيه من مصر تضمنت مفاضلة بين أدب المشارقة و الأندلسيين:

يا أهل الأندلس ما عندكم أدب *** بالمشرق الأدب النفّاح بالطيب .

يدعى الشباب شيوخا في مجالسهم *** و الشيخ عندكم يدعى بتلقيب .[3]

و يذكر المقري على أن شعره على طريقة العرب سليقة و صليبة :

و ضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم *** عليّ به منهم حنين الأباعد .

أتجزع أبال الخليط لبينهم*** وتسفّح عن دمع سريع البوادر .

و أصبر عن أحباب قلب ترحلوا *** ألا إن قلبي طائر غير صابر .[4]

ولما رجع من المشرق إلى قرطبة اجتمع في مجلسه عدد كبير من الطلاب ، فأنشد قائلا :

إني إذا حضرتني ألف مِحْبرة *** تقول أنشدني طورا و أخبرني .

نادت بمخرتي الأقلام معلنة *** هذي المفاخر لا قعبان بن لبن .[1]

---

[1]-أبو الحسن بن علي ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، مجلد01 ، تح ، إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981 ، ص 536.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع هجري ، ج02 ، دار عالم المعرفة ، ط01 ، الجزائر ، 2014 ، ص 305.

[3]- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 99 .

[4]- أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج09 ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 ، ص 255 .

و لما ضرب ابن عامر الخديلمي في مجلسه ضربا موجعا و هو غائب عن المجلس ، أنشد فيه هذه المقطوعة متشفيا و هاجيا :

شكرت للعامري ما صنعا *** و لم أقل للخديلمي لعا .

ليث عرين غدا لعرّانه *** مفترشا في وجاره ضبعا .

وددت لو كنت شاهدا لهما *** حتى ترى العين ذل من خضعا . [2]

و كتب إلى ذي الوزارتين ابن زيدون شاعر الأندلس يعاتبه على عدم زيارته و نسيانه :

أبا الوليد و ما شطت بنا الدار *** وقلّ منا ومنك اليوم زوار.

وبيننا لك ما تدريه من ذمم *** و للصبا ورق خضرٌ و أنوارُ .

وكل عتب و أعتاب جرى فله *** بدائع حلوة عندي و آثار .

فاكثر ذكر أخاك كلما لعبت *** به الليالي فإن الدهر دوارُ . [3]

7- أبو الأصبغ عبد العزيز بن زيادة الله (ت436 هـ – 1044م) :

فقيه ، محدث و شاعر ، أخو عبد الرحمن ، تتلمذ وروى عن أبي الوليد يونس بن عبد الله عاش بقرطبة و توفي بها [4] .

8- أبو محمد القاسم بن علي بن معاوية بن الوليد الطبني (ت قبل 412 هـ/1021م) :

[1]- ابن بسام ، المصدر السابق ، ص 543 .
[2]- الحفناوي، المرجع السابق ،ص 64 .
[3]- رابح بونار ، المرجع السابق ، ص 266 .
[4]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 204 .

فقيه و محدث ، رحل إلى المشرق و تتلمذ عليه أبو أسعد أحمد بن مُحَمَّد الأنصاري الماليني و كتب عنه ، يقول عنه الحموي : " حدث عن ابن المغربي وغيره ، و له بمصر عقب " توفي قبيل عام 412 هـ / 1021 م .[1]

9- أبو عبد الله مُحَمَّد بن يحي بن مُحَمَّد بن الحسين الطبني (توفي بعد 426 هـ) :

شاعر ، أديب و نسابة وعالم بأخبار العرب ، ولد و نشأ بطبنة ، جالس أبا الحزم بن جهور و ابنه أبا الوليد [2] ، صحب ابن شهيد و أنشد عنه :

لا يبعد الله من قد غاب عن بصري *** ولم يغب عن صميم القلب والفكر
اشتاقه كاشتياق العين نومتها *** بعد الهجود وجدب الأرض للمطر
وعاتبوني على بذل الفؤاد له *** وما دروا أنني أعطيته عمري [3]

ومن شعره الذي كتبه إلى أبي مُحَمَّد علي بن أحمد :

ليت شعري عن حبل ودّك هل يُمـ *** ـسي جديدا لديّ غير رثيث
وأراني أرى محيّاك يوما *** وأناجيك في بلاط مغيث
فلو أنّ القلوب تسطيع سيرا *** سار قلبي إليك سير الحثيث
ولو أنّ الديار يُنهضها الشو *** ق أتاك البلاط كالمستغيث
كن كما شئت لي فإنّي محب *** ليس لي غير ذكركم من حديث
لك عندي وإن تناسيت عهدٌ *** في صميم الفؤاد غير نكيث[4]

10- أبو الحسن علي بن عطية بن علي بن الحسن بن يزيد الطبني (عاش خلال القرن الخامس هجري) :

[1]- عادل نويهض، المرجع السابق ، ص 415 .
[2]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 415 .
[3]- ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق: شوقي ضيف ، دار المعارف،ط04 ، القاهرة ، 1993 ، ص 93 .
[4]- الضبي ، المصدر السابق ، ج01، ص 187 .

فقيه و محدث ، عاش في القرن الخامس هجري ، والد عطية الشاعر و المحدث ، رحل إلى المشرق فحج و جاور بمكة .[1]

11- أبو بكر إبراهيم بن يحي بن مُحَمَّد بن حسين الملقب بابن الطبني (ت 461هـ-1068م):

ولد بقرطبة ، أديب و شاعر من أهل بيت أدب و علم و جلالة[2]، أخذ مع ابن عمه أبي مروان من شيوخ تلك الفترة و شاركهم فيما بعد ، وكان عالما بالطب ، كانت له علاقة جيدة مع ابن حزم حتى أنه دونها في كتاب " طوق الحمامة " وكيف كانا يتهاديان الود بالشعر[3] ، ورثا ابن حزم بقصيدة مطلعها :

لئِن سترتك بطون اللحود *** فوجدي بعدكَ لا يستتر

قصدت ديارك قصد المشوقِ *** وللدهر فينا كرورٌ و مرُ

فألفيتنا منك قفرا خلاءُ *** فأسكبتْ عيني عليك العبر [4]

و أرسل كذلك رسالة لابن حزم قبل موته يمدحه فيها :

فلو أن القلوب تستطيع سيرا *** سار قلبي إليك سير الحثيثِ

و لو أن الديار ينهضُها الشوقُ *** أتاك البلاطُ كالمستغيث [5]

12- أبو الفضل عطية بن علي بن الحسن بن يزيد الطبني (ت 532 هـ - 1138م) :

[1]- عمار هلال، العلماء الجزائريين في البلدان العربية و الإسلامية فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين (03 و 14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1995 ، ص 355.

[2]- أبو مُحَمَّد الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1997 ، ص 161 .

[3]- ياسر مُحَمَّد ياسين البدري، أقمار في سماء الأندلس ابن حزم الظاهري الأندلسي سيرته ، مذهبه ، شيوخه ، وتلاميذه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص 80.

[4]- الحميدي، المصدر السابق ، ص 156 .

[5]- نفس المصدر ، ص 161 .

عرف باسم لادخان ، شاعر ومحدث ، من أهل طبنة [1]، قال عنه ابن الوردي : " كان أحد الشهود ببغداد ، وهو ظريف كيس له نظم سلس حسن الشعر رقيقه ، غامض المعنى دقيقه " ، عاش متنقلا بين القيروان و مصر و مكة ثم رحل إلى بغددا وتوفي بها عام 532 هـ / 1138 م .[2]

من شعره :

قالوا التحى و انكسفت شمسه *** وما دروا عذر عذاريه
مرآة خديه جلاها الصبا *** فبان فيه ضوء صدغيه

ومن قصائده في مدح عميد الدولة ابن جهير الوزير :

أراك من معجزات السعد إسعادا *** جَدٌّ أعاد لك الأفلاك حُسَّادا
أيا بشير المعالي عود مالكها *** فوق المنى لك قد أطربتَ إنشادا
أطَرْتَ أنفس من بشرتَ من فرح *** وقبل يوم النّوى ما كن أجلادا
أبَعدَ ما تم بينٌ لا بُليتُ به *** أبكي وأقرحُ أجفانا وأكبادا
وليلة بتُّ من بعد النعيم بها *** أشقى وأكثر إعوالا وتعدادا
وموقف من سُليمَى لستُ أذكره *** إلا رأيتُ لجيش الشوق أمدادا
بيضاءَ تخطر في ثوب الصبا مرحا *** كما تمايلَ خوطُ البان وانآدَا
ظلت تساقط در الدمع والهة *** والوجدُ ينهب أرواحا وأجسادا
وقد جلا البين من أزرارها قمرا *** لا يعدِمُ الركب في لألاه إسْآدا
بكيتُ في إثر من أهوى وصحتُ فما *** عاج الحُمول ولا حاديهم حادا
راحوا بشمسٍ سحابُ النقع يسترُها *** والمشرفية لا يعرفن إغمادا
وفتيةٍ لقنا الخَطِّي مُشْرِعَةٌ *** لا يألفون سوى الأدراع أبرادا
لا يرهبون لصرف الدهر نائبة *** ولايهابون داعي الموتِ إذ نادى
كأنما شرف الدين استدل لهم *** من الزمان فما يخشون إبعادا[3]

[1]- الحموي ، المصدر السابق ، ج 04 ، ص 21 .
[2]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 415 .
[3]- عماد الدين الأصفهاني ، خريدة القصر و جريدة العصر ، تحقيق : مُحَّد المرزوقي ، مُحَّد العروسي المطوي ، الجيلاني بن الحاج يحي ، الدار التونسية للنشر ، ط 02 ، تونس ، 1971 ، ص 316 .

13- أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن زيادة الله أبي مضر الطبني (عاش في القرن الخامس هجري)

من أشعر بني طبني ، ذكر ابن بسام أبياتا له في الغزل دون الترجمة له :

كم بالهوادج يوم البينِ من رشأٍ *** يهفو عليه وشاحٌ جائلٌ قلقُ

و كم برامة من ريمٍ يفارقنا *** لهفان يُثنيه عن توديعنا الفَرقُ

و نرجسٍ كفِرِنْد السيف ساهرني *** مُعلِلا بنسيمٍ عرْفُهُ عبِقُ

نادَمْتُه و شباب الليل مُقتبل *** و النجم كفٌ يُحيينا بها الأُفقُ

في فتية كنجوم السعْدِ أوجهُهم *** في أوجُه الحادثات الجونِ تأتلقُ

نلهو برقراقة صفراء صافيةٍ *** يكاد ينجاب من أضوائها الغسقُ

يسعى بها مرهفٌ كالغصن نعمَّهُ *** ماء النعيم عليه النور و الورقُ [1]

و أنشد أيضا :

يـا سـاليا عـاشقـيه *** وعـاشقـا كـل تيهِ
ومـن مـدامـي ونقـلي *** بـوجـنـتيـه وفيـهِ
هـلاّ جَـزَيْتَ فـؤادي *** ببعضِ مـا لكَ فيـه[2]

وقال أيضا:

عجبا أن يكون ساكنُ قلبي *** راتعا منه في بساتيـن حبي
ويُجَازِي علـى الوفـاء بغـدر *** حسبيَ اللهُ ثـمّ حسبي وحسبي
جازِني كيف شئت لا أتـرُكُ *** الذنب إذا كان فرط حبك ذنبي [3]

[1]- ابن بسام ، المصدر السابق ، ص 547-548.
[2]- نفس المصدر ، ص 548 .
[3]- نفس المصدر ، ص 548 .

14- علي بن منصور الطبني (ق 05 هـ) :

فقيه ومحدث ولغوي ، ينسب لعلماء القرن الخامس الهجري ، عاش بالبصرة وروى عنه البصري [1].

15- الحسن بن خليل بن مزروع الطبني (القرن التاسع هجري) :

فلكي عاش بمصر ، عرف أنه كان حيا سنة 887 هـ / 1452 م ، من مؤلفاته : " كفاية المحتاج من الطلاب في معرفة المسائل الفلكية بالجواب " ، و هو كتاب مخطوط في علم الفلك ، تتواجد نسخة منه في مكتبة الأسد [2] .

- **علماء مدينة بسكرة :**

1-أبو عبد الملك عبد الله الملشوني(كان حيا سنة 226 هـ/841 م) :

ينحدر أبو عبد الملك من قرية ملشون إحدى قرى مدينة بسكرة ، والتي يذكرها البكري بقوله : " و قرية من قرى بسكرة تسمى ملشون

منها أبو عبد الله الملشوني و ابنه إسحاق عالمان يُحمل عنهما العلم ، سمع منهما أبو عبد الله بن ميمون و مقاتل و غيرهما ... " [3] .

وجاء في معجم البلدان : " ملشون من قرى بسكرة من ناحية إفريقية القصوى ، ينسب إليها أبو عبد الملك الملشوني و ابه إسحاق... ، ذكرهما أبو العرب في تاريخ إفريقية قال : حدثني أحمد بن يزيد عن إسحاق عن أبيه ".[4]

---

[1]- عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 355 .

[2]- رابح خدوسي و آخرون ، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين ، ج02 ، تقديم : أ-د مُحَمَّد الأمين بلغيث ، منشورات الحضارة ، ط 01 ، الجزائر ، 2014 ، ص 250.

[3]-البكري ، المسالك و الممالك ، ج02 ، المصدر السابق ، ص 231 .

[4]-الحموي ، المصدر السابق ، ج 05 ، ص 192 .

أما صاحب الاستبصار فيذكر أن اسمها ملسون : " .... ومن قرى بسكرة قرية تسمى ملسون ومنها كان أبو عبيد الله الملسوني، وكان عالما فقيها يحمل منه العلم .... " [1].

تعلم أبو عبد الملك بقريته ملشون ثم انتقل إلى القيروان و تعلم بها ، وجالس الإمام سحنون و أخذ كل منهما عن صاحبه ، و كان نديما لمحمد بن الأغلب (206-242 هـ) سادس ملوك الدولة الأغلبية . [2]

و أصبح أبو عبد الملك عالما من فقهاء المالكية و مشاركا في عدة علوم ،و عارفا بالتاريخ وله كتاب كبير في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم و في البديء (تعني العجائب) [3] ،لكن كتابه لم يصل إلا ما ذكر من الروايات حوله.

2- إسحاق الملشوني (أواسط ق 03 هـ – 09 م) :

هو أبو القاسم إسحاق ابن أبي عبد الله الملشوني ، و هو شيخ من أمراء بني الأغلب و نديم بلاطهم و عرف عنه أنه كان عالما ثقة مؤرخا ثبتا ذا دراية و معرفة واسعة بفن التاريخ و المحاضرات ، تتلمذ على يد والده ثم جالس الإمام سحنون بالقيروان . [4]

كان يحضر كل يوم عند مُحَمَّد بن الأغلب يحدثه بأخبار الأمم السالفة و الأعوام الماضية ، وينقل أبو العرب عنه : " و سمعت بعض المشايخ ممن يروي البري من الأخبار يحدث عن إسحاق بن عبد الملك الملشوني أنه قال : "لم يدخل إفريقية نبي قط ، و أول من دخلها بالإيمان بعض حواريي عيسى بن مريم عليه السلام " [5].

---

[1]-مجهول ، المصدر السابق ، ص 173 .

[2]-عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 314 .

[3]-المالكي ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 401 .

[4]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ،ج01 ، ص 278 .

[5]-أبو العرب ، المصدر السابق ، ص 60 .

لم يترك أبو القاسم مؤلفات إلا ما ذكره أبو العرب بقوله : " و قرأت عن إسحاق بن أبي عبد الملك ... " [1] ، و ربما كانت له مؤلفات أو مخطوطات إلا أنها لم تلحق إلينا .

3-أبو القاسم يوسف البسكري (403-465 هـ / 1012-1072 م) :

هو أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن مُحَمَّد الهذلي البسكري [2]، مقرئ ومتكلم ونحوي نشأ بمدينة بسكرة كان كثير الترحال في طلب القراءات الشاذة و المشهورة ، زار اصبهان و بغداد وسمع أبا نعيم الأصبهاني وغيره ، عينه نظام الملك مقرئا في مدرسته بنيسابور سنة 458 هـ- 1067 م ، فمكث بها ناشرا علمه و أصيب بالعمى في آخر حياته إلى أن توفي بها[3] .

له كتاب " الكامل في القراءات" ، الذي قال فيه : "و ألّفت هذا الكتاب فجعلته جامعا للطرق المتْلُوَّة و القراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي كالوجيز و الهادي "[4] .

4- أبو العباس أحمد بن مكي بن أحمد بن قمود البسكري (كان حيا عام 516 هـ – 1223 م) :

فقيه مشارك في بعض العلوم من أهل بسكرة، رحل في طلب العلم فدخل مصر عام 516هـ[5] .

- **علماء مدينة المسيلة :**

1- أحمد بن خلوف المسيلي (ت 393هـ/1003م) :

يعرف باسم الخياط و يكنى بأبي جعفر ،كان فقيها عالما بالمسائل حافظا لمذهب الإمام مالك ، حسن التكلم في الفقه ، سكن الثغر بالأندلس أعواما عديدة مجاهدا ، توفي بقرطبة عام 393 هـ [6] .

---

[1]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 60.

[2]- الحموي ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 422.

[3]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 398 .

[4]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ،ج01 ، ص 398 .

[5]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 42 ، أنظر أيضا، رابح خدوسي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 317.

[6]- رابح بونار ، المرجع السابق ، ص 185.

2- الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي (ت 402 هـ/ 1012م):

اختلف في مكان مولده بين المسيلة وبسكرة ، لكنه يُنسب إلى مدينة المسيلة[1] كان إماما فقيها محدثا مؤلفا ، له حظ من علوم اللسان ، من أئمة المالكية وقف ضد الشيعة وكفّر كل من يدعو لهم على المنابر ، أخذ عنه كلا من : أبو بكر بن أبي زيد القيرواني و أبو عبد الله البوني ،[2] من كتبه : النامي في شرح موطأ الإمام مالك ، الأموال ، الواعي في الفقه ، النصيحة في شرح صحيح البخاري ، تفسير القرآن المجيد[3] ، كتاب الأصول ، الإيضاح في الرد على القدرية ... ، توفي بتلمسان واختلف في عام وفاته التي رجحها القاضي عياض بعام 402هـ/1012م[4] .

3- عبد الكريم النهشلي المسيلي (ت 405 هـ /1015م) :

هو أبو مُحَمَّد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ، ولد في المحمدية (المسيلة) ونشأ فيها ثم انتقل إلى القيروان أيام المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ) ولقي بها الشاعر ابن هانئ الأندلسي و الشاعر علي الأيادي و غيرهما ، دخل النهشلي في خدمة بني زيري بعد خروج الفاطميين من بلاد المغرب و أصبح كاتبا في ديوان الرسائل وأصبح نديما للمنصور بن بلكين (373-386هـ) ثم ابنه باديس (386-406 هـ) ، توفي النهشلي بمدينة المهدية عام 405 هـ.

كان عالما في اللغة عارفا بأيام العرب و أشعارهم كاتبا مترسلا و أديبا ناقدا قديرا و شاعرا محسنا ، خلف من ورائه كتاب : " الممتع في علم الشعر وعمله " ، وعلى هذا الكتاب اعتمد ابن رشيق القيروانيّ (ت

[1]- رابح بونار، المرجع السابق ، ص 185.

[2]- برهان الدين إبراهيم ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،ج01، مطبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون ، ط 01 ، مصر ، 1932م / 1351هـ ، ص46.

[3]- الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 103 .

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 102،103.

463 هـ) في كتابه «العمدة في صناعة الشعر و نقده» في الموضوعات و أسماء الأبواب، كما نقل منه فصولا كاملة. و يبدو أنّه كان لعبد الكريم النهشلي كتب أخرى أيضا لم تصل إلينا أسماؤها [1] .

4- ابن سهل الخشني (ت 406هـ/1015م):

ولد أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير بالمسيلة وبها تعلم و نبغ في الشعر و غيره من فنون الأدب المعروفة في عصره [2] ، نقل بورويبة نصا عن ابن رشيق يقول عنه فيه : " لم يُر ضرير قط أطيب نفسا منه ولا أكثر حياء ، مع دين و عفة ، أدركته و قد تجاوز التسعين والتلاميذ يكلمونه فيحمر خجلا وكان شاعرا مطبوعا يلقي الكلام إلقاء وسلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع ولطف التركيب ولا غنى لأحد الشعراء الحذاق عن العرض عليه و الجلوس بين يديه أخذا للعلم عنه واقتباسا للفائدة منه وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وأربعمائة " [3].

5- أبو علي حسين بن مُحَمَّد بن سلمون المسيلي (ت 431 هـ / 1040 م) :

فقيه مالكي ، ولد و نشأ بالمسيلة ، ثم رحل إلى قرطبة و وُلي الشورى بها ، كان حسن التفقه و قد نوظر عليه في المسائل و كان لا يتقن غيرها ، عرف بعفته و تواضعه ، توفي في آخر شوال من عام إحدى و ثلاثين و أربع مئة ، ودفن بقرطبة [4].

6- أبو مُحَمَّد عبد الله بن حمّود المسيلي (ت 473 هـ / 1080 م) :

كانت له معرفة بالأصول والفروع ، استوطن المرية وقُرئ عليه بها ، كتب القاضي أبو الفضل ابن عياض إلى ابن بشكوال حوله : " أن عبد الله هذا من أهل سبتة ، و أنه استُقضي بها ، ثم فر منها إلى المرية ..." [1]

---

[1]- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي – الأدب في المغرب و الأندلس إلى أواخر عصور الطوائف - ، ج04 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1984، ص 342-344.

[2]- صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بني حماد في العصر الإسلامي – دراسة تاريخية و أثرية - ، منشورات الحضارة ، ط01 ، الجزائر ، 2009 ، ص 175 .

[3]- رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 169-170.

[4]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 207.

7-الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني (385-463 هـ / 995-1071 م) :

هو أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي الشهير بالقيرواني لطول مكوثه بمدينة القيروان في خدمة ملوكها ، و هو أديب من كبار الأدباء باحث و شاعر ، مؤرخ و نقاد، ولد بمدينة المسيلة و تعلم صناعة الصياغة على يد والده ، ثم مال إلى علوم الأدب و التاريخ فأخذ من علماء بلده ، ثم رحل إلى القيروان سنة 406 هـ/ 1015 م فلقي بها كبار العلماء و الأدباء كعبد الكريم النهشلي و مُحَمَّد بن جعفر القزاز و غيرهما ، فلازمهم و أخذ عنهم و مدح أميرها المعز فقربه إليه و استكتبه و ذاع صيته في القيروان و خارجها و لم يزل بها إلى أن كانت الحملة الهلالية فانتقل إلى جزيرة صقلية و أقام بمدينة مازرة إلى أن مات بها .[2]

ترك عدة مؤلفات أشهرها كتاب " العمدة " و هو يبحث في صناعة الشعر و فنونه و نقده و عيوبه ، قال عنه ابن خلدون : " وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة و إعطاء حقها ، ولم يكتب أحد قبله و لا بعده مثله"[3] .

و مؤلفاته الأخرى هي : " قراضية الذهب في نقد أشعار العرب " ، و كتاب " الشذوذ في اللغة " ، و " أنموذج الزمان في شعراء القيروان " ، و " ميزان العمل في تاريخ الدول " ، و " تاريخ القيروان " ، و " الروضة الموشية في شعراء المهدية" ، و رسالة " نجح الطلب " ، و رسالة " قطع الأنفاس " ، و رسالة "رفع الإشكال " ، و " المساوي في السرقات الشعرية " ، و شرح موطأ الإمام مالك و ديوان شعر و رسائل أخرى[4] .

8- أبو علي حسن بن علي بن مُحَمَّد المسيلي (ت 580 هـ /1185م)

---

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 390.

[2]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 151 .

[3]- ابن خلدون، المقدمة ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 301 .

[4]- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - ، ج 02 ، تح : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ،بيروت ، 1993 ، ص-ص380-382 .

الشيخ الفقيه الفاضل ، العامل العابد ، المحقق المتقن المحصل المجتهد أبو علي المسيلي الذي عرف باسم أبا حامد الصغير ، ولد بالمسيلة و عاش ببجاية ، فقيه على المذهب المالكي جمع بين العلم و الورع ، له العديد من المصنفات الحسنة : " التذكرة في أصول علم الدين " ، " النبراس في الرد على منكر القياس " ، وله كتاب في علم التذكير " التفكير فيما يشتمل عليه السور و الآيات من المبادئ و الغايات " وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك

أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء و بسببه لقب بأبا حامد الصغير [1] ، تولى القضاء ببجاية و توفي بها .

- **علماء مدينة قلعة بني حماد :**

1 – ابن الرمامة أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي القلعي (478– 567 هـ / 1085– 1171م) :

الفقيه أبو عبد الله مُحَمَّد من مواليد قلعة بني حماد ، تفقه على يد أبي الفضل ابن النحوي بالقلعة ، ثم رحل إلى بجاية و أخذ عن أبي مُحَمَّد المقري و أبي إسحاق إبراهيم بن حماد ، ارتحل إلى الأندلس تاجرا و طالبا للعلم و التقى هنالك بالعديد من العلماء و أخذ منهم على رأسهم الفيلسوف أبا الوليد ابن رشد و أبا مُحَمَّد بن عتاب و أبا بحر الأسدي و أبا الوليد بن طريف ، ثم انتقل إلى المغرب و تولى خطة القضاء بمدينة فاس عام 536هـ/1142م و كان يميل في أحكامه إلى مذهب الشافعية ، خلف من ورائه العديد من المؤلفات من بينها : تسهيل المطلب في تحصيل المذهب ، التقصي عن فوائد التقصي ، التبيين في شرح التلقين ، و بذل جهدا واسعا في تحقيق كتاب

البسيط للغزالي ، توفي ودفن بمدينة فاس[2] .

2 – يوسف أبو الفضل ابن النحوي (433–513هـ/ 1042–1119م):

يوسف بن محمّد بن يوسف أبو الفضل ، عُرف بابن النّحوي ناظم "المنفرجة"، توزري الأصل أقام بقلعة بني حمّاد وتوفي بها ، صحب اللّخمي ، أخذ عن المازري وأبي زكريا الشقراطسي، وعبد الجليل الربعي،كان

[1] – أبو العباس أحمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، حققه و علق عليه : عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديد ، ط02 ، بيروت ، 1979 ، ص 33.

[2] – عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ج 02 ، ص 400 .

عارفاً بأصول الدّين والفقه، يميل إلى النّظر والاجتهاد، له تآليف ، حدَّث وروى عنه القاضي أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي ، قال القاضي أبو عبد الله بن عليّ بن حمّاد: "كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق عِلماً وعملاً " قال القاضي عياض عنه : " أخذ هو والمازري عن اللّخمي، كان من أهل العِلم والفضل، شديد الخوف من الله، غالب حاله الحضور معه تعالى "، توفي عن ثمانين سنة بقلعة بني حماد في محرم من عام 513هـ [1].

3 – أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن زكرياء القلعي الأصم (ت أواخر القرن 05هـ–11م)

شاعر من مجيدي الشعراء في بلاد المغرب الأوسط في عصره ، من قلعة بني حماد ثم هاجر إلى مصر و أقام بها

زمانا ومنها عاد إلى طرابلس الغرب سيرا على الأقدام[2] ، إلى أن وصل قوما يعرفون ببني الأشقر فامتدحهم بقصيدة ميمية مطلعها:

ترى فاض شؤبوب من الغيم ساجم *** و أومض مشبوب من إبرق جاجم [3]

فأحسنوا صلته و أعظموا جائزته ، قال ابن الزبير عن شعره : " كان جيد الشعر ، وارى زناد الفكر ..." [4].

4 – علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي (489–551هـ/1096–1156م) :

عالم بالحساب من كبار فقهاء الشافعية ، ولد بقلعة بني حماد وبها نشأ وتعلم ، رحل إلى المشرق و استوطن بالعراق و أخذ عن جماعة من كبار الفقهاء ، ثم انتقل إلى خراسان ومات بأسفرائن [1] قال عنه السمعاني : " إمام فاضل ، عالم بالمذهب ، بحر في الحساب " [2] .

---

[1]– أبي عبد الله مُحَمَّد ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج04 ، تح : د– عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، 1995 ، ص 226.

[2]– عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 18.

[3]– رابح خدوسي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 229.

[4]– العماد الأصبهاني ، المصدر السابق ، ج02 ، ص 473.

5 – عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي (أواخر القرن 05 هـ / 575هـ/1179م)

كان عالماً وطبيباً، خبيراً بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة، وله حسن نظر في الاطلاع على الأمراض ومداواتها، وكان له اهتمام وعلم يسير بعلم الحديث، وكان ممن يُحقق كتب الطب القديمة، كما كان شاعراً وله من الشعر الكثير ولكن شعره لم يكُن مُتقناً جيداً، كما كان له من الآثار الشيء الكثير[3] .

كان له دكان عطر في دمشق وهُوّ أشبه بالعيادة اليوم، وكان يجلس في دكانه هذا كُلَّ يوم حيثُ يُعالج من يأتي إليه أو يستوصف منه، وكان يهيئ عنده في الدكان أدوية كثيرة مُركبة يصنعها من سائر المعاجين والأقراص والسفوفات وغير ذلك، يبيع منها وينتفع الناس بها ، وكان مُعتنياً بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الأمراض ومداواتها، عمّر طويلاً وضعف عن الحركة مع الوقت حتى أنّه كان لا يأتي إلى دكانه إلا محمولاً على محفة والمحفة هيّ شبه سرير يُحمل عليه المريض والمرأة والمسافر ، ويصف ابن أبي أصيبعة شعره :" ويشعر وله رجز كثيرٌ إلا أن أكثر شعره ضعيف منحل.. " [4]

خلف من ورائه العديد من المؤلفات منها : شرح كتاب الأصول لأبقراط ، شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط ، كتاب ذخيرة الألباء ، المفرد في التأليف من الأشباه ، وضع حواشي لكتاب القانون لابن سيناء [5].

- **علماء مدينة باغاية :**

1 – أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الباغاني (345– 401هـ) :

---

[1]– عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 267.

[2]– عبد الحي ابن أحمد ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج06 ، تح : عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط 01 ، دمشق ، 1986 ، ص261.

[3]– موفق الدين أبي العباس أحمد ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ضبطه و صححه ووضع فهارسه : مُحَمَّد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ص 581 .

[4]– نفس المصدر ، ص 581 .

[5]– ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ض 581 .

فقيه مالكي ، حافظ و مفسر ، ولد بباغاية و نشأ فيها و أخذ عن شيوخها ، ثم رحل إلى المشرق وسمع بمصر، أخذ بمصر عن الأُدفوني النحوي المقرئ و المفسر وعن ابن غلبون الحلبي ، ثم دخل الأندلس وأقرأ بجامع قرطبة [1]، قال عنه ابن بشكوال : " كان من أهل الحفظ و العلم والذكاء و الفهم ، و كان في حفظه آية من آيات الله و كان بحرا من بحور العلم ، وكان لا نظير له في علم القرآن و قراءاته و إعرابه و أحكامه ، وكان رجلا ساكنا عفيفا .... " [2] ، له تأليف في أحكام القرآن ترجم له ابن بشكوال : " وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب مالك رحمه الله " [3] ، توفي عام 401 هـ و خلفه ابنه أبو بكر بجامع قرطبة .

2 – فتوح بن الغزال الباغاني (ت 446هـ) :

فقيه مالكي أشعري ، من أهل باغاية ، ارتحل و أقام بالقيروان ، كان فاضلا فقيها موسرا خيرا ، حسن الطريقة ، منظور إليه ببلده ، كانت له مكانة لدى السلطان ، فتم قتله حسدا [4] .

3 – محكم الهواري الأوراسي (كان حيا سنة 240هـ–854م) :

فقيه و إمام ، قاض من أهل الأوراس من قبيلة هوارة ، من أكابر علماء الإباضية على وقته ، تولى القضاء بمدينة تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208–240هـ) [5] قيل عنه : " أنه كان إماما كبيرا مقدما على أهل عصره في الفقه و غيره ، كريم الأخلاق ، وحسن السيرة " [6].

4 – هود بن محكم الأوراسي الهواري (عاش في القرن 03هـ/09م):

[1]– القاضي عياض ، المصدر السابق ج07 ، ص 198 .
[2]– الصلة ، المصدر السابق ، ج 01 ، 87 .
[3]– نفس المصدر ، ج 01 ، ص 87.
[4]– القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج07 ، ص 330.
[5]– ابن الصغير المالكي ، المصدر السابق ، ص 49.
[6]– رابح خدوسي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 684.

فقيه و مفسر إباضي ، من أقدم مفسري كتاب الله العزيز في بلاد المغرب الأوسط ، نشأ وتعلم بتيهرت وتوفي بها بعد عام 250هـ / 864م ، من آثاره كتاب تفسير القرآن الكريم [1].

[1]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 338.

المبحث الثالث : الموقع الأثري " طبنة " .

الأعمال التنقيبية للمدينة الأثرية:

تعد الدراسات التنقيبية حول مدينة طبنة قليلة جدا و ربما يعود ذلك إلى توصل الباحثين لنتيجة علمية دقيقة حول المدينة و السبب ربما الاستيطان البشري عبر مختلف العصور ، هذا ما يحتاج إلى عملية علمية دقيقة جدا ، وفي هذا الجانب سنحصي كل العمليات التنقيبية حول المدينة و النتائج التي توصلت لها . (أنظر الملحق رقم 11)

***تحريات تكسي من 15 أفريل إلى 15 ديسمبر 1848:**

تعرض تكسي في مقاله إلى موقع طبنة الاستراتيجي و المحجرة التي ساهمت في تزويد المدينة بمواد البناء و يرجع تأسيس المدينة إلى عهد جوستنيان الذي عرف عنه أنه مدد خط الليمس الروماني و أكثر من التحصينات و القلاع العسكرية ، وعثر فيها أيضا على مطاحن رومانية كاملة الأجزاء يقدر عددها بحوالي مائة مطحنة [1].

***أعمال " بايان :**

أولها في فيفري 1857 وعثرت الفرقة الإيطالية على نقش كتابي باللغة اللاتينية بالقرب من سد قديم نقش عليه "tubonis " ويرجع عدد سكان المدينة مابين 25-30 ألف نسمة ، وهذا التقدير حسب امتدادا آثارها.

أما في سنة 1864 فأنجز أعمالا خاصة بقنوات المياه التي تجلب الماء من وادي بريكة والآخر من وادي بيطام و نظرا لامتداد المدينة بين هذين الواديين فقد عمد الرومان إلى إنشاء قنطرتين لجلب المياه منهما [2] .

---

[1]- Tescier . Exploration des Provinces d Constantine et des Tinabs , une revue anathologie , 1848 , p 135 .

[2]- Payen , les Travaux Hydroliques Anciens dont il existe encore de nombreaux Vestages dans les partie du hodna dependant de la province de constantine , in Receuli des notice et mémoire de la societe archéologique de la province de constantine , 1864 , p 12-13 .

*** أعمال" فيل" 1868:**

أجرى تحريات على مدينة طبنة الأثرية وذكر أنها تشهد على وجود مدينة كبيرة قسم منها يرتفع عن باقي المدينة بحوالي 6 م وتتخذ الشكل المربع و بها أنواع من الأبراج وهنا يتعرض بالتحديد لموقع القلعة و الذي يصف طول ضلعها الواحد بستين مترا ، كما تتبع الباحث المياه الجوفية قرب الآثار الرومانية على الضفة اليسرى من وادي بريكة [1].

*** أعمال مسكري 1877:**

و أكد فيها أن طبنة تحوي ثلاث مدن متتابعة : المدينة الرومانية والبيزنطية والإسلامية ، إذ قام رفقة ستة رجال بالتنقيب وسط المدينة لمدة إحدى عشر يوما فتمكنوا من تحديد المدينة الإسلامية و عثروا على الكنيسة و الحمامات وسط المدينة الرومانية و قام بالتنقيب وسط القصر البيزنطي ، وحسب رأيه أن مدينة طبنة أعيد بناؤها عدة مرات مما تسبب في تشويه الكتابات اللاتينية بها و هذا ما أدى إلى عدم قراءتها ومعرفتها بالتدقيق [2] . (أنظر لملحق رقم 12)

- **أعمال ديال 1892-1893:**

وأكد فيها على أن الطريق الرابط بين بلزمة مرورا بنقاوس حتى طبنة يقع بامتداد واد بريكة وعلى طول الطريق بين نقاوس و طبنة تم بناء عدة قلاع ضغيرة لمراقبة الطريق ، و أنه بنيت قلعة بيزنطية على الضفة اليسرى من وادي بريكة على مسافة 04 كم من مدينة بريكة التي بنيت على الضفة اليمنى من الوادي ، ويذكر الباحث إحاطة الأبراج العالية بالقلعة التي لاتقل أهميتها عن قلعة تيمقاد ، ويذكر الباحث أن الأبراج تهدمت و أن الطمي و التراب قد غطى وسط القصر مما أدى إلى رسم تخطيط تصوري للقلعة و التي شبهت بقلعة تيمقاد و بلزمة أي أنها مستطيلة الشكل ، وحسب قياسات الباحث تبلغ أبعادها من الداخل 54 م طولا على 72.50 عرضا ، ودعم سورها خارجا بثمانية أبراج مربعة مقاسات الأربعة الأولى منها

[1] -Ville (M) , Voyage d'Exploiration dans les Bassins du Hodna et du Sahara , impremerie imperiale , paris , 1868 , p 111.

[2]- Masquerray , La Mission dans le Sud de la Province de Constantine , in revie africaine , 1877 , p 43 .

10.50 م طولا على 9.10 م عرضا ، بينما مقاسات الأبراج الأخرى أقل منها قليلا حيث بلغت 8.50 م طولا على 7.50 م عرضا ، ويتراوح سمك أسوار القلعة 2.30 متر و تراكمت بداخلها بقايا قديمة مثل الأعمدة و ركائز الأعمدة وبقايا توابيت حجرية و نقائش و كتابات غير مفهومة ومقروءة [1]

*** أعمال بلانشي 1899**:

يؤكد في دراسته على أن طبنة مدينة بربرية ، وهذا الجديد الذي جاء به الباحث على خلاف الأبحاث السابقة التي ركزت على الآثار الرومانية ، و أكد بلانشي أن قصر طبنة ما هو إلا قصر القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي الذي ذكره البكري ، وحدد في بحثه موضع المسجد ذو التخطيط الكلاسيكي الذي يجمع بين ثلاثة أروقة ثم ساحة و مقبرة ، وعثر في البقايا المتراكمة بين الجدران الأربعة للقصر على واجهات جدرانية مزخرفة بالجص و التي أنجزت بالسكين[2] .(أنظر الملحق رقم 13)

***أعمال قرنج 1900-1901** :

وهي آخر و أهم الدراسات التي أنجزت حول مدينة طبنة حيث ذكر كل المراحل التي مرت بها المدينة ابتداءا من عصر ماقبل التاريخ إلى غاية الفترة الإسلامية و أول شيء اهتم به الباحث هو الأعمال الهيدروليكية لأنه يعتقد أنها الآثار الوحيدة التي لم تتعرض للتخريب ، كما قام أيضا بحفريات حول طبنة الرومانية و البيزنطية ووجد حمام روماني بالمدينة إضافة إلى المدينة الإسلامية ، كما قام بتحديد مقاسات السور الأول الذي يحيط بالمدينة وحسبه تبلغ أبعاده 760م طولا و 640 م عرضا ، أما السور الثاني فهو مواز للسور الأول تبلغ أبعاده غربا 960م و 990 م شمالا ، كما قام أيضا بقياس أبعاد القلعة البيزنطية (61.90 م

[1]- Deihl (M) , Rapport sur deux Missions Archéologique dans l'afrique du nord , avril juin 1892 et mars mai 1893 , extraits des archives des missions scientifiques et lihérer , paris , 1894 , p 23

[2]- Blanchet , M, Excursion Archéologique dans le Hodna et la Sahara , in recueil notices et mémoires de la société archéologue du département de constantine , 1899 , p 290 .

طولا 80.50 م عرضا) ، و أكد في آخر بحثه على وجود طرق أخرى تربط طبنة بالمدن المجاورة منها مثل لمبيز وبسكرة[1] . (أنظر الملحق رقم 14)

المعالم الأثرية لطبنة الرومانية : [2]

بعد عملية الحفر التي أجراها قرانج 1900م و1901 م في المدينة القديمة والتي اقتضت إلى كشف شامل ووافي لجزء هام من آثار المدينة واعتمد على كشف بعض الأماكن التي رآها هامة أوجد فيها شواهد بارزة فنقب حوليها لذلك لا نعرف الكثير على آثار مدينة طبنة ومن بين الآثار التي نقب عنها نجد :

- **الأسوار والأبواب**

كانت المدينة محاطة بأسوار عظيمة في كل العصور التي عرفتها كما سبق الإشارة إلى ذلك فإن حول طبنة سورين،فبعد الكشف عن السور الأول تبلغ أبعاده 760متر طولا و640مترعرضا ظهر في الجهة الشمالية والغربية من المدينة وعلى مسافة 190 متر بالضبط مساحة أرضه على شكل شريط أكثر ارتفاعا من الأراضي المجاورة لها وموازية للسور الأول قاعدة هذا السور مبينة بالحجارة المصقولة يمتد بعد السور الثاني من الناحية الغربية 960 متر وفي الجهة الشمالية 990 متر ،ويلاحظ نقص أجزاء كثيرة من هذين السورين حيث لم يبق منها سوى بعض البقايا من الحجارة المصقولة والحصى الممزوج بالملاط ،وهو سهل ،يتراوح ارتفاع هذين السورين ما بين 05متر و06 متر وسمكها يتراوح مابين 2متر و 2,3 متر بني هذا السوران بالحجارة المصقولة وملء داخلها بحصى النهر الممزوج بالملاط .[3] (أنظر الملحق رقم 15)

تعبر طبنة من المدن المحصنة Civtas ،بتميزها بالأسوار العالية ، ويذكر أنه كان لها مداخل عليها حراسة قوية ،ويقيم بها سكان من أصل روماني أو يتمتعون بالمواطنة الرومانية مما يمارسون النشاط الزراعي والحرفي

[1]- Grange, R , op cit , p- p 65-69 .

[2]- شكشاك خلود ، المعالم الأثرية لمنطقة بريكة دراسة تاريخية أثرية ، رسالة ماستر02 تخصص آثار قديمة ، جامعة باتنة 01 ، 2019-2018 ، ص 60-70 .

[3]-GRANGE (R) ,Op,cit ,PP46 – 47.

وتعد ملجأ للريفيين القاطنين في إقليمها في حالة تعرضهم للغزو.[1] ،عثر الباحث قرنج من خلال الحفريات التي قام بها عن ثماني أبواب في محيط السور البيزنطي.

الكشف عن الباب الأول الذي يقابله الباب الثاني كان هذان البابان مرتبطين ببعضهما البعض بطريق على جانبيه أعمدة بارزة مما سهل بالكشف عن مكان الأسوار بدقة كما قدم الباحث وصفا دقيق لبابين :

أ/ الباب الأول

يبلغ عرضه 4 متر ،ويعتقد أنه كان يغلق بباب خشبي ينزلق بداخله مزلق حجري يبلغ طول هذا المزلق 6 متر ،وعرضه 1 متر ،ويوجد في نهايته اليسرى مصدمة وضيفتها توقيف الباب الخشبي ، لوحظ على جدار هذا الباب كتلتين حجريتين منقوشتين بكتابة لاتينية أحداهما على الجدار الأيمن والأخرى على الجدار الأيسر من الباب حيث يصعب قراءة نصهما لأنهما غير موضوعتين في الاتجاه الصحيح مما يؤكد أن هذا الباب قد أعيد بناؤه من طرف البيزنطيين بمواد جلبت من نواحي مختلفة كما هو الحال لجميع أبواب المدينة.

ب / الباب الثاني

يقابل الباب الأول ،ترتفع جدرانه 3 متر ، يوجد على جانبيه غرفتين مقاساتها 4,60 متر طولا و 3 متر عرضا ،سد مدخل هذا الباب بالدبش الممزوج بالملاط في الفترة اللاحقة بغرض حماية المدينة من الأعداء .

يرجع هذان البابان (الأول والثاني) لفترة الاحتلال الروماني وليس البيزنطي كما يفترض ،ويتضح ذلك من خلال طريقة بنائهما ، تم بعد ذلك الكشف عن أسوار المدينة كلها و 6 أبواب أخرى بحيث مجموع الأبواب الثمانية متقابلة مثنى مثنى ،بابين في كل جانب بينهما شوارع كبيرة عرضها 8 أمتار محاطة بالأعمدة.[2] (أنظر الملحق رقم 16)

[1]- محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق، ج2 ، ص 419.

[2]- عبد الحكيم أوكعور، الإقليم الإداري و الأثري لبلدية رومانية – دراسة جغرافية و أثرية لمدينة طبنة - ، رسالة ماجستير تخصص آثار قديمة ، جامعة الجزائر ، 2008-2009 ، ص30.

وكذلك العثور على مركز المدينة الذي يوجد عند تقاطع الزوايا القائمة للشارعين الرئيسيين (CARDO- DECUMMANUS) للطرق كما هو الحال عادة في المدن الرومانية حيث من المرجح وجود الفوروم في هذه النقطة والمباني الرئيسية والنقوش الكتابية والإدارية وإهداءات الأباطرة[1].

- **قنوات المياه والخزانات**

يقول قرنج في مقاله أن المدينة مليئة بما سماه السواقي [2]ربما تكون مجاري المياه إما لتموين المنازل والمنشآت العمومية أو مجاري الصرف الصحي ،لكن الأرجح أن تكون الاثنين معا فمجاري صرف المياه حتما تكون موجودة في مدينة بهذه الأهمية بقي نظام التموين بالمياه فلم يعثر على آبار في المدينة ربما الدراسات لم تهتم بها وقد تكتشف عنها الأبحاث مستقبلا لكن وجود نظام سواقي للتموين بالمياه تستدرج من الوديان المجاورة أمر موثوق وقد تم الكشف عنه .[3]

كما ذكر بايان Payen وجود صهاريج مياه واسعة في وسط مدينة طبنة ،موصولة بقنوات تجلب المياه لها ،إحداها من وادي بريكة شمالا والأخرى من وادي بيطام جنوبا لكنه لم يقدم لنا وصفا دقيقا عنها ولم يترك لنا مخططاتها ،بينما وصف قرنج أحد خزانات المياه وصفا دقيقا وهو الوحيد الذي لا يزال بارزا إلى يومنا هذا.[4] .(أنظر الملحق رقم 17)

تم الكشف عن حوض صغير يرجح أن لأحد الخواص لصغر حجمه ، إذ عثر على مخزن ماء تخرج منه ساقية مكشوفة تمتد على طول 4,70 متر حيث بعد هذه المسافة لا يوجد لها أثر فمن المرجح أنها تحولت إلى الناحية الشرقية تتصل بقطرة المياه الرئيسية.

---

[1]-GRANGE :Op,cit,P44.

[2]-Ibid ,P35.

[3]- أوكعور عبد الحكيم، المرجع السابق ، ص 33.

[4]-PAYEN : « Notice sur L'emplacement du Plusieurs Villes Romaines de la Subdivision de Batna »,1856 -1857 ,P173.

يتكون هذا الخزان من غرفة طولها 6,55 متر وعرضها 2,60 متر وارتفاعها 6,10 متر عند مفتاح عقد القبة الذي يرتكز على دعامتين يحملانه، بلطت هذه الغرفة، ويوجد في مركزها حوض قطره 01متر وعمقه 0,70 متر، أرضيته مبلطة قدر حجم هذا المخزن ب 87متر مكعب ويعتبر حجمه صغيرا نسبيا .

والغريب في هذا المخزن شكله المستطيل والحوض الصغير الذي يحتوي عليه إذ هو لا يشبه أي نموذج من النماذج المعروفة حاليا ،وهذا من جهة ومن جهة أخرى وقوعه في أسفل نقطة من مخزن المياه ،ربما كان بهدف تلقي قنوات المياه، دعمت الساقية من الخارج بجدران قد تكون أسس لمنازل مجاورة.[1]

- **الحمامات الرومانية**

ومن الآثار التي عثر عليها عبر الحفرية التي قام بها قرنج نجد الحمامات الرومانية الموجودة خارج أسوار المدينة على بعد 180 متر جنوبا ،وقدم لنا وصفا لها مع مخطط تفصيلي ،تتكون الحمامات من حوض جانبي نصف دائري قسمه الشمالي عرضه 2,3 متر وطوله 2,5 متر ويتصل بالقناة الناقلة للمياه من واد بيطام جنوبا عبر قناة عرضها 0,80 متر ،مبلطة بقطع آجورية مسطحة كبيرة الحجم،تتألف هذه الحمامات من خمسة قاعات كبيرة مزودة بنظام التسخين الهيبوكوست.[2].

حيث عثر في أرضيتها المبلطة بالملاط على الدعامات الآجورية عرضها 0,19 متر والتي تحمل أرضيات القاعات التي لم يبق أثر للفسيفساء التي كانت تزينها ،بالإضافة إلى ذلك هناك عدد من القاعات الأخرى لم تحدد ماهيتها ،عموما البناية طولها 20 متر وعرضها 10 أمتار ،وترتفع البقايا الأثرية في معظمها بحوالي 0,90 متر.[3].(أنظر الملحق رقم 18)

- **المعالم الأثرية البيزنطية**
- **القلعة**

[1]- GRANGE :Op,cit, P36 et P 41.

[2]- Ibid,P47.

[3]-أوكعور عبد الحكيم، المرجع السابق ، ص37.

لا نستطيع الجزم في ظل المعلومات المتوفرة فيما إذا كانت القلعة قد بنية أولا قبل أن تحصن المدينة وتحاط بسورها الجديد أو العكس أم بنية في نفس الوقت .

مخطط القلعة البيزنطية يشبه تخطيط قلعتي بلزمة وتيمقاد وهو التخطيط الأكثر رواجا في أشكال العمارة العسكرية وكانت منسجمة مع المحيط الطوبوغرافي للسهل الشرقي لحوض الحضنة ،فعمل المهندسون على أخذ مميزات الطبيعة كعامل دفاعي يوظف لوضع مخطط يخدم هذه المواصفات ويبرز فيها الجانبان الأمني والدفاعي ،إن شكل قلعة طبنة كان مصدره شكل المعسكر الروماني[1].

تقدم مقاسات القلعة حسب قرنج الذي قاسها من الداخل ب 80,50 مترطولا و 61,90مترعرضا [2]، بينما ديال يقول أن طولها كان 72 متر و عرضها 54 متر لكنه لم يتمكن من أجراء قياسات دقيقة لأن أكوام التراب كانت تغطي المكان . [3] .

- **الأبراج**

كشفت حفرية 1901م عن الأبراج الثمانية وأسوار القلعة إذ قدرت مقاسات أبراج الزوايا الأربعة ب 7,10 متر طولا على 7 عرضا أما الأبراج الموجودة في منتصف الواجهات فقد اختلفت أبعادها فتمثلت مقاسات البرج المتوسط للواجهة الشمالية .

ب 8,30 متر طولا على 6,10 متر عرضا والبرج المتوسط للواجهة الجنوبية قدرت مقاساته ب 6,70متر طولا على 4,70 متر عرضا ،أما فيما يخص المقاسات الخاصة بالأبراج المتوسطة للواجهتين الشرقية والغربية فهي 5,30 متر طولا على 6,75 متر عرضا.

وصف برج الزاوية الشمالية الشرقية

[1]- محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 425.

[2]- GRANGE (R) :Op,cit,P67.

[3]- DIEHL (CH) :« Rapport sur deux Missions Archéologique … »,Op,cit.P 285et P344.

يوجد في قمة الجدارية الشمالية والشرقية فتحتان تحتلان كل عرض الجدار ذات منحدر مدبر عرضهما 0,60 متر بلطة أرضية هذا البرج التي توجد على عمق 6 متر ويفتح في الزاوية اليسرى للواجهة الداخلية الغربية باب عرضه 1 متر،ارتفاعه 2,70 متر ارتفاع عتبته 0,55 متر يبلغ عمق هذا الباب الموجود في جدار الغرفة 1,27 متر ومنه دهليز منكسر ناحية اليسار ثم ينعطف مرة أخرى ناحية اليمين يؤدي إلى المسجد .

وجد في الناحية اليسرى مقابل للزاوية القائمة للباب التي تطلع على المسجد وبداخل الدهليز فوق الباب انليز نباتي جميل من المفرزة البيزنطية فوقه نقش كتابي باللغة اللاتينية يلاحظ نفس طريق اتصال الأبراج بالقلعة (شكل) قدر سمك أسوار الأبراج والقلعة ما بين 1,08 متر إلى 2,05 متر حيث بنيت بطريقة مزدوجة من الحجارة المصقولة وملئ الفراغ بين السورين بحصى النهر الممزوج بالجير ووضعت بداخلها كتل حجرية للتحصين ،إذ وجد في أنقاض جدران القلعة والأبراج بقايا ترجع على الفترة القديمة تمثلت في:أعمدة ،ركائز أعمدة مزخرفة ، تيجان ، أفاريز ، وبقايا توابيت حجرية ونقوش كتابية . [1] (أنظر الملحق رقم19)

[1]- GRANGE (R) :Op,cit . P68 et P73

الخاتمة

الخاتمة:

وعقب عرضنا لهذه الدراسة التاريخية الممتدة على أربعة قرون يمكن أن نخرج بجملة من الاستنتاجات كالتالي :

إن المدلول اللغوي لكلمة الزاب ،يصب في عدة معاني جاءت في مجملها للتعبير على منبع ومصب الماء أو تلك المناطق المحصورة بينها، بينما يوحي لنا المعنى الاصطلاحي بوجود زاب المشرق وزاب المغرب، فضلا على تأكيده للمعاني اللغوية لوجود الأدوية والأنهار والسباخ،كما اختلفت الآراء حول أصل التسمية، ففي شقه المغاربي المحلي، جاءت الكلمة من البربرية الأمازيغية بمعنى الواحة وهذا ما يفسر بانتشار البساتين والواحات بالإقليم .

أما عن الحدود الجغرافية لإقليم الزاب، فلم تتسم بالثبات بل امتدت و تقلصت تبعا للمتغيرات السياسية والقوى المسيطرة بالدرجة الأولى ، صاحب هذا التغير في المساحة تغير عاصمة الإقليم أو مركز ثقله طيلة العصر الوسيط .

بينما كان لموقع الزاب الاستراتيجي على خارطة بلاد المغرب الإسلامي سببا في تعاقب مختلف الحضارات (الرومانية والوندالية والبيزنطية) وقد سعت هذه الحضارات لسد الفراغ السياسي بهذه البلاد و إخضاعها لسلطان الدولة، وكذا استغلال ثرائها بالموارد الطبيعية ، وما جابهها من مقاومة السكان المحليين و تشكل الإمارات المحلية حول إقليم نوميديا.

و باستيطان هذه الحضارات بالإقليم تحددت حواضر الزاب ، فبنيت المدن ،والقصور والأسوار والمداخل و أقيمت القلاع والحصون التي لم تبخل مصادر الرحلة والجغرافيا في ذكر أخبارها وتقسيماتها.

تأخر الفتح الإسلامي واستقرار الدين الجديد بالمنطقة راجع إلى جهل الفاتحين بطبيعة البلاد ، قابل ه مقاومة من السكان المحليين لعدم تعرفهم على حقيقة الدين الجديد فقاوموا حركة الفتح الإسلامي و أمام إصرار الخلافة الإسلامية على تثبيت الإسلام وحزم الولاة وعزمهم على استكمال عمليات الفتح رغم تعاقبهم تم تثبيت الدين الجديد بعد طول مدة و أقبل البربر على الإسلام تباعا.

فأكسبت أرض الزاب خيرات جديدة و كثيرة للمسلمين ، و أكثر ما ساعد الإسلام على الانتشار ببلاد المغرب هو صهر البربر ضمن المجتمع الإسلامي بإدخالهم في الجيوش و توليتهم المناصب الهامة في الإدارة الإسلامية .

وتعتبر مرحلة حكم ولاة الدولة الأموية التي صاحبتها قيام الدويلات المستقلة الخارجية فترة اضطرابات بإقليم الزاب حيكت فيها المؤامرات والثورات ،وتصدرت الأحداث مدينة طبنة التي كانت السّد المنيع في حماية امتداد الخوارج إلى عاصمة الإقليم القيروان.

فاستطاع ولاة الدولة العباسية إرجاع التوازن لإقليم الزاب ، خاصة أنه أصبح يتبع الخلافة العباسية في بغداد مباشرة ، بعد تعيين الخليفة هارون الرشيد لولاة الإقليم في العديد من المرات .

كان ظهور الدولة الأغلبية كأول دولة أو إمارة عربية بالمغرب الإسلامي متبوعا باستقرار سياسي، ورخاء اقتصادي،وتطور عمراني ، ونبوغ علمي في إقليم الزاب وجلّ الأقاليم التي تدخل تحت حكم الأغالبة ، حتى انتشار الدعوة الشيعية الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،التي لم يستطع خلالها الأغالبة من الدفاع عن حدود دولتهم ، فنال إقليم الزاب الحظ الوافر من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية الوخيمة من الامتداد الشيعي خاصة الصراع الكبير بين قبيلتي زناتة و كتامة .

لكن ظهرت مقاومة أهل الزاب للدعوة الشيعية بطرق عديدة و انضمت جل ساكنة الإقليم للثورات التي ظهرت بالمنطقة ، فكانت ثورة المارطي ثم ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد من أكبر الثورات التي كادت تعصف بالفاطميين ببلاد المغرب ، تحمل إقليم الزاب عبئ هذه الثورة بحكم موقعها و امتداد مدنها على طول طريق المغرب الأوسط و الأدنى ، وجنا الزاب أكبر آثار الخراب في شتى المجالات العمرانية و الاقتصادية و الاجتماعية و حتى الثقافية برحيل علماء الإقليم إلى المدن الآمنة.

وبعد رحيل الفاطميين من بلاد المغرب جعلت سيادة البلادة في يد قبيلة صنهاجة ، سرعان ما دب الخلاف بين أبناء العمومة و تظهر الدولة الزيرية والحمادية، استمرت الآثار السلبية للحكم الفاطمي حتى إبان الحكم الحمادي لإقليم الزاب حيث أرسل الفاطميون قبائل بني هلال من مصر إلى بلاد المغرب لتأديب حلفائهم من بني صنهاجة (الزيريين والحماديين) ففرغت المدن من سكانها وتر اجع اقتصاد المنطقة

نظرا إلى الصراع الذي ساد المنطقة سواء بين السلطة الحاكمة وقبائل البربر مثل زناتة ، أو الصراع بين قبائل بني هلال والقبائل المحلية.

ازدهرت الحياة العامة في إقليم الزاب بعد انصهار العديد من القبائل البربرية و امتزاجها مع القبائل الهلالية ، حيث تبادلت الثقافات مع انتشار اللغة العربية في البلاد ، و استفاد أهل الزاب من امتداد المنطقة واحتلالها لموقع جيو ا ستراتيجي سواء من الناحية الاقتصادية أو التجارية ، فهو يتوسط الطرق الرابطة بين المغرب الأدنى ، والمغرب الأوسط،والمغرب الأقصى ، فساهم ذلك في قيام معايش قائمة على التجارة سواء الداخلية أو الخارجية .

ثم إن وفرة المياه وخصوبة التربة وملائمة المناخ بإقليم الزاب يعتبر جوا مثاليا لممارسة الأنشطة الزراعية ، وهنا ما ذكره الرحالة في كتبهم حول الزراعة بالمنطقة ، وتنوع المحاصيل وسبل استعمالها والاتجار بها، فضلا على نشاط الرّعي وتدجين الحيوانات.

فانتعشت بذلك مختلف الصناعات والحرف بنمو الإنتاج الزراعي ووفرة الثروة الحيوانية فقامت الصناعات الحرفية بالأساس على هذا الإنتاج، وعليه شاعت الصناعة الزراعية، والصناعة التي تعتمد على ما تنتجه الثروة الحيوانية، ثم الصناعة المعدنية التي تقوم على موارد الإقليم أو ما يتم جلبه من المناطق الأخرى.

وكان لوقوع الزاب وسط الطرق التجارية المحلية و الدولية سببا في مواصلة القوافل التجارية طريقها من و إلى الزاب ، فكان الإقليم موصولا بشبكة ضخمة من الطرق التجارية التي توحي بالانتعاش الاقتصادي والصناعي ووفرة الأسواق التي تتيح بدورها سبل المعاملات التجارية وتبادل السلع لصرف الفائض الإنتاجي وتغطية نقص الموارد الصناعية.

يتم تحديد قيمة السلعة في أسواق الزاب بأسعار متعارف عليها، وتتضح هذه القيمة بقيمة العملة المتداولة أو السلعة المعروضة مقابلها ، بينما شاع التعامل بالوزان والمكاييل بأسواق الزاب لتنظيم المعاملات التجارية واختلفت قيمتها من سوق لأخرى بحسب ما هو متعارف عليه.

وصورت لنا كتب الرحلة والجغرافيا مجتمع الزاب على أنه خليط من الجناس البشرية، ومن هذه الشعوب ما هو أصيل ، ومنها من توطّن بها الإقليم، ثم فئة نتجت عن تزاوج و اندماج السكان المحليين مع هذه العناصر الوافدة فيما يعرف بطبقة المولدين، كما سادت العصبية في توزيع القبائل البربرية ببلاد الزاب.

ثم تقتضب المصادر الجغرافية في ذكر ما يتعلق بالمستوى المعيشي لأهل الزاب كالمأكل والملبس والمسكن، وما تم تحصيله في هذه الدراسة هو استنتاج لاستخدامات المنتجات النباتية والحيوانية وبالاعتماد على كتب المؤرخين.

ولدى استقراء الباحث للمستوى المعيشي لبلاد الزاب يفتح له هذا نافذة على عادات وتقاليد البلاد وطبقات مجتمعها و أنواع البيئة الجغرافية السائدة بين البادية والحضر.

بقيها عدت الرحلة العلمية من أهم ما غذى الحركة العلمية ببلاد الزّاب فأقامت جسرا للتواصل الثقافي بين علماء الحضارة الإسلامية.

كما أوضحت لنا المصادر الجغرافية دور المراكز الثقافية في استقطاب العلماء وتشجيع الحركة العلمية، ونبغت في هذه الفترة نخبة من العلماء أو أسر بأكملها مثل الأسرة الطبنية التي انتشرت مشرقا ومغربا .

برزت كذلك مؤسسات للتعليم و حلقات ذكر و مناظرات بسبب انتشار الفكر الخارجي و الشيعي ، فكان رد علماء المذاهب السنية خاصة المالكية منهم بمناظرات علمية ، و تسيد علماء الزاب و خاصة الطبنيين الرد على الأفكار بين العامة .

إن ما يتعرض له الموقع الأثري طبنة و جل المواقع الأثرية المحيطة به من تهميش و نسيان وعدم حماية ، جعل هذه المواقع في يد العابثين بالآثار ، لذا وجب تدخل السلطات المعنية مع برمجة أيام و تربص لطلبة الآثار و تفعيل العمل الجواري مع الجمعيات لحماية ما تبقى من هذه المواقع .

و في الأخير ، هذا الموضوع لا يزال بحاجة إلى المزيد من البحث لوصل الحلقات وملئ الثغرات .

الملاحق

الملحق رقم 01 : خريطة طبيعية لإقليم الزاب و الحضنة [1]

2

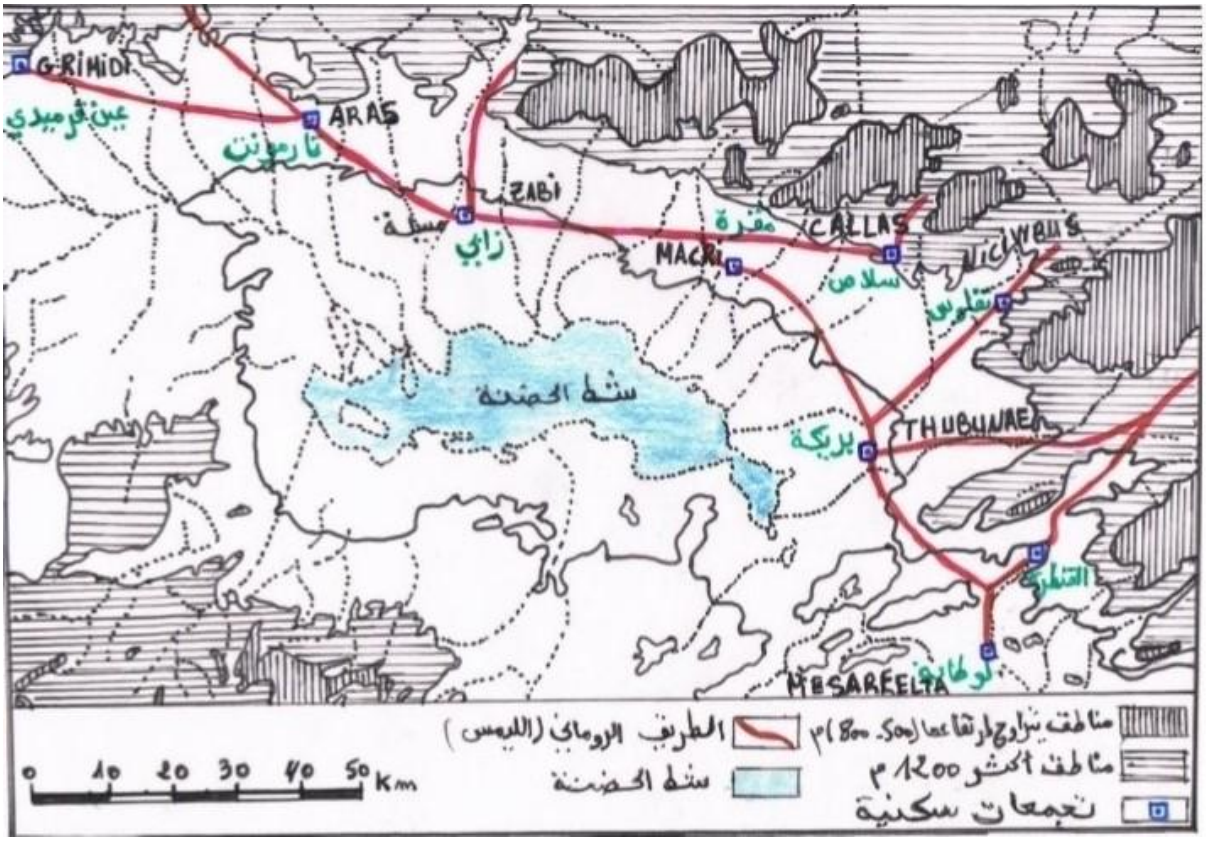

[1]– رحلي صليجة ، المرجع السابق ، ص 130 .

الملحق رقم 02 : الحدود السياسية و الطبيعية لإقليم الزاب في العصر القديم [1]

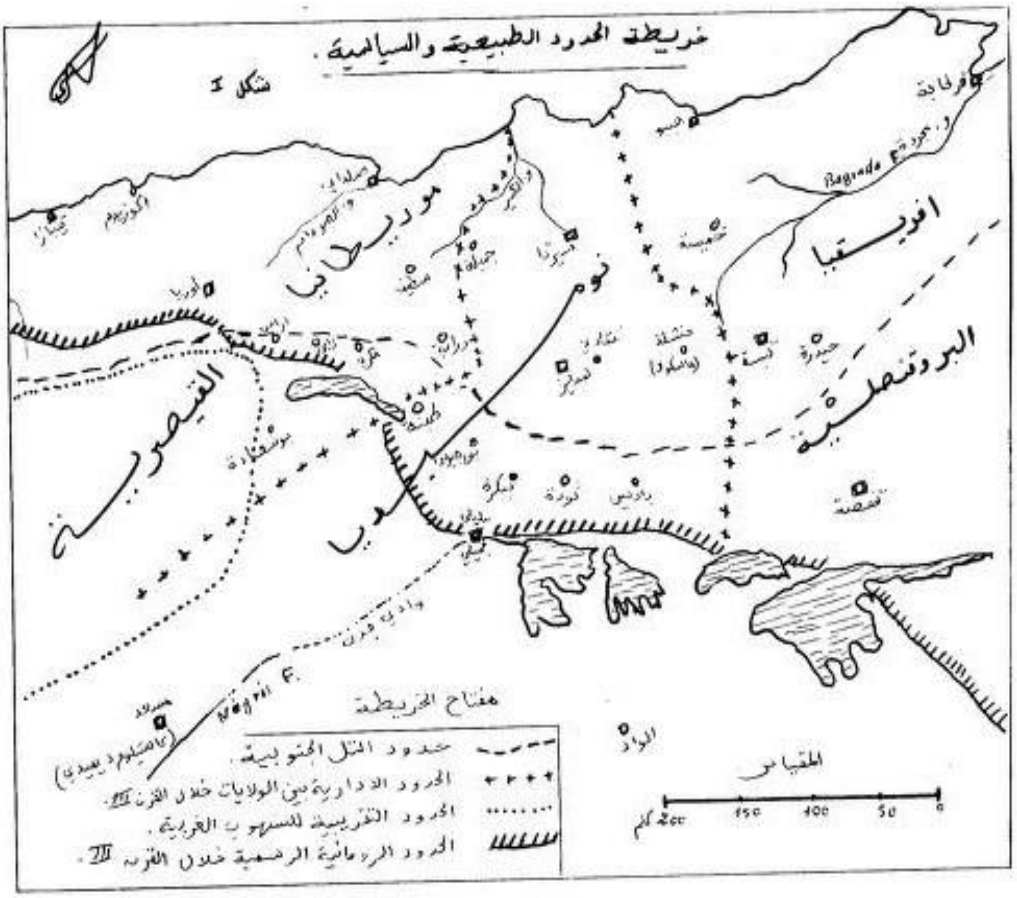

[1] – محمد البشير شنيتي ، التوسع الروماني باتجاه الجنوب ، المرجع السابق ، ص04.

الملحق رقم 03 : الطرق الرابطة بين مدن الزاب في الفترة الرومانية .[1]

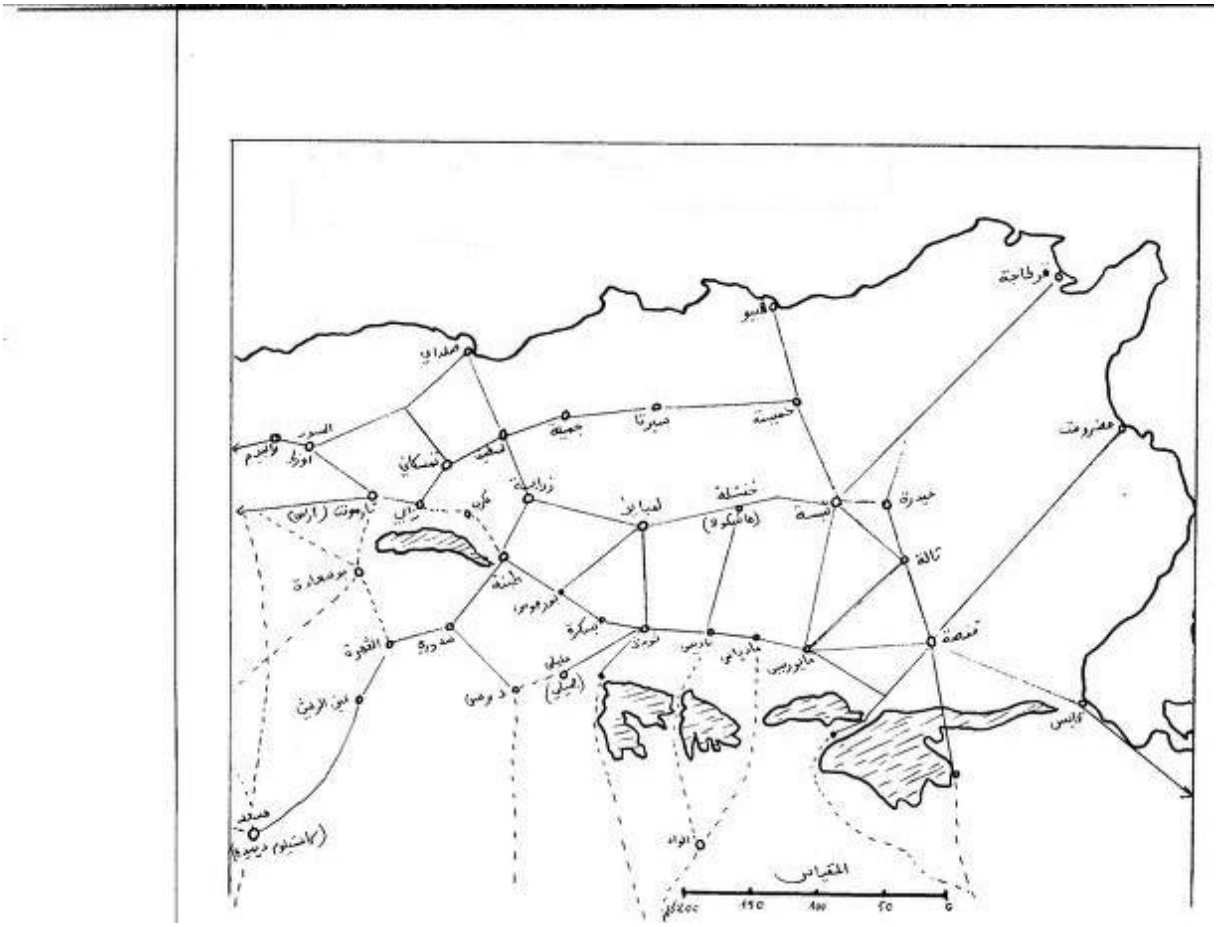

[1]- مُحَمَّد البشير شنيتي ، التوسع الروماني باتجاه الجنوب ، المرجع السابق ، ص05

الملحق رقم 04 : مسار سير حملة الفاتح عقبة بن نافع الفهري [1]

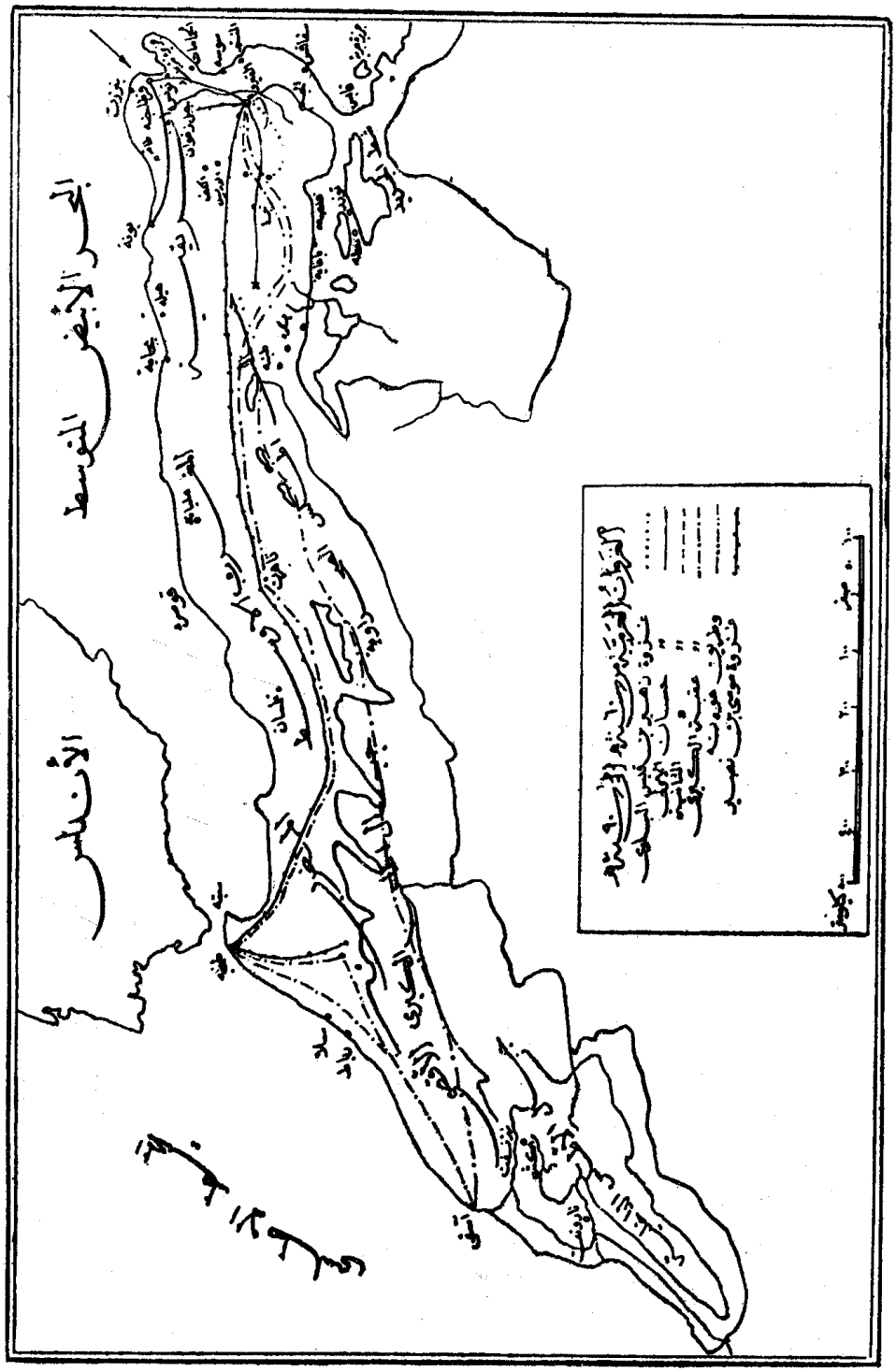

[1]- محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ج01 ، ص 105

الملحق رقم 05 : ما تبقى من موقع مدينة تهوذة [1]

[1]– عمل الطالب ، يوم 24 ديسمبر 2015 .

الملحق رقم 06 : التوسع الفاطمي في إقليم الزاب [1]

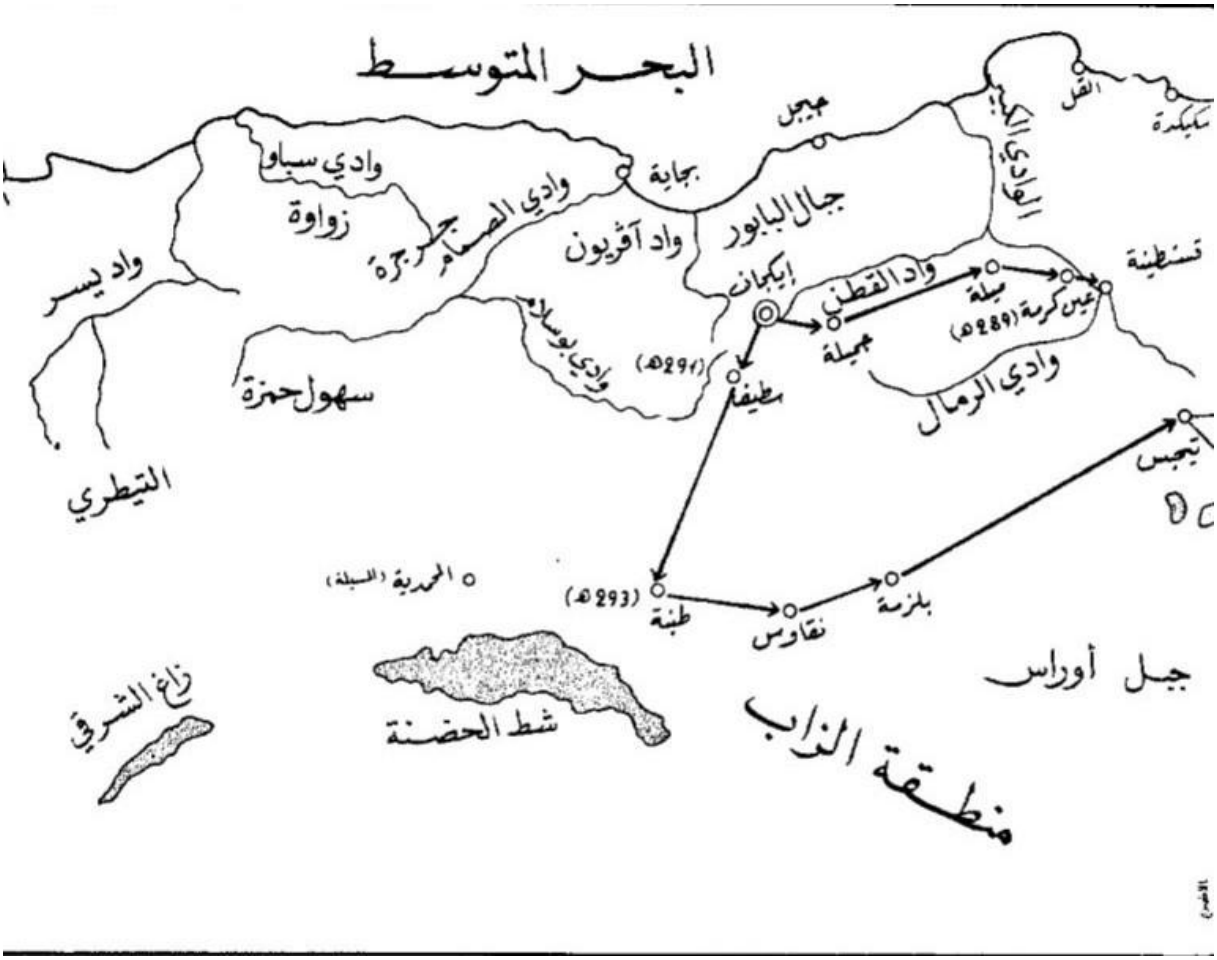

[1]– موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، 687.

الملحق رقم 07 : حدود الدولة الحمادية [1]

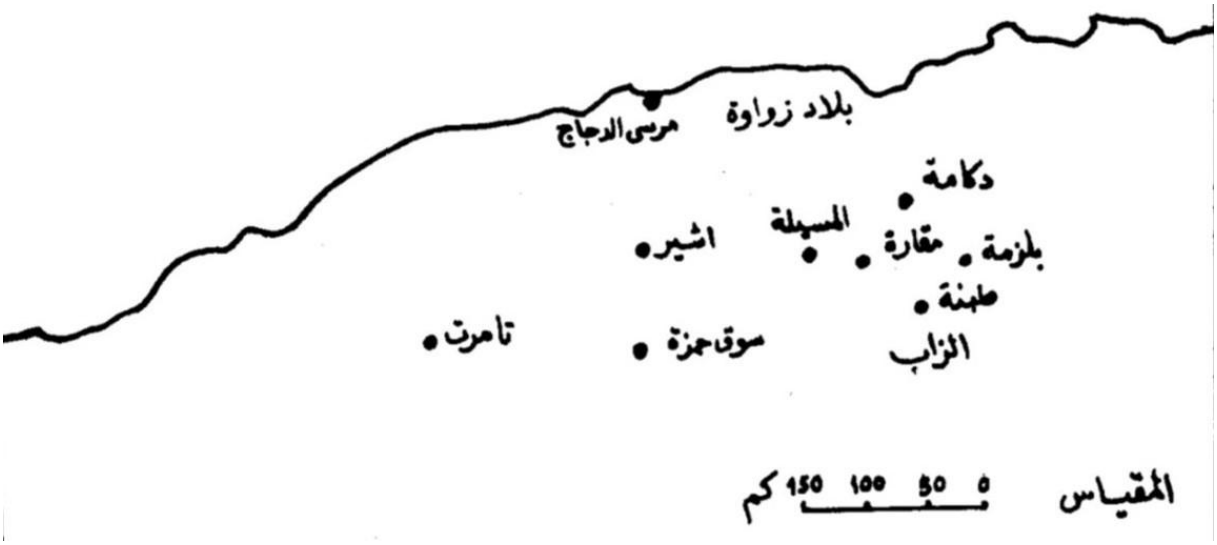

[1]- رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 39

الملحق رقم 08 : التواجد الهلالي بإقليم الزاب في عهد الحماديين [1]

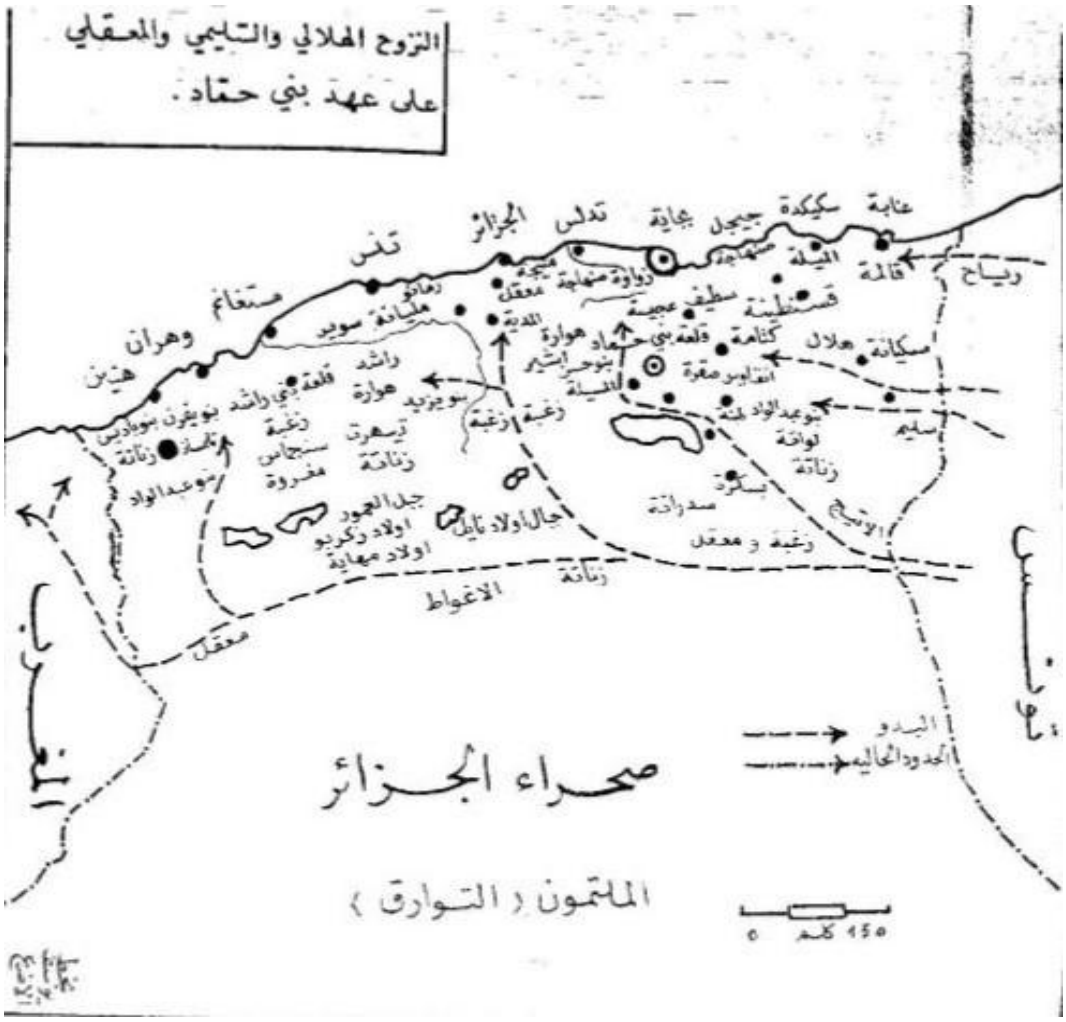

[1]- محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 117.

الملحق رقم 09 : انتشار القبائل البرنسية حول الزاب [1]

[1]- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 686.

الملحق رقم 10 : انتشار القبائل الهلالية [1]

[1]– مبارك الميلي : المرجع السابق ، ج02 ، ص 518

الملحق رقم 11 : حدود الموقع الأثري طبنة تصوير جوي [1]

[1] -Jean baradaz , fosstum africa , p 293

الملحق رقم 12 : مدينة طبنة الرومانية و البيزنطية [1]

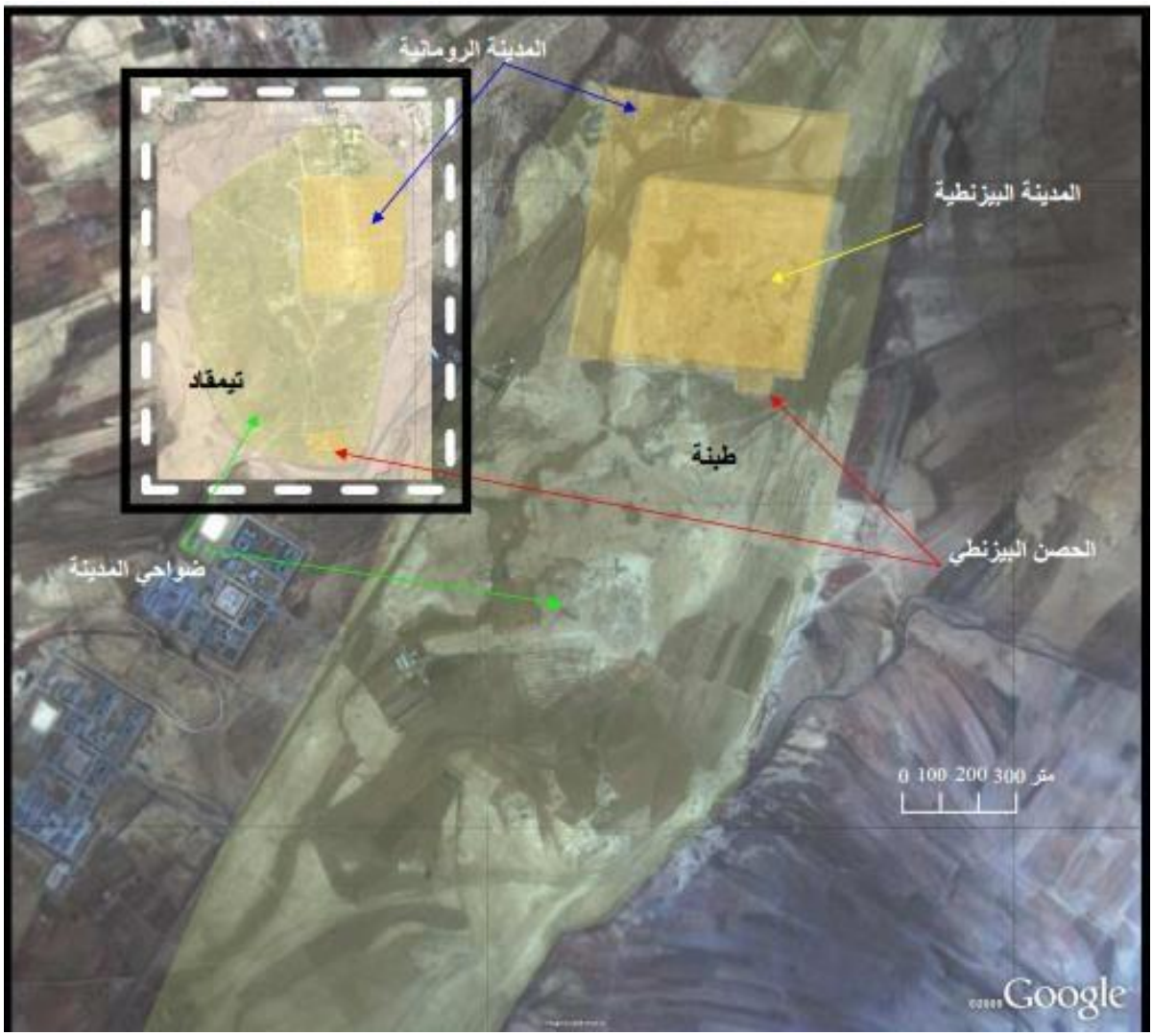

[1]- أوكعور عبد الحكيم ، المرجع السابق ، ص 67.

الملحق رقم 13 : معالم مدينة طبنة الإسلامية [1]

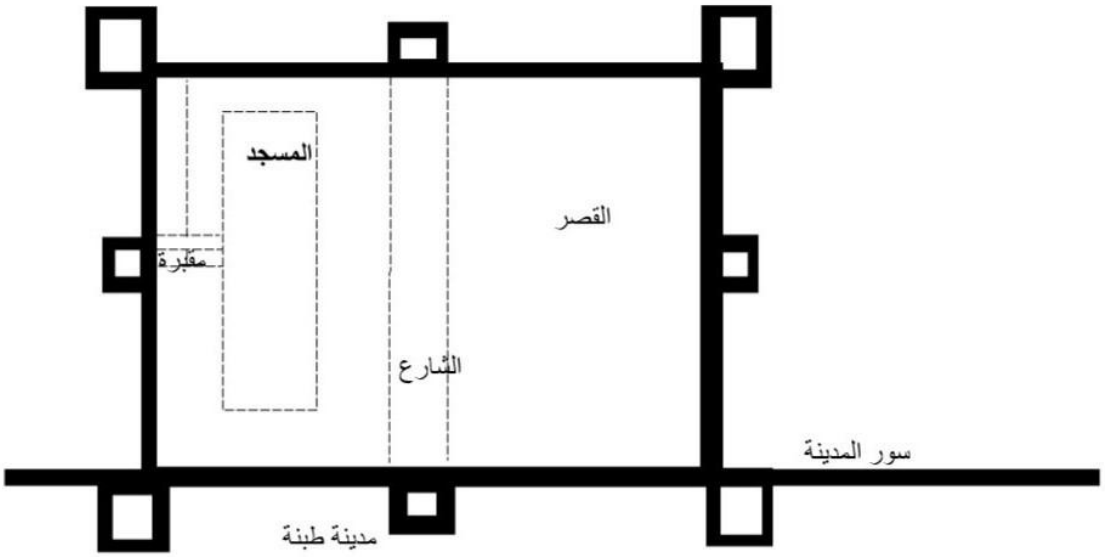

[1]- عبد الحكيم أوكعور ، المرجع السابق ، ص 79

الملحق رقم 14 : عمال جزائريون في حفرية مدينة طبنة عام 1901/1900 [1]

1 -GRANGE (R) , Op,cit,P42

الملحق رقم 15 : السور و البوابتين [1]

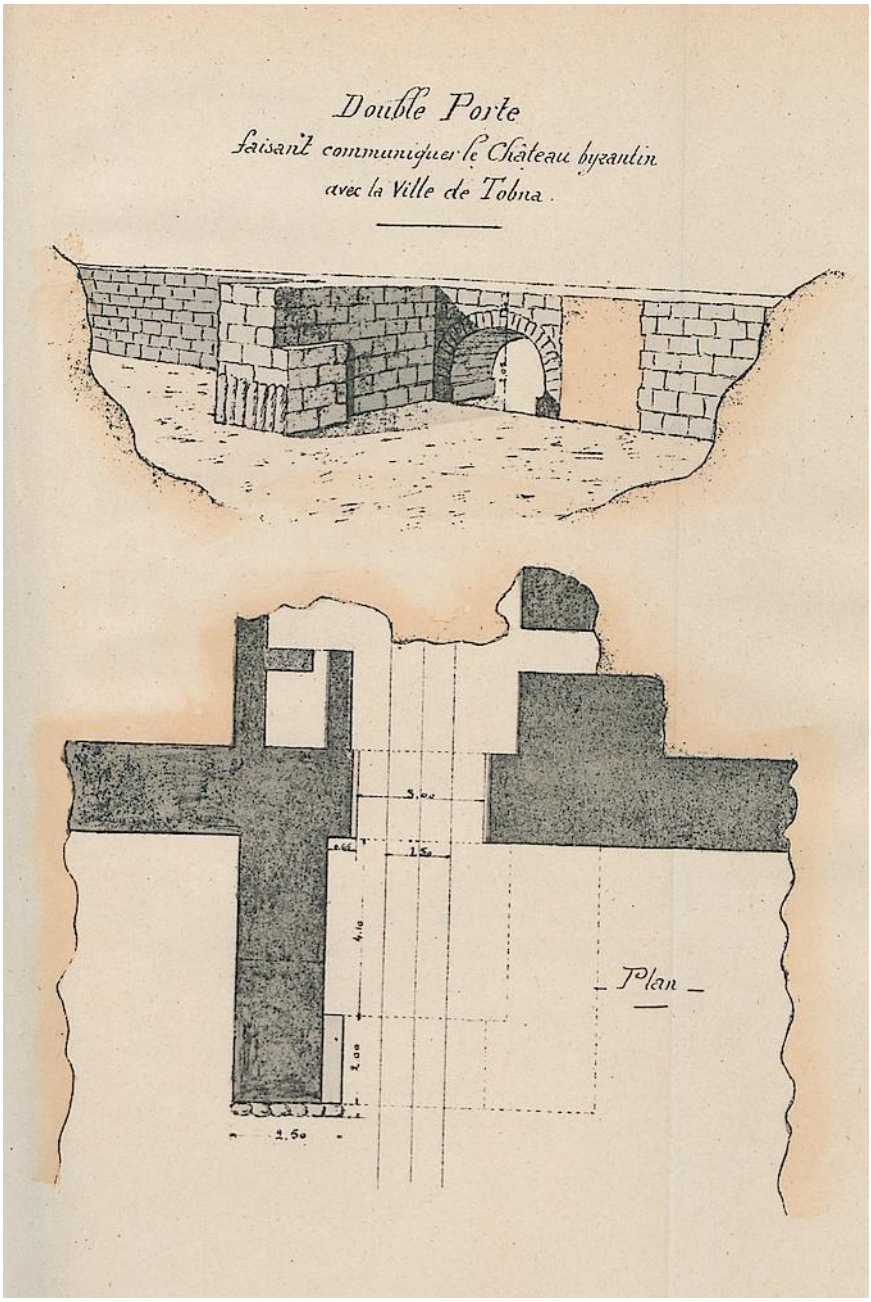

[1] - GRANGE (R) , Op,cit,P66

الملحق رقم 16 : بوابة مدينة طبنة [1]

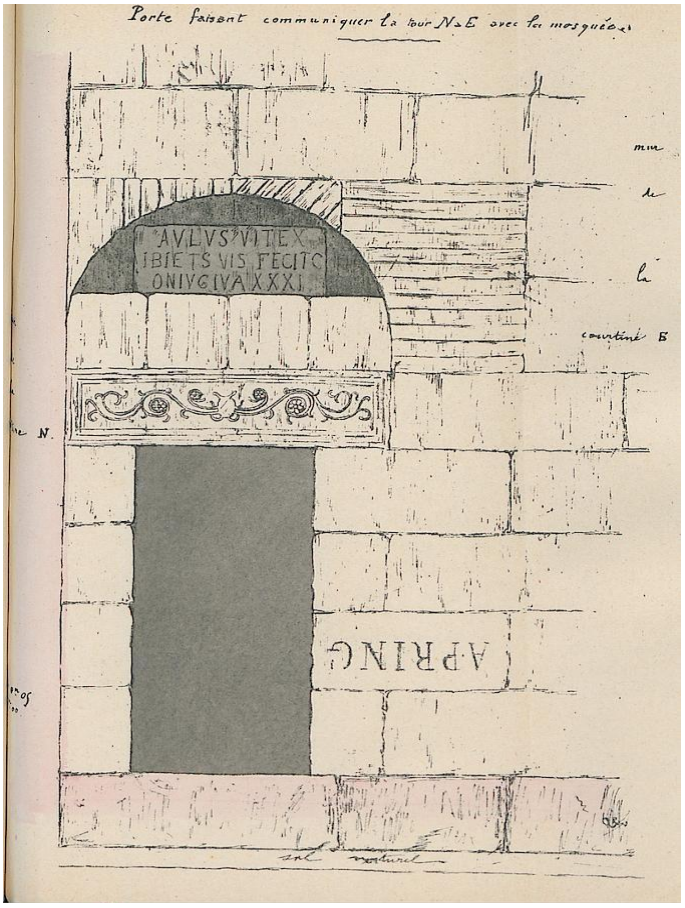

[1]- GRANGE (R) , Op,cit,P66

الملحق رقم 17 : خزان مياه مدينة طبنة [1]

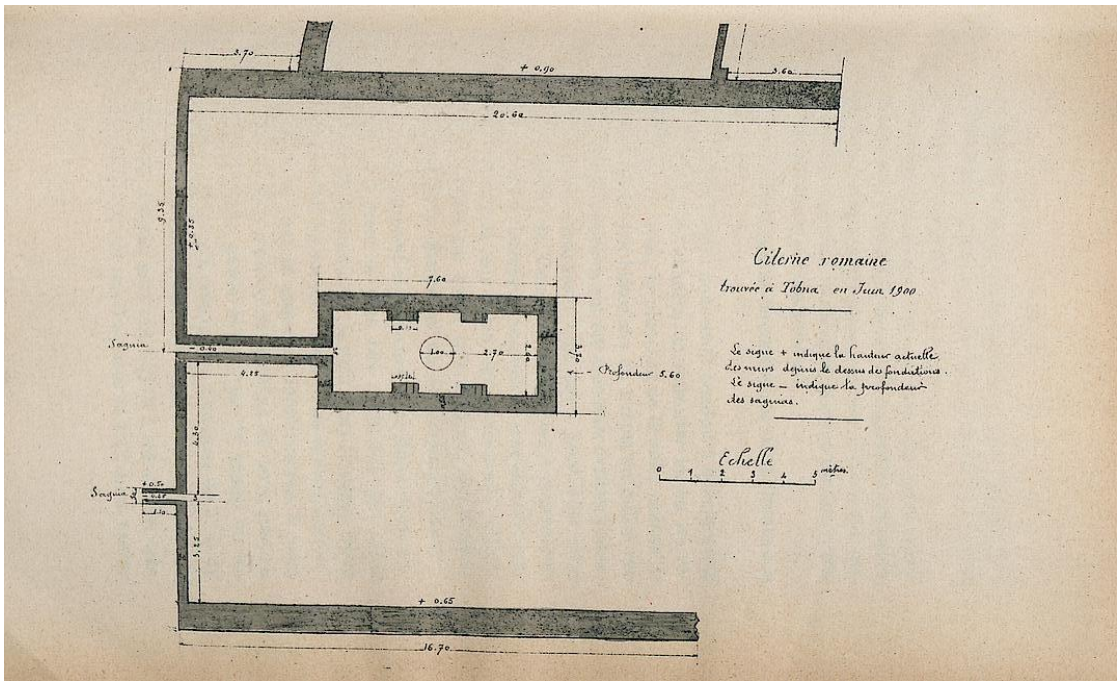

من عمل الطالب

[1] – GRANGE (R) , Op,cit,P38

الملحق رقم 18 : الحمام الروماني [1]

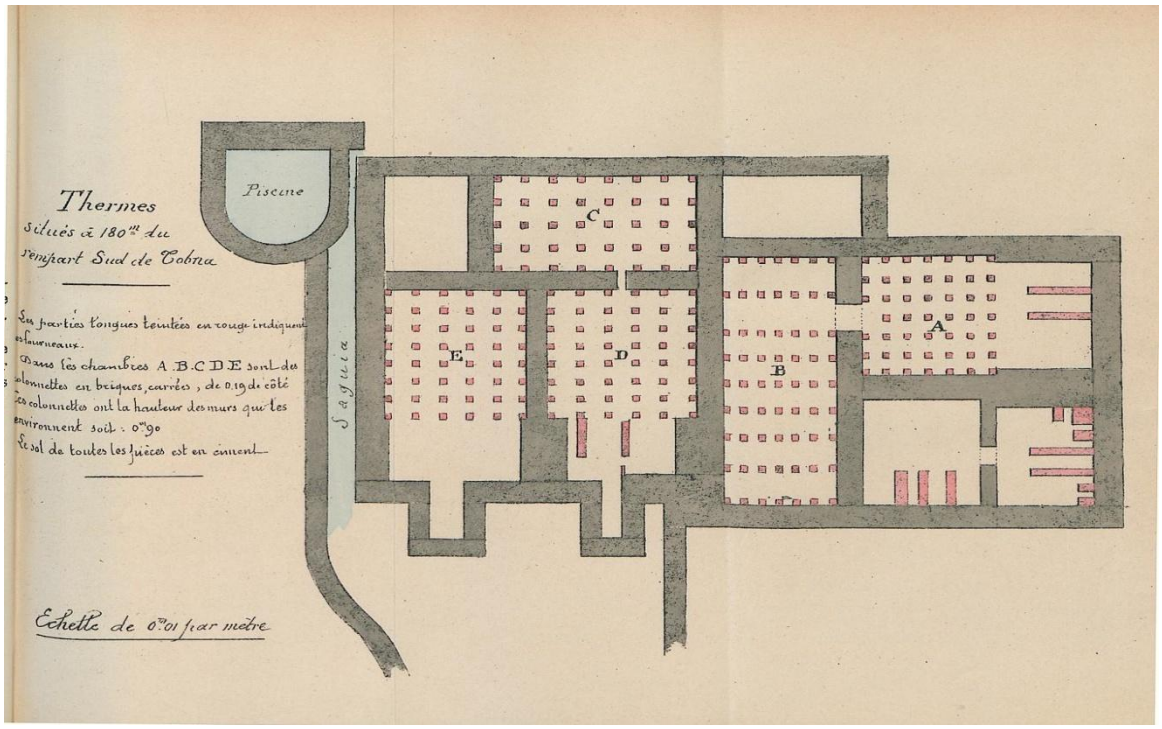

من عمل الطالب .

[1] - GRANGE (R) , Op,cit,P48

الملحق رقم 19 : المسجد الإسلامي [1]

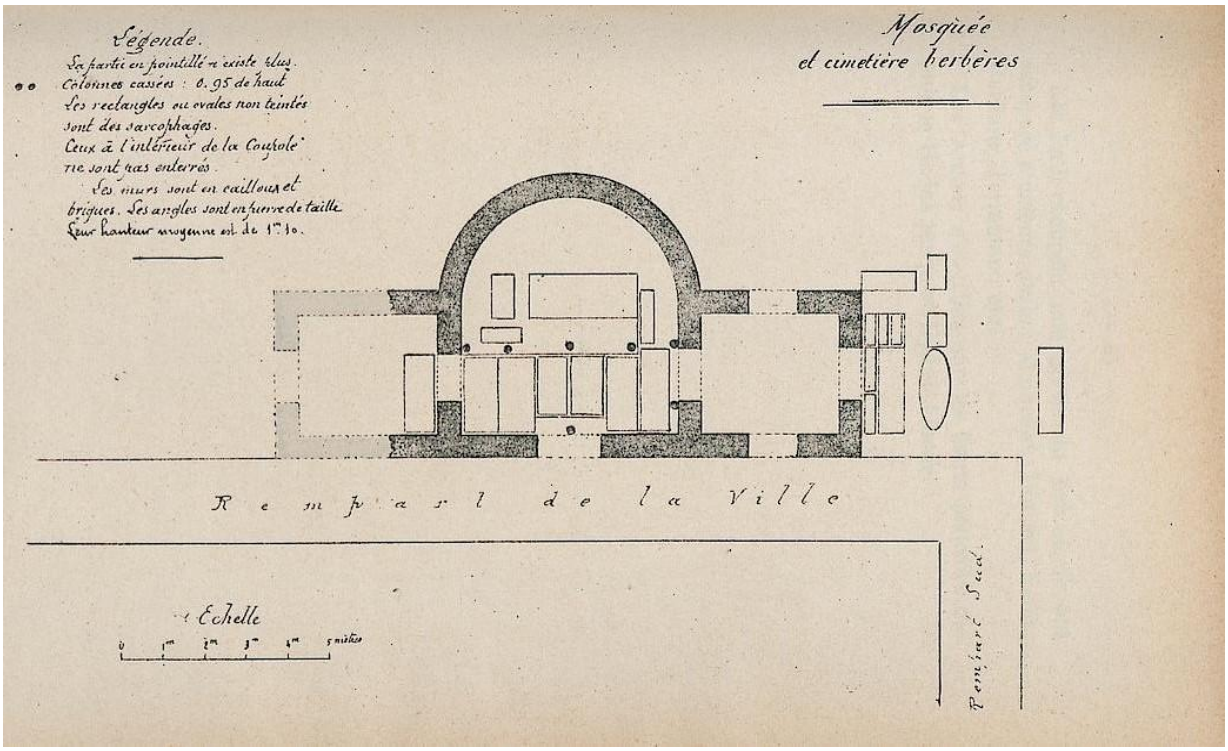

1 - GRANGE (R) , Op,cit,P92

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

*** القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع .**

كتب التاريخ العامة :

01-ابن أبي دينار ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت 1111هـ/1699م) ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، مطبعة الدولة لتونسية ، ط 01 ، تونس ، 1869م.

02-ابن الآبار أبو عبد الله مُحَمَّد (ت 658هـ/1260م) ، الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط02 ، القاهرة ، 1985.

03-ابن الأثير أبو الحسن عز الدين (ت 630هـ/1233م) ، الكامل في التاريخ ج 03 ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ،بيروت 1987.

04- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م) ، أعمال الأعلام في بيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،وما يتعلق بذلك من الكلام،ج02، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت، 2003.

05- ابن العماد عبد الحي ابن أحمد الحنبلي (ت 1089هـ/1679م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج06 ، تح : عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط 01 ، دمشق ، 1986.

06- ابن حماد أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي الصنهاجي (ت 628هـ/1231م) ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تح : جلول أحمد بدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

07- (ــــــــــــــ) ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، تحقيق : د-عبد الحليم عويس ،د- التهامي نقرة ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، مصر ، دت.

08- ابن حيان حيان بن خلف (ت 469هـ / 1076م) ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تح: محمود علي مكي ، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1978.

09- ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م) ، مقدمة ابن خلدون،ج01،جمع وتحقيق :عبد الله مُحَمَّد الدرويش، دار يعرب ، ط01 ، دمشق، 2004

10- (ـــــــــــــــ) ،ديوان العبر والمبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج06 ، ضبط المتن : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، 2000.

11- ابن خياط خليفة (ت 240هـ / 854 م) ، تاريخ خليفة ابن خياط ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1993.

12- ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق: شوقي ضيف ، دار المعارف،ط04 ، القاهرة ، 1993.

13- ابن صاحب الصلاة أبو مُحَمَّد عبد الملك الباجي (ت 594هـ/1197م) ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عصر الوحدين ، تح:عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، ط03 ، بيروت ، 1987.

14- ابن عذاري المراكشي (ت 695هـ/1295م) ،البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،ج01 ، تحقيق و مراجعة : ليفي بروفنسال و ح.س.كولان ، دار الثقافة ، ط 03 ، بيروت ، 1983.

15- ابن يونس المصري أبو الحسن علي (ت 399هـ/1009م) ، تاريخ ابن يونس المصري المعروف بتاريخ الغرباء عن مصر ، ج02، دار الكتب العلمية ، ط01، بيروت ، 2000.

16- الدّاعي إدريس عماد الدين القرشي (ت 872هـ/1467م) ، الدّولة الفاطمية بالمغرب "المهدي، القائم، المنصور ثورة أبي يزيد" من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار، ج05، أعدّه للنّشر فرحات الدشراوي، طبعة تونس ، 1979.

17- الرقيق القيرواني (ت 420 هـ / 1029م) ، تاريخ إفريقية و المغرب ، تح : عبد الله العلي الزيدان و عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، لبنان 1990.

18- السلاوي الناصري (ت 1315هـ/1897م) ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج01 ، تحقيق : جعفر الناصري ،مُحَمَّد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954.

19- السيوطي جلال الدين (ت 911هـ/1505م) ، تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 01 ، بيروت ، 2003.

20- صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي (عاش في القرن الثامن هجري) ، مفاخر البربر ، دراسة و تحقيق : أ-د عبد القادر بوباية ، مؤسسة البلاغ للنشر و الدراسات و الأبحاث ، ط01، الجزائر ، 2013.

21- الطبري مُحَمَّد ابن جرير (ت 310هـ/923م) ، تاريخ الأمم و الملوك، ج01، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987.

22- المراكشي عبد الواحد (ت 647هـ/1250م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران منصور ، دار الكتب العلمية ، ط02، لبنان ، 2005.

23- القاضي النعمان أبو حنيفة (ت 363هـ/974م) ، افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع تونس، وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط02 ، 1986.

24- (ــــــــــــــ) ، الاقتصار ، تح :مُحَمَّد وحيد بيرزا ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، سوريا ، 1957.

25- (ــــــــــــــ) ، المجالس و المسايرات ، تحقيق: الحبيب الفقي ، ابراهيم شبّوح و مُحَمَّد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997.

26- (ــــــــــــــ) ، دعائم الإسلام ، تح : آصف بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963.

27- المقري أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد التلمساني (ت 1041هـ/1631م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 09 ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968.

28- المقريزي أحمد بن علي تقي الدين (ت 845هـ/1442م) ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ج 01 ، تح : جمال الدين الشيال ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط02 ، القاهرة ، 1996.

29- (ــــــــــــــ) ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخِطط ، ج01 ،وضع حواشيه : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، لبنان ، 1998.

30- (ــــــــــــــ) ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج02 ، تحقيق : مُحَمَّد زينهم و مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، مصر ، 1998.

31- النويري شهاب الدين (ت 733هـ/1333م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ، تح : عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

32- اليعقوبي أبو العباس أحمد بن إسحاق بن وهب (ت 284هـ/897م) ، تاريخ اليعقوبي، مج2، دار صادر للطّباعة والنّشر، ط6، بيروت، لبنان، 1999.

كتب الفلاحة و الأطعمة :

33- ابن بصال أبو زكرياء يحي ابن مُحَمَّد ابن العوام الإشبيلي (عاش في القرن الخامس هجري) ،كتاب الفلاحة ، نشر و ترجمة و تعليق : خوسي ماريه مياس بيكورسا ومُحَمَّد عزيمان ، د.د.ط ، تطوان ، المغرب ، 1955.

34- ابن رزين التجيبي ، فضالة الخوّان في طيّبات الطعام و الألوان ، تحقيق: مُحَمَّد ابن شقرون ، مطبعة الرسالة ، الرباط ، 1981.

35- أبو الخير الإشبيلي (عاش في القرن الخامس هجري) ، عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب ، تحقيق : مُحَمَّد العربي الخطابي ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1990

36- الفرسطائي أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد (ت504هـ/1111م) ، القسمة و أصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية ، تحقيق : بكير بن مُحَمَّد الشيخ بلحاج و مُحَمَّد صالح ناصر ، جمعية التراث القرارة ، ط02 ، غرداية ، 1997.

كتب فتوح البلدان :

37- ابن أعثم أبو مُحَمَّد أحمد الكوفي (ت 314هـ/927م) ، الفتوح ، ج 01 ، دار الكتب العلمية ، ط 01 ، بيروت ، 1986.

38- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن (ت 257هـ/870م) ، فتوح إفريقية و الأندلس ، تح : عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1987.

39- البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي (ت279هـ/892م) ، فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، ط01 ، بيروت ، 1983.

40- الواقدي أبو عبد الله مُحَمَّد (207هـ/823م) ، فتوح الشّام ، ج2، ضبط وتصحيح، عبد اللّطيف عبد الرّحمن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001.

كتب الرحلة و الجغرافيا :

41- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله (ت 280هـ/893م) ، المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1889.

42- ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) ، كتاب الجغرافيا ، تقديم : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط02 ، الجزائر ، 1982.

43- الإدريسي مُحَمَّد بن عبد العزيز الشريف (ت 560هـ/1166م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد 01 ، دار عالم الكتب ، ط01 ، لبنان ، 1989

44- البكري أبو عبد الله (ت 487هـ/1094م) ، المسالك و الممالك ، ج02 ، تح:جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 2003.

45- (ــــــــــــــ) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت.

46- التيجاني أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد (توفي بعد 717هـ/1317م) ، رحلة التيجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، لبنان ، 2005.

47- الحسن بن مُحَمَّد الوزان (ت961هـ/ 1554م) ، وصف إفريقيا ج 02 ، ترجمة : مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط02 ، لبنان ، 1983.

48- الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م) ، معجم البلدان ، ج03 ، تح: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 1990.

49- الحميري مُحَمَّد بن عبد المنعم (ت 900هـ/1495م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط 02 ، بيروت ، 1984 .

50- الزهري أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر (توفي أواسط القرن السادس هجري) ، الجغرافية ، تح : مُحَمَّد الحاج الصادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت.

51- العمري أبو العباس شهاب الدين ابن فضل الله (ت 749هـ/1349م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في الحيوان و النبات و المعادن ، ج 20 ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 2000.

52- المسعودي أبو الحسن علي (ت 346هـ/957م) ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج01 ، تحقيق : مُحَمَّد السويدي ، موفم للطباعة و النشر ، الجزائر ، 1989.

53- المقدسي أبو عبد الله شمس الدين (ت380هـ/990م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، ط03، القاهرة ، 1991.

54- مؤلف مجهول (عاش في القرن السادس هجري)، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د . ت.

55- النصيبي أبو القاسم مُحَمَّد ابن حوقل (ت367هـ/977م) ، صورة الأرض ،دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، لبنان ، 1992.

56- النميري أبو القاسم إبراهيم ابن الحاج (ت 768هـ/1367م) ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، دراسة و إعداد : مُحَمَّد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، بيروت ، 1990.

57- اليعقوبي أبو العباس أحمد بن إسحاق بن وهب (ت 284هـ/897م) ، البلدان ، وضع حواشيه : مُحَمَّد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

كتب الأنساب و السير و التراجم :

58- ابن الآبار أبو عبد الله مُحَمَّد (ت658هـ/1260م) ، التكملة لكتاب الصلة ، ج04 ، تح : د- عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، 1995.

59- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين (ت 630هـ/1233م) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج 02 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1980.

60- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن مُحَمَّد بن يوسف(ت 403هـ/1013م) ، تاريخ علماء الأندلس ، تح ، روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1997.

61- ابن الكتاني أبو عبد الله مُحَمَّد (ت 420هـ/1030م)، التشبيهات من أشعر أهل الأندلس ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.

62- ابن بسام أبو الحسن بن علي الشنتريني (ت542هـ/1147م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، مجلد01 ، تح ، إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981.

63- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/1183م) ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم وفقهائهم و أدبائهم، مجلد02 ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، تونس ، 2010.

64- ابن حزم أبو مُحَمَّد علي بن أحمد الأندلسي (ت 456هـ/1064م) ، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001.

65- الأصفهاني أبو عبد الله عماد الدين (ت 597هـ/1201م) ، خريدة القصر و جريدة العصر ، تحقيق : مُحَّد المرزوقي ، مُحَّد العروسي المطوي ، الجيلاني بن الحاج يحي ، الدار التونسية للنشر ، ط 02 ، تونس ، 1971.

66- التادلي يوسف بن يحي ابن الزيات (ت627هـ/1230م) ، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي ، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، ط 02 ، الرباط ، 1997.

67- الحميدي أبو عبد الله مُحَّد (ت488هـ/1095م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1997.

68- الخشني القروي (ت361هـ/971م) ، قضاة قرطبة و علماء إفريقية ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب ، ط02، القاهرة ، 1989.

69- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن مُحَّد ابن منصور التميمي (ت 562هـ/1166م) ، الأنساب ، ج04 ، تقديم و تعليق : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1988.

70- السيوطي جلال الدين (ت911هـ/1505م) ، لب اللباب في تحرير الأنساب ،ج02 ، تح ، مُحَّد أحمد عبد العزيز و أشرف أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، 1991.

71- الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ج01 ، تح : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت – لبنان ، 1997.

72- الغبريني أبو العباس أحمد (ت 714هـ/1304م) ، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، حققه و علق عليه : عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديد ، ط02 ، بيروت ، 1979.

73- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى (ت544هـ/1149م) ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج02، تح:أحمد بكير، دار مكتبة الحياة،(دط)، لبنان، دار الفكر طرابلس، ليبيا، 1967.

74- (ـــــــــــــــ) ، تراجم أغلبية ، نشر : مُحَّد طالبي ، نشر الجامعة التونسية ، تونس ، 1968.

75- القيرواني الحسن بن رشيق (ت 463هـ/1071م) ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، جمع وتحقيق : محمد العروسي المطوي و بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، بيروت ، 1991.

76- الوارجلاني أبو زكرياء يحي بن محمد (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس هجري) ، سير الأئمة و أخبارهم ، تقديم و تحقيق : إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، ط02 ، بيروت ، 1982.

كتب الطبقات و الفرق و النوازل :

77- ابن أبي أصيبعة أبي العباس أحمد موفق الدين (ت668هـ/1270م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ضبطه و صححه ووضع فهارسه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998.

78- ابن فرحون برهان الدين إبراهيم (ت799هـ/1397م) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،ج01، مطبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون ، ط 01 ، مصر ، 1932م / 1351هـ.

79- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت333هـ/945م) ،طبقات علماء إفريقية وتونس، تح: علي الشّابي ونعيم حسن اليافي، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

80- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن (ت 699هـ/1300م) ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج01 ، أكمله وعلق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، تصحيح وتعليق : إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ،ط02، مصر ، 1968.

81- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1272م) ، طبقات المشائخ بالمغرب ،ج01، حققه : إبراهيم طلاي، مطبعة البعث ، قسنطينة 1974.

82- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم(ت 548هـ/1153م) ، الملل و النحل ،ج01 ، تح : محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ، ط 02 ، لبنان ، 1975.

83- العلمي عيسى بن علي الحسني (ت 1127هـ/1714م) ، نوازل العلمي ، ج03 ، تح : المجلس العلمي بفاس ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1989.

84- المالكي ابن الصغير (عاش في القرن الثالث هجري/العاشر ميلادي)، أخبار الأئمة الرستميين ، تح: مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986.

85- المالكي أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد (توفي بعد 453هـ/1061م) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم ،ج01 ، تح : بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط02 ، بيروت ، 1994.

86- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1509م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، ج03 ، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور : مُحَمَّد حجي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1981.

ثانيا : المراجع

87- الإبراهيمي مُحَمَّد البشير ، الآثار ، ج04 ، جمع و تقديم : أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، لبنان ، 1997.

88- أبو النصر عادل ، تاريخ الزراعة القديمة ، د.د.ط ، العراق ، 1960.

89- أبو زهرة مُحَمَّد ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دت.

90- أبو مصطفى كمال ، جوانب من حضارة المغرب المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997.

91- أحمد رمضان أحمد ، الرحلة و الرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة ، جدة ، د.ت .

92- إسماعيل محمود ، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3، مصر ، 2000.

93- البدري ياسر مُحَمَّد ياسين ، أقمار في سماء الأندلس ابن حزم الظاهري الأندلسي سيرته ، مذهبه ، شيوخه ، وتلاميذه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

94- برنشفيك روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ،ج01 ، ترجمة : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، لبنان ، 1988.

95- بشير عبد الرحمن ، اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1080 م) ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط01 ، مصر ، 2001.

96- بن الذيب عيسى و آخرون ، الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007.

97- بن عميرة مُحَمَّد ، بنو خزر و دورهم السياسي و العسكري في المغرب العربي ، منشورات و زارة الثقافة و السياحة ، الجزائر ، 1984.

98- (ــــــــــــــ) ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

99- بن قربة صالح يوسف ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.

100- (ــــــــــــــ) ، تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بني حماد في العصر الإسلامي – دراسة تاريخية و أثرية - ، منشورات الحضارة ، ط01 ، الجزائر ، 2009.

101- (ــــــــــــــ) ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007.

102- بورويبة رشيد ،الدولة الحمادية – تاريخها و حضارتها - ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1977.

103- البوعبدلي المهدي ، تاريخ المدن ، إشراف و إعداد : عبد الرحمن دويب ، دار المعرفة الدولية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013.

104- بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ج01 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط02 ، الجزائر ، 2009.

105- بوقاعدة البشير ، الصراع العسكري و خراب المدن بالمغرب الأوسط و الأدنى بين 296هـ/909 م ، 547هـ/1152 م ، ميم للنشر ، الجزائر ، 2015.

106- بومعزة عبد القادر ، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ، ج01 ، دار علي بن زيد للطباعة ، ط01 ، بسكرة ، 2016.

107- بونابي الطاهر ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12و13 الميلاديين ، نشأته ، تياراته ، دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2004.

108- بونار رابح ، المغرب العربي – تاريخه و ثقافته – ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 02 ، الجزائر ، د.ت.

109- جعيط هشام ، تأسيس الغرب الإسلامي (القرن الأول و الثاني هـ / السابع و الثامن م) ، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط01، بيروت ، 2004.

110- (ــــــــــــــ) ، تأسيس الغرب الإسلامي ، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط02 ، بيروت ، 2008.

111- جعيل أسامة الطيب ، معجم أعلام طبنة في العصر الوسيط دراسة تاريخية ، دار الأوطان للنشر و الطباعة و التوزيع ، سيدي موسى ، الجزائر ، 2019.

112- الجنحاني الحبيب ، دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1980.

113- جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع هجري (9-10 م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992.

114- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية (284-1453 م) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1999.

115- جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر: مُحَمَّد البشير سلامة ،الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1969.

116- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج01 ، دار الحياة ، ط02 ، بيروت ، لبنان ، 1965.

117- حساني مختار ، تاريخ الجزائر الوسيط ، ج01 ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013.

118- حسن حسين عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، ج02، مكتبة دار المنار، ط02، تونس، 1972.

119- حسين ممدوح ، إفريقية في عصر الأمير ابراهيم الثاني الأغلبي – قراءة جديد تكشف افتراءات الفاطميين - ، دار عمار ، ط01 ، الأردن ، 1997.

120- الحفناوي أبو القاسم مُحَمَّد ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج 02 ، تقديم : مُحَمَّد رؤوف القاسمي الحسني ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1991.

121- حميدة عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ،دار الفكر المعاصر ، ط 03 ، سوريا ، 1983.

122- خالدي عبد الحميد ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2007.

123- خدوسي رابح و آخرون ، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين ، ج02 ، تقديم : أ-د مُحَمَّد الأمين بلغيث ، منشورات الحضارة ، ط 01 ، الجزائر ، 2014.

124- الخزاعي كريم عاتي ، أسواق بلاد المغرب من لقرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، الدار العربية للموسوعات ، ط01 ، لبنان ، 2011.

125- دبوز محمّد علي ، تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة ،1963.

126- الدشراوي فرحات ، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م التاريخ السياسي و المؤسسات ، تر: حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994.

127- دغفوس راضي ، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، بيروت ، 2005.

128- ذنون طه عبد الواحد ، دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004.

129- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع هجري ، ج 02 ، دار عالم المعرفة ، ط01 ، الجزائر ، 2014.

130- سنوسي يوسف إبراهيم ، زناتة و الخلافة الفاطمية ، مكتبة سعيد رأفت ، ط01 ، جامعة عين شمس ، مصر ، 1986.

131- السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية ،ج02، بيروت،1981.

132- الزركلي خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب المستعربين و المستشرقين ، ج 06 ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، لبنان ، 2002.

133- شنيتي مُحَمَّد البشير ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003.

134- (ــــــــــــــ) ، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

135- (ــــــــــــــ) ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج 01 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999.

136- (ــــــــــــــ) ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج 02 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999.

137- شيت خطّاب محمود ، قادة فتح المغرب العربي، ج1، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط7،بيروت ، 1984.

138- صحراوي عبد القادر ، التحصينات العسكرية بنوميديا و موريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46 ق.م – 284 م ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، 2011.

139- صيد عبد الحليم ، أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة ، مطبعة سوف ،ط01 ، الوادي ، 2000.

140- الطالبي مُحَّد ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296 هـ – 800 -909 م) ، ترجمة : المنجي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، بيروت ، 1985.

141- طقوش مُحَّد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا و مصر وبلاد الشام (297-567 هـ – 910-1171 م) ، دار النفائس ، ط02 ، بيروت 2007.

142- الطمار مُحَّد ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010.

143- طويل الطاهر ، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط – من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس – ، المتصدر للترقية الثقافية و العلمية و الإعلامية ، ط01 ، الجزائر ، 2011.

144- العبادي أحمد مختار ، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

145- عبد الكريم نريمان ، مجتمع إفريقية في عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2000.

146- العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

147- (ــــــــــــــ) ، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1980

148- عزام إدريس و آخرون ، المجتمع الريفي و الحضاري و البدوي ، الشركة الوطنية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة ، 2010.

149- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد – صفحة رائعة من التاريخ الجزائري – ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، ط02 ، القاهرة ، 1991.

150- غانم مُحَّد الصغير ، مقالات حول تراث منطقة بسكرة و التخوم الأوراسية ، منشورات جمعية التاريخ و التراث الأثري لمنطقة الأوراس ، باتنة ، 1990.

151- فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر – من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م – 1962 م) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، 2003.

152- فروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي – الأدب في المغرب و الأندلس إلى أواخر عصور الطوائف - ، ج 04 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1984.

153- فيلالي عبد العزيز و إبراهيم بحاز ، مدينة ميلة في العصر الوسيط ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2017 .

154- فيلالي عبد العزيز ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.

155- (ــــــــــــــ) ، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب و الأندلس ، دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2008.

156- القاسمي هاشم العلوي ، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري – منتصف القرن العاشر ميلادي ، ج 01 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1995.

157- كراتشوسكي أغناطيوس ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج01، نقله للعربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، ط02 ، لبنان ، 1989.

158- الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر – من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي - ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2003.

159- كونستابل أوليفيا ريمي ، إسكان الغريب في العالم المتوسطي السكن و التجارة و الرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط ، تر:مُحَّد الطاهر منصوري ، دار المدار الإسلامي ، ط 01 ، بيروت ، 2013.

160- لقبال موسى ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1971.

161- (ــــــــــــــــ) ، المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 02 ، الجزائر ، 1981.

162- (ــــــــــــــــ) ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى غاية منتصف القرن الخامس هجري (11م) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979.

163- (ــــــــــــــــ) ، عقبة بن نافع ، المطبعة الشعبية للجيش ، وزارة الثقافة الجزائرية ، 2007.

164- (ــــــــــــــــ) ، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى العهد العثماني ، ج03 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط01 ، الجزائر ، 1984.

165- اللّميم عبد العزيز ، حسّان بن النّعمان الغسّاني ودوره في فتح بلاد المغرب، مؤسّسة الرّسالة، ط1، بيروت، 1989.

166- مايكل هارت ، الخالدون مائة أعظمهم مُحَمَّد رسول الله ، ترجمة: أنيس منصور ، الكتب المصري الحديث ، القاهرة ، د ت.

167- المجدوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تقديم : علي الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس1975.

168- محجوب مُحَمَّد عبده ، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج و تطبيق) ، وكالة المطبوعات ، ط 02 ، الكويت ، 2015.

169- مُحَمَّد حسين آل ياسين ، معجم النباتات و الزراعة ،ج01، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ، 2000.

170- مُحَمَّد كرو أبو القاسم ، عصر القيروان، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط2، دمشق، 1989.

171- مرمول مُحَمَّد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983.

172- مزهودي مسعود ، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/909-1058م) ، المطبعة العربية ، غرداية ، 1996.

173- مصمودي فوزي ، الزاب – المصطلح و الدلالات ، دار علي بن زيد ، بسكرة ، 2013.

174- مقر مُحَّد ، اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي ، منشورات الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ط 01 ، المملكة المغربية ، 2006.

175- مؤنس حسين ، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، منشورات عالم المعرفة ، الكويت ، 1978.

176- (ــــــــــــــ) ، تاريخ المغرب و حضارته ، ج 01 ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1996.

177- (ــــــــــــــ) ، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د . ت.

178- (ــــــــــــــ) ، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م) ، الدار السعودية ، ط 02 ، جدة ، 1985

179- ميكيل أندري ، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر ، تر: ابراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1953.

180- الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج 01 ، تقديم و تصحيح : مُحَّد الميلي ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1976.

181- نهلة شهاب الدين ، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009.

182- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، ط02 ، بيروت ، 1980.

183- الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م، ج 01 ، نقله إلى العربية : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، بيروت ،1992.

184- هلال عمار ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية و الإسلامية فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين (03 و 14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995.

ثالثا : المقالات

185- بوسعد الطيب ، دور علماء طبنة في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، العدد 03 ، 2012.

186- جعيل أسامة الطيب ، الحركة العلمية في بلاد الزاب خلال العصر الوسيط من القرن 02 هجري إلى الخامس هجري ، مقال في كتاب : بحوث و دراسات تاريخية أعمال مهداة للأستاذ : لعميد عبد العزيز ، إعداد و تنسيق : الدكتور قاصري مُحَّد السعيد ، مطبعة نواصري، ط01 ، المسيلة ، 2017.

187- الجنحاني الحبيب ، العلاقات السياسية و الإقتصادية بين إفريقية و المغرب الأوسط فيما بين القرنين الثاني و الخامس للهجرة – الثامن و الحادي عشر ميلادي ، الأصالة ، باتنة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ،1978.

188- الجيلالي عبد الرحمن ، شخصيات لامعة من الأوراس ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، العدد 60-61 ، 1978.

189- حاجيات عبد الحميد ، التطور المذهبي في الأوراس في العصر الوسيط ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، العدد 60-61 ،1978.

190- حروز عبد الغني ، قلعة بني حماد من خلال المصادر و المراجع التاريخية – الموقع و التأسيس – ، مقال بموقع أكاديمية للبحوث و الدراسات ، تاريخ الإطلاع : الخميس 18ماي 2019.

191- حسن مُحَّد ، أصناف الإنتاج الزراعي بإفريقية من القرن 6هـ / 12م إلى القرن 9 هـ/15 م ، ضمن كتاب : الفلاحة و التقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط ، إشراف : حسن حافظي علوي ،منشورات عكاظ ، الدار البيضاء ، 2011.

192- زياني الصادق ، التوطين البشري والواقع المذهبي للجماعات ببلاد الزاب القرن (02-05 هـ / 08-11 م) ، مقال ضمن كتاب : بحوث و دراسات تاريخية أعمال مهداة للأستاذ لعميد عبد العزيز ، مطبعة نواصري ، ط 01 ، المسيلة ، 2017.

193- شلوق فتيحة ، دراسة أثرية و معمارية لجامع سيدي موسى الخذري بسكرة ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، بسكرة ، العدد الرابع ، 2009.

194- شنيتي مُحَمَّد البشير ، التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري و آثاره الاقتصادية و الاجتماعية ، مجلة الأصالة ، الجزائر ، العدد 41 ، 1978.

195- عمارة علاوة ، التحولات المجالية و الطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي ، مجلة تراث الزيبان ، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التراث في منطقة الزيبان ، العدد 01 ، بسكرة ، 2016.

196- (ـــــــــــــ) ، الهجرة الهلالية و إشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط : قراءة في نقاش تاريخ ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة قسنطينة ، العدد 04 ، 2004.

197- (ـــــــــــــ) ، بين الأوراس و الواحات : ظهور و وانتشار و اختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق 02-03هـ/08-09م)، تر: أ-عبد القادر لمباركية ، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات ، الوادي ، العدد 09.

198- فقادي الحسين ، من مظاهر التغذية في العصر الوسيط ، مجلة الأمل ، الدار البيضاء ، العدد16 ، 1999.

199- فورار المُحَمَّد بن لخضر ، من شعر الطبني مُحَمَّد بن الحسين تقديم و جمع (300هـ-394هـ) ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة مُحَمَّد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد الثامن ، 2012.

200- لقبال موسى ، الحلف بين أهل السنة و النكارية في القرن 04هـ/10م و أثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب و الحضنة و الأوراس ، مجلة الأصالة ، العدد 60-61 ، 1978.

201- (ـــــــــــــ) ، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة و الفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطميين ، حوليات جامعة الجزائر ، 1991-1992.

202- (ــــــــــــــــ) ، طبنة مدينة الزاب و الأوراس في العصور الوسطى ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، العدد 60-61 ،1978.

203- (ــــــــــــــــ) ، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي ، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 05 ، الجزائر ، 1991.

204- النكادي يوسف ، أساليب الزراعة و الغراسة و التناوب بين الاستغلال و الاستراحة في الأندلس خلال لقرن الخامس هجري ، ضمن كتاب : الفلاحة و التقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط ، إشراف : حسن حافظي علوي ،منشورات عكاظ ، الدار البيضاء ، 2011.

205- هدوش صلاح الدين ، المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 05 هـ/11م إلى القرن 14/08م ، مجلة علوم الإنسان و المجتمع ، بسكرة ، العدد 14 ، 2015.

206- الهطاي علي ، الجغرافيا التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي دراسة في تطور المجالات و المواقع ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، جامعة معسكر ، العدد 12 ، ديسمبر 2017.

رابعا : المعاجم و الموسوعات

207- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين (ت711هـ/1311م) ، لسان العرب ، مج 01 ، (مادة زأب) ، دار إحياء التراث العربي ،ط03 بيروت ، 1999.

208- البستاني بطرس ، دائرة المعارف –قاموس لكل فن ومطلب – ، مجلد 09 ، مطبعة المعارف ، بيروت ، 1884.

209- الجوهري إسماعيل بن حماد (ت393هـ/1003م) ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، مادة (زأب) ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط 01 ، بيروت ، 1979.

210- الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م) ، معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – ، ج 02 ، تح : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ،بيروت ، 1993.

211- الشيباني أبو عمرو إسحاق بن مرار (ت 206هـ/821م) ،كتاب الجيم ، مادة (زأب) ، تح : عادل عبد الجبار الشباطي ، مكتبة لبنان ، ط01 ، بيروت ، 2003.

212- عمر أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مجلد 01 ، دار عالم الكتب ، ط 01 ، القاهرة ، 2008.

213- الفيروز آبادي أبو طاهر مجيد الدين (ت817هـ/1415م)، القاموس المحيط ، ج01 ، (مادة زأب) ، دار العلم للجميع ، بيروت ، لبنان ، دت.

214- المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ،ط04 مصر .

215- المنجد في اللغة و الأعلام ، المنجد في اللغة ، دار المشرق ، ط42 ، بيروت ، 2007.

خامسا : الرسائل و الأطروحات

216- أوكعور عبد الحكيم ، الإقليم الإداري و الأثري لبلدية رومانية – دراسة جغرافية و أثرية لمدينة طبنة – ، رسالة ماجستير تخصص آثار قديمة ، جامعة الجزائر ، 2008-2009.

217- بكاي عبد المالك ، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 07-10 هـ/ 13-16 م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ، 2013-2014.

218- بن خيرة نجيب ، الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشرق (خراسان و بلاد ما وراء النهر) بين القرنين الثالث و الخامس الهجري من 205هـ – 432هـ / 820م – 1040 م، دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 1424هـ – 1425 هـ/ 2003-2004 م.

219- بن زاوي طارق ، استقلال المعز ابن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406هـ-454هـ/1016م-1062م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر ، 2008-2009.

220- رحلي صليحة ، المسيلة و جهتها في العصر الوسيط – دراسة منوغرافية – ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة باتنة ، 2013-2014.

221- رحماني موسى ، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27- 362 هـ/ 637-972 م) ، دراسة اجتماعية ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006-2007.

222- سالم مصطفى ، الأطلس الأثري لإقليم الزاب من الفتح الإسلامي حتى نهاية الفترة العثمانية ، رسالة ماجستير ، تخصص آثار إسلامية ، جامعة الجزائر ، 2008،2009.

223- شكشاك خلود ، المعالم الأثرية لمنطقة بريكة دراسة تاريخية أثرية ، رسالة ماستر 02 تخصص آثار قديمة ، جامعة باتنة 01 ، 2018-2019.

224- عبد الشكور نبيلة ، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع للهجرة ، الثاني عشر الخامس عشر ميلادي ، أطروحة دكتوراه ، تاريخ وسيط ، جامعة الجزائر ، 2007-2008.

225- عميور سكينة ، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6 هـ/11و12م – دراسة اقتصادية و اجتماعية – ، رسالة ماجستير تخصص تاريخ وسيط ، جامعة قسنطينة ، 2013-2014.

226- قراوي عبد النّور، طبنة ودورها الحضاري من الفتح حتّى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط، إشراف مزهودي مسعود، جامعة الجزائر بن يوسف خدّة ، 1430هـ/2009.

227- مديازة صورية ، بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21-362 هـ / 642-972 م) ، رسالة ماجستير ، جامعة باتنة ، 2009-2010.

228- مسعودان بشير ، ولاية باتنة دراسة في جغرافية السكان ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قسنطينة ، 2008-2009.

229- منصوري نزيهة و ملول فاطمة ، بلاد الزاب بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط – دراسة اجتماعية – ، رسالة مكملة لنيل شهادة ماستر 02 تخصص تاريخ المجتمع في العصر الوسيط ، جامعة سطيف 02 ، 2017-2018.

230- مهير عميروش ، مجتمع المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلة و الجغرافيا من القرن السابع إلى القرن العاشر هجري (13-16 م) ، رسالة مكملة لنيل شهادة ماستر 02 تخصص تاريخ المجتمع في العصر الوسيط ، جامعة سطيف 02 ، 2014-2015.

سادسا : المصادر و المراجع الأجنبية

231- blanchet , M, excursion archéologique dans le hodna et la sahara , in recueil notices et mémoires de la société archéologue du département de constantine , 1899 .

232- C.diehl , l'afrique byzantine , histoire de la domination byzantine en afrique , paris 1966.

233- Deihl (M) , rapport sur deux missions archéologique dans l'afrique du nord , avril juin 1892 et mars mai 1893 , extraits des archives des missions scientifiques et lihérer , paris , 1894 .

234- J.Maguelonne , monographie géographique et historique de la tribu des ziban , recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de constantine , ed : adolphe braham , paris , 1910 , v44 .

235- Jean despois , le Hodna , presses universitaire de france , paris 1953.

236- Masquerray , la mission dans le sud de la province de constantine , in revue africaine , 1877 .

237- Paul luis cambuzat , l'évolution des cites du telle en afrkia du 7 au 11 siècle , office des publication universitaires ; alger ; 1986 , tome 02.

238- payen , « Notice sur L'emplacement du Plusieurs Villes Romaines de la Subdivision de Batna »,1856 -1857.

239- (_____) , les travaux hydrauliques anciens dont il existe encore de nombreux vestiges dans les partie du hodna dépendant de la province de constantine , in recueil des notice et mémoire de la société archéologique de la province de constantine , 1864 .

240- R.Grange , monographie de tobna , receil notices et mémoires de la société archéologique de département de constantine – alger - , liberté africaine et colonial , paris , 1901.

241- S.Gsell : atlas archéologique de l'Algérie , texte 03^{m} édition , paris 1911.

242- (_____): bulletin archéologique de comite des travaux historiques et scientifiques , paris 1900 .

243- tescier . exploration des provinces d Constantine et des tinabs , une revue anthologie , 1848.

244- ville (M) , voyage d'exploration dans les bassins du hodna et du Sahara , imprimerie impériale , paris , 1868 .

الفهارس

فهرس الأعلام

-أ-

إبراهيم الثاني بن الأغلب : 61

إبراهيم الطبني : 190 ، 194

إبراهيم بن أحمد بن مُحَمَّد بن الأغلب : 61 ، 62 ، 118

إبراهيم بن الأغلب : 30 ،57 ، 59

إبراهيم بن بلكين : 84

إبراهيم عليه السلام : 96

ابن أبي الصلت : 92

ابن الأثير : 23 ، 61

ابن الحاج النميري : 37

ابن الرمامة أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي القلعي : 214

ابن حماد الصنهاجي : 24

ابن حوقل : 10 ، 30

ابن خرداذبة : 03 ، 08

ابن خلدون : 13 ، 31 ، 60

ابن سعيد المغربي : 11

ابن سكرديد الإباضي : 55

ابن سهل الخشني : 211 ، 212

ابن شرف القيرواني : 92

ابن عبد الحكم : 45

ابن عذاري المراكشي : 13 ، 14 ، 61

ابن عنان : 37 ، 128 ، 135

ابن مصاد : 47

ابن منظور : 02 ، 05

أبو الأصبغ عبد العزيز بن زيادة الله : 203 ، 204

أبو البهار : 84

أبو الحسن عبد الرحمن بن زيادة الله بن علي بن الحسين الطبني : 201 ، 202

أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن زيادة الله أبي مضر الطبني : 206 ، 207

أبو الحسن علي بن عطية بن علي بن الحسن بن يزيد الطبني : 205

أبو الخطاب المعافري : 52 ، 111

أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الباغاني : 216

أبو العباس أحمد بن مكي بن أحمد بن قمود البسكري : 210

أبو العباس مُحَمَّد بن الأغلب : 59

أبو الفتح المنصور بن يوسف : 81

أبو الفضل عطية بن علي بن الحسن بن يزيد الطبني : 205 ، 206

أبو القاسم الجرجاني : 87

أبو القاسم يوسف البسكري : 209 ، 210

أبو المهاجر دينار : 42 ، 43 ، 46

أبو بكر إبراهيم بن يحي بن مُحَمَّد بن حسين الملقب بابن الطبني : 205

أبو جابر يحي بن خالد السهمي الطبني : 193

أبو حاتم الملزوزي : 55 ، 113

أبو حنيفة النعمان : 119

أبو زكرياء : 92

أبو عبد الله الأحول : 65

أبو عبد الله الشعي : 30 ، 31 ، 64 ، 70

أبو عبد الله مُحَمَّد أبو الغرانيق : 60 ، 62

أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن زكرياء القلعي الأصم : 214 ، 215

أبو عبد الله مُحَمَّد بن يحي بن مُحَمَّد بن الحسين الطبني : 204

أبو عبد الملك عبد الله الملشوني : 208

أبو عقال الأغلب : 59

أبو علي حسن بن علي بن مُحَمَّد المسيلي : 213

أبو علي حسين بن مُحَمَّد بن سلمون المسيلي : 212

أبو عمر أحمد بن الحسين بن مُحَمَّد الطبني : 201

أبو عمرو الشيباني : 02

أبو قرة الصفري : 27 ، 28 ، 55

فهارس

أبو محمد القاسم بن علي بن معاوية بن الوليد الطبني : 204

أبو مُحَمَّد عبد الله بن حمّود المسيلي ، 212

أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني : 202

أبو مضر زيادة الله بن علي بن الحسين بن محمد : 201

أبو مضر مُحَمَّد بن الحسين الطبني : 196

أبو يزيد مخلد بن كيداد : 70 ، 71 ، 74 ، 114

أبو يوسف الهواري : 51

أبي المقارع : 118

أحمد بن خلوف المسيلي : 210

أحمد بن سفيان بن سوادة : 100

أحمد بن سفيان بن سوادة : 60

أحمد بن فروخ الطبني : 196

الإدريسي : 10 ، 30

إسحاق الملشوني : 209

إسماعيل العربي : 07

إسماعيل بن عبد لله بن أبي المهاجر : 50 ، 51

الأصم المنورقي : 07 ، 11

الأغلب بن سالم : 27 ، 53

الإمبراطور تراجانوس : 19 ، 25

الإمبراطور هرقل : 22

أورثياس : 21

-ب-

باديس بن زيري : 82 ، 84

بشر بن صفوان الكلبي : 51

البكري : 10 ، 25 ، 28

بلكين بن زيري : 77 ، 78 ، 79 ، 80

بونيفاس : 20

بيداس : 21

بيلزاريوس : 21

-ت-

تمام بن تميم التميمي : 58

-ج-

جعفر بن حمدون : 74 ، 75 ،76، 77 ، 78 ، 79

جنسريق : 20

جون ماغيلون : 15

الجوهري :02

جين ديسبوا : 19

-ح-

حبيب بن عبد الرحمن الفهري : 111

حريش بن عبد الرحمن بن حريش الكندي : 58

حسّان بن النعمان : 48 ، 146

الحسن الوزان : 12

الحسن بن خليل بن مزروع الطبني : 208

الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني : 212 ، 213

الحسن بن علي الكاتب الملقب بابن الزنجي : 86

حسين مؤنس : 112

الحلواني : 117

حمّاد بن بلكين : 33

حماد بن بلكين ، 82 ، 83 ، 84

حمديس : 58

الحموي : 02 ، 03 ، 04 ، 06 ، 11 ، ، 26 31

حميد بن يصل المكناسي : 70

الحميري : 12

حنظلة بن صفوان الكلبي : 51

-خ-

خالد بن عمران : 05

الخضعمي :02

خفاجة العبسي : 118

خفاجة مُحَمَّد ابن إسماعيل : 60

الخليفة الموحدي أبو يعقوب : 140

الخير بن مُحَمَّد : 79

-د-

ديال : 21

-ر-

راوول قرنج : 20

الرقيق القيرواني : 12

روح بن حاتم : 29 ، 56

-ز-

زهير بن قيس البلوي : 43 ، 47

زيادة الله الأول : 59

زيادة الله الثالث : 118

زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب : 66

زيري بن عطية : 82

زيري بن مناد : 75 ، 76 ، 77 ، 143

– س –

سالم بن غلبون : 59

سحنون بن السعيد : 190 ، 194

سعيد بن خزرون بن فلفول : 82

سلمة بن سعد : 112

– ش –

شبيب بن أبي شداد القمودي : 118

الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي : 210 ، 211

– ص –

الصنعاني : 116

صولون : 21

– ع –

عاصم بن جميل السدراتي : 55 ، 110 ، 113

عبد الرحمن بن حبيب الفهري: 52

عبد الرحمن بن رستم : 28 ، 52 ، 55 ، 111 ، 113

عبد الرحمن بن عقبة بن نافع : 52

عبد الكريم النهشلي المسيلي : 211

عبد الله بن الطبنة : 190 ، 195

عبد الملك أبي الجعد الورفجومي : 110

عبد الواحد بن يزيد : 51 ، 110

عبد الوارث بن حبيب : 110

عبيد الله المهدي : 31 ، 68 ، 70 ، 118

عقبة بن نافع : 41 ، 43 ، 46 ، 141 ، 145

عكاشة بن أيوب الفزاري : 51 ، 110

العلاء بن سعيد : 56

علي ابن حمدون : 25 ، 33 ، 73

علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي : 215

علي بن منصور الطبني : 207 ، 208

عمر بن الخطاب : 40

عمر بن عبد العزيز : 50

عمر بن علي القرشي : 43

عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي : 216

عمران بن مجالد : 59

عمرو بن العاص : 40

عمرو بن حفص : 12 ، 27، 28، 29 ، 53 ، 111

- ف -

فضل بن علي بن مزني : 38

فلفول ابن سعيد : 82

- ق -

القاضي النعمان : 114 ، 117 ، 136

القائم بأمر الله : 31 ، 32 ، 69

القديس أوغسطين : 20

قطزياس : 21

- ك -

كادوا بن معارك المارطني : 70

الكاهنة : 48 ، 146

كسيلة بن لمزم : 43 ، 46

كومبيزا : 24

- م -

مادغيس بن الأبتر : 96

مجهول : 11

محكم الهواري الأوراسي : 217

مُحَّد ابن الأشعث : 27 ، 52

فهارس

مُحَمَّد ابن يوسف الوراق : 28

مُحَمَّد الصالح مرمول : 33

مُحَمَّد بن الأغلب : 60

مُحَمَّد بن أوس الأنصاري : 46

مُحَمَّد بن خزر الزناتي : 67 ، 68 ، 69 ، 75 ، 79 ،

مُحَمَّد بن مقاتل العكي : 30 ، 57

مدلج بن زكرياء : 118

المستنصر بالله : 79

المستنصر بالله الفاطمي : 87

المسور بن هانئ الزناتي : 55 ، 113

معاوية بن أبي سفيان : 42

معاوية بن حديج : 41

المعز بن باديس : 86 ، 89

المعز لدين الله : 77 ، 78 ، 79 ،80 ، 136

المقدسي :10 ، 31

منصور الطنبذي : 59

المنصور الفاطمي : 74 ، 75 ، 76 ، 77

المنصور بن أبي عامر : 82

المنصور بن بلكين : 83

المهنأ بن المخانق : 55

موسى بن عباس : 117

موسى بن نصير : 26 ، 49

موسى لقبال : 101

- ن -

الناصر ابن علناس : 14 ، 35 ، 91

النويري : 23 ، 60

- هـ -

هارون الرشيد : 29 ، 30 ، 56

هارون الطبني : 118 ، 195

هود بن محكم الأوراسي الهواري : 217

- ي -

اليازوري : 90

ياطوفث : 84

يزيد بن أبي مسلم : 51

يزيد بن حاتم بن قبيصة : 55 ، 112

يزيد بن خالد السهمي الطبني : 193

يزيد بن خلف العبسي : 46

يزيد بن سكوم الولهاصي : 110

يزيد بن عمران :05

يزيد بن معاوية : 43

اليعقوبي : 09 ، 23

يعلى بن مُحَمَّد اليفرني : 77

يوسف أبو الفضل ابن النحوي : 214

فهرس الأماكن والدول

- نستثني ذكر الزاب لكثرة وروده في البحث

-أ-

أذربيجان : 03

أذنة : 10 ، 12 ، 23 ، 25 ، 44 ، 76 ، 129 ، 170

أربة : 09 ، 23

الأربس : 65 ، 67

أربيل : 03

أرض كتامة : 09

الإسكندرية : 40

أشير : 10 ، 81 ، 129 ، 155

إفريقية : 43 ، 73

أوراس : 06 ، 09 ، 158

إيران : 05

إيكجان : 64 ، 65 ، 117

-ب-

فهارس

بابغيش : 03

باتنة : 24

باجة : 74

بادس : 10 ، 11 ، 13 ، 19 ، 122 ، 152

باغاي : 09 ، 10 ، 16 ، 21 ، 44 ، 48 ، 62 ، 80 ، 107 ، 123 ، 129 ، 152، 186

بجاية : 10 ، 12 ، 129 ، 153 ، 164 ، 177

البرج : 12

برقة : 40 ، 41

بريكة : 218 ، 219 ، 224

بسكرة : 07 ، 11 ، 12، 13 ، 14 ، 19 ، 75 ، 80 ، 93 ، 121 ، 122 ، 124 ، 128 ، 132 ، 152 ، 153 ، 164 ، 165 ، 171

بغداد : 85

بلاد الجريد : 09 ، 11 ، 12 ، 13 ، 19

بلاد الرافدين : 03 ، 06 .

بلاد السودان : 104 ، 154

بلاد المغرب : 05 ، 10 ، 13 ، 23

بلاد ريغ : 07 ، 11

بلاد كتامة : 66

بلزمة : 09 ، 21 ، 62 ، 66 ، 75 ، 118 ، 125

بنطيوس : 10 ، 124 ، 131 ، 153

بيطام : 158 ، 224

تارمونت : 19

تازروت : 64 ، 65

تامديت : 152

تامرينت : 115

تبسة : 21 ، 100 ، 167

تلمسان : 43

تنس : 10

تهوذة : 08 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 19 ، 125 ، 133 ، 145 ، 154

توزر : 11 ، 71

تونس : 12 ، 58

تيجس : 09 ، 152 ، 154

تيقيوس : 71

تيمقاد : 21

تيهرت : 10 ، 13 ، 30 ، 69 ، 77 ، 79 ، 149 ، 154

-ج-

جبل أحمر خدو : 15

جبل الدخان : 15

جبل كيانة : 16

جلولاء : 08

جمونة : 153

جميلة : 10

-ح-

الحضنة : 13 ، 19 ، 21 ، 93

حيدران : 90

-خ-

خنشلة : 21

-د-

دار ملول : 67 ، 152 ، 155

دكمة : 85

دمشق : 42

دوسن : 12 ، 13

دوفانة : 152 ، 155

رقادة : 62 ، 70 ، 118

- ز -

الزاب الأسفل: 05 ، 13 ، 14

الزاب الأعلى : 03 ، 05 ، 13 ، 14

زابي : 06 ، 21

- س -

سبتة : 179

سبيبة : 35

سبيبة : 91

سبيطلة : 08

سجلماسة : 10 ، 30 ، 71 ، 150 ، 154

سطيف : 09 ، 15 ، 45 ، 66 ، 152

سوجمار : 116

سور الغزلان : 19

السوس : 46

سوق حمزة (البويرة) : 33 ، 174

سيدي عقبة : 47

-ش-

الشام : 41

شط ملغيغ : 19

الشلف : 85

شهرزور : 05

-ط-

طبنة : 08 ، 09 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 19 ، 21 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 45 ، 48 ، 55 ، 59 ،65 ، 66 ، 75،80 ، 93 ، 100، 107 ، 118 ، 121 ، 122 ، 129 ، 132 ، 149 ، 152 ، 164 ، 165 ، 169 ، 174

طرابلس : 13 ، 41

طنجة : 48 ، 154

طولقة : 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 153

- ع -

العراق : 05

عنابة : 20

- غ -

غانا : 149 ، 155

- ف -

فاس : 70 ، 149 ، 154

الفرات : 05

فلسطين : 96

- ق -

قابس : 08 ، 19 ، 17333

قالمة : 100

قبر مادغوس : 134 ، 153

قرطاجة : 19

قرطبة : 79 ، 184

قرية يكسم : 124 ، 163

قسطيلية : 72

قسنطينة : 09 ، 15 ، 152

قفصة : 11 ، 47

قلعة بني حماد : 10 ، 33 ، 153 ، 172 ، 173 ، 177

قلعة زغوان : 49

قمونية : 41

القيروان : 10 ، 29 ، 30 ، 41 ،42 ، 55 ، 59 ، 152 ، 154

- ك -

كوغة : 155

- ل -

لمبيز : 21 ، 45

لوطاية : 15

- م -

مجانة : 67 ، 179

المحمدية (المسيلة) : 10 ، 30 ، 32 ، 69

مدينة الغدير : 115

مدينة الغدير : 115 ، 177 ، 181

مدينة اللوز : 153

مرماجنة : 116 ، 154

مسكيانة : 48 ، 154

المسيلة : 06 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 15 ، 24 ، 32 ، 76 ، 122 ، 124 ، 132 ، 150 ، 164 ، 169 ، 174

مصر : 40 ، 80

المغرب الأقصى : 69 ، 80

المغرب الأوسط : 42 ، 65

مقرة : 09 ، 10 ، 13 ، 19 ، 122 ، 129 ، 152 ، 164 ، 165

ملشون : 121

مليلة : 13

مليلي : 114 ، 153

المنصورية : 77 ، 81

المهدية : 70 ، 72

الموصل : 03

ميلة : 10 ، 15 ، 65 ، 100 ، 118

-ن-

الناظور : 116

نفزاوة : 11

نفطة : 11 ، 12 ، 62

نقاوس : 11 ، 14 ، 19 ، 75 ، 107 ، 123 ، 126 ، 129 ، 132 ، 152 ، 164 ، 171 ، 177

نقرين : 19

النوالات : 72

نوميديا : 06 ، 12 ، 18 ، 22

-هـ-

هاز : 113

-و-

وادي جدي : 15

وادي ملوية : 47

واسط : 05

ورقلة : 155

- ي -

اليمن : 96

فهرس القبائل

-أ-

الأثبج : 38 ، 91

أجانة : 66

الأدارسة : 29

أداسة : 97

أزداجة : 97

الأمازيغ : 96

أهل خرسان : 09

أوربة : 43

أوربة : 97

أوريغة : 97

البرانس : 46

البربر : 22 ، 44 ، 96

-ب-

بنو الأغلب : 08 ، 15 ، 57 ، 59

بنو برزال : 32 ، 73

بنو تمصيت : 97

بنو تميم : 101

بنو رمان : 38

بنو زقراح : 98

بنو زنداج : 99

بنو زنداك : 73

بنو سكتان : 117

بنو سندي : 14

بنو ضبة : 101

بنو عفنيت : 114

بنو كملان : 32 ، 77

بنو لوا : 97

بنو مالك : 62

بنو مزني : 38 ، 116

بنو هلال : 35 ، 115 ، 116

بنو وارجلا : 73

بنو يحي : 97

بنو يفرن : 29 ، 98

البيزنطيين : 18

- ج -

جراوة : 34

جراوة : 98

جزولة : 97

- ر -

الرومان : 18

رياح : 91 ، 116

- ز -

زغبة : 91 ، 116

زناتة : 30 ، 31 ، 49 ، 67 ، 68 ، 80 ، 83 ، 91

زواوة : 64 ، 66

- س -

سدراتة : 75

سماتة : 116

- ص -

صنهاجة : 34 ، 78 ، 79 ، 91 ، 96

- ض -

ضريسة : 97

- ع -

عجيسة : 64 ، 66 ، 69 ، 97

العرب : 09

- ق -

قريش : 09 ، 110

قوم سارسة : 99

قوم كزبرة : 99

- ك -

كتامة : 63 ، 97 ، 116

الكنعانيين : 96

- ل -

لماية : 68

لمطة : 97

لواتة : 97

- م -

مزاتة : 115

مستالة : 66

مستاوة : 115

مصمودة : 97

مغراوة : 31 ، 75 ، 98

مكناسة : 69

ملوسة : 66

مليلة : 114

- ن -

نفزاوة : 28 ، 52

نفزة : 116

نفوسة : 97

- هـ -

هسكورة : 97

هوارة : 25 ، 32 ، 49 ، 73

-و-

ورفجومة : 28 ، 52 ، 110

ولهيصة : 66

الوندال : 18

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**13-01**
الفصل الأول : إقليم الزاب– المدلول الجغرافي و التاريخي –	38-02
المبحث الأول: التعريف اللغوي و أصل التسمية	07-02
المبحث الثاني : جغرافية إقليم الزاب خلال العصر الوسيط	17-08
المبحث الثالث : إقليم الزاب قبل الفتح الإسلامي	22-18
المبحث الرابع : حواضر إقليم الزاب الكبرى	38-23
الفصل الثاني : إقليم الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية دخول قبائل بني هلال	89-40
المبحث الأول : الفتح الإسلامي لإقليم الزاب	55-40
المبحث الثاني : إقليم الزاب في عصر الأغالبة	62-55
المبحث الثالث : إقليم الزاب في عصر الدولة الفاطمية	77-63
المبحث الرابع : الزاب في عصر الدولة الصنهاجية	89-78
الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية في إقليم الزاب	145-91
المبحث الأول:عناصر السكان	103-91
المبحث الثاني: المذاهب الدينية بإقليم الزاب بعد الفتح الإسلامي	117-104
المبحث الثالث: أنماط المعيشة	131-118
المبحث الرابع:العادات و التقاليد	145-132
الفصل الرابع : الحياة الاقتصادية في إقليم الزاب	185-147
المبحث الأول : الموقع الاستراتيجي لإقليم الزاب	153-147
المبحث الثاني:الزراعة أساليبها ووسائلها	163-154
المبحثالثالث:الصناعة و المهن	172-164
المبحثالرابع:التجارة الداخلية و الخارجية	185-173
الفصل الخامس : الحياة الثقافية و العلمية بإقليم الزاب	226-187
المبحث الأول : العلم ومؤسساته في إقليم الزاب	119-187

المبحث الثاني : علماء إقليم الزاب مابين القرن 02-05 هجري.	217-192
المبحث الثالث : الموقع الأثري طبنة	226-217
الخاتمة	231-228
الملاحق	251-233
قائمة المصادر و المراجع	277-253
الفهارس	308-279
فهرس الأعلام	291-279
فهرس الأماكن و الدول	302-292
فهرس القبائل	308-303
فهرس الموضوعات	310-309